رفع
المسا هم
غفر الله له ولوالديه

مشروع العلم النافع
سلسلة إصدارات
لجنة الأعمال
الخيرية
(٢٢)

لغة البيان وتجويد القرآن

تأليف
عائشة عبد الله غلوم

دار البشائر الإسلامية

رفع
المسا هم
غفر الله له ولوالديه

رفع
المساهم
غفر الله له ولوالديه
2010-08-30
www.tafsir.net
www.almosahm.blogspot.com

لغة البيان وتجويد القرآن

تأليف
عائشة عبد الله غلوم

دار البشائر الإسلامية

رفع
المساهم
غفر الله له ولوالديه

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

رقم الناشر الدولي:
ISBN 978 - 99901 - 645 - 0 - 3

رقم الإيداع بإدارة المكتبات العامة:
د.ع: 6847 / 2007 م

مشروع العلم النافع
سلسلة إصدارات لجنة الأعمال الخيرية (٢٢)

شركة دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥ هاتف: ٧٠٢٨٥٧
فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣ e-mail: bashaer@cyberia.net.lb

تعريف بالمؤلّفة

* عائشة عبد الله غلوم حسين.
* مِن مواليد مدينة الحدّ ـ البحرين، عام ١٩٥٢م.
* حاصلة على إجازة/ ليسانس الآداب ـ لغة عربيّة من جامعة الكويت عام ١٩٧٣م.
* مُنِحت جائزة عواطف العذبي الصباح من جامعة الكويت عام ١٩٧٣م؛ لحصولها على المركز الأوّل على دفعتها.
* حاصلة على ماجستير في التربيّة وتطوير المناهج من جامعة البحرين عام ١٩٩١م.
* حاصلة على شهادة التّلاوة، وشهادة علم التجويد على رواية حفص عن عاصم الكوفي عام ٢٠٠٥م.
* عملت مُدَرِّسة بالمرحلة الثانويّة، ثم اختصاصيّة مناهج اللغة العربيّة بوزارة التربيّة والتعليم أكثر من عشرين عاماً.
* شاركت في تأليف وإعداد عدد من الكتب المدرسيّة والمواد التعليميّة في وزارة التربيّة والتعليم.
* تعمل مديرة بمدارس لفلاح الخاصّة ـ فرع المحرق ـ قسم البنات، منذ عام ٢٠٠١ ـ حتى الآن.
* عضوة في جمعيّة أوال النسائيّة (سابقاً).
* عضوة في أُسرة الأُدباء والكُتّاب بمملكة البحرين.
* صدرت لها مجموعة قصصيّة تحت عنوان: (امرأة في الذّاكرة) عام ١٩٩٦م.
* صدرت لها مجموعة قصصيّة تحت عنوان: (أيّام مضت) عام ٢٠٠٠م.

* * *

رفع المسابهم

تقـــديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على أشرف خلقه وخاتم أنبيائه ورسله سيِّدنا مُحَمَّد، صاحب الحوض والشَّفاعة، المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

يطيب للجنة الأعمال الخيرية بجمعية الإصلاح أن تواصل إصدار مطبوعاتها ضمن مشروع «العلم النافع»، هذا المشروع الذي يمثِّل ركيزة هامّة في النهج الذي ارتأته اللجنة والمتمثِّل في ضرورة أن يتواكب العمل التنموي مـع العمـل الخيـري والإغـاثـي، ليـؤتـي ثمـاره المنشـودة تحقيقـاً لتطلُّعـات مجتمعاتنا وأملاً في نهضة أُمَّتنا، واقتداءً بقول المصطفى ﷺ: **«إذا مات الإنسان انقطع عمله إلاَّ مِن ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له»** رواه مسلم.

ويأتي هذا الإصدار الثاني والعشرون كلبنة نضعها فوق أخرى لنشيد بها صرحاً دعائمه راسخة في إيمان أُمَّتنا، وأركانه ثابتة في عقيدتها، وأعمدته وجدرانه ترتفع دوماً لتنهض وتسمو بالوجدان والضمير، فيكتمل بذلك بناء العقل الواعي والفكر المستنير.

رفع المسهم

إنه **(لغة البيان وتجويد القرآن)** للمؤلِّفة عائشة عبد الله غلوم ـ وهي تعمل في مجال التربية والتعليم بمملكة البحرين ـ.

وقد أكَّدت الباحثة مِن خلال موضوع الكتاب على أهمِّيَّة العلاقة بين إجادة اللغة العربية وإتقان تلاوة القرآن الكريم، والاهتمام باللغة العربية وإعادتها إلى مكانتها الرفيعة، في سبيل حفظ كتاب الله عزَّ وجلّ، وسلامته مِن كلّ تحريف.

لذا ارتأت اللجنة أن تسهم في نشر هذا العلم لتَمَيُّزه في بابه، وللفائدة المرجوَّة منه للعالم والمتعلِّم، ولما فيه مِن بيانٍ لكثير من القواعد اللغوية المتعلّقة بهذا الموضوع والتي تشغل بال الناس، دون إطالة مملة أو تبسيط مُخِلّ.

سائلين الله العليّ القدير أن يعمّنا ـ والمؤلِّفة ـ برحمته، ويرزقنا شفاعة رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم، وأن ينفع بهذا الإصدار كلّ قارىء له ومطَّلع عليه وساعٍ في طبعه ونشره، ويجزي مؤلِّفته عنَّا وعن المسلمين خير الجزاء.

والحمد لله ربّ العالمين.

لجنة الأعمال الخيرية

جمعية الإصلاح ـ مملكة البحرين

ربيع الأوَّل ١٤٢٩هـ

رفع
المسياهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ
لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾
أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ
ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الشعراء] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال :
«أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه» .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ :
«مَن قرأ القرآن فلم يعرِبه وُكِّل به ملك يكتب له كما أنزل بكل حرف عشر حسنات، فإن أعرب بعضه وُكِّل به ملكان يكتبان له بكل حرف عشرين حسنة، فإن أعربه وُكِّل به أربعة أملاك يكتبون له بكل حرف سبعين حسنة» .

[حديث شريف ــ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن]

رفع المسابهم

إهـــداء

إلى أرواحهم الطاهرة في الملكوت الأعلى:

إلى روح والدي..

الذي منه تعلَّمتُ تقوى الله وخشيته.

إلى روح شقيقي..

الذي منه تعلمت كيف يكون العمل لوجه الله.

إلى أرواح المؤمنين..

الذين آمنوا بالله وحده، وبكتابه الذي أنزل، وبنبيِّه الذي أرسل.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩ ﴾ [يونس]

رفع المسهم

المقـدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل القرآن العظيم ولم يجعل له عوجًا، بلسان عربيٍّ مبين هدًى ورحمةً للعالمين، وجعل له حلاوة وعليه طلاوة، لكل من يتلوه حق التلاوة، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد الذي كان خُلُقه القرآن، وعلى آله وأصحابه، وتابعيه الكرام البَرَرة، الذين حملوا أمانة القرآن، حتى وصل إلينا سالمًا محفوظًا من كل زيف أو تحريف.

وبعـد:

فقد كان حبـي الشديد للغة العربية، وتعلقي الكبير بالقرآن الكريم وراء تأليف هذا الكتاب؛ ذلك أني كنت وما زلت أعجب من أولئك الذي ينفرون من لغتنا العربية، ولا يجدون فيها شيئًا يستحقّ العناية؛ ونتيجة لهذا الإعراض غدت العربية بنظرهم لغة مرذولة لا يُقبِل أبناؤنا وبناتنا على تعلُّمها، ويجدونها صعبة معقدة، فلم يُحسنوا تعلمها وتذوقها، ولم يتمكنوا من الوصول إلى فهمها والتعامل بها. هذا.. وهي لغة القرآن العظيم الذي يعد كتاب العربية الأكبر، ومعجزتها البيانية الخالدة، والمثل الأعلى الذي ينبغي لكل عربـي الاتصال به، والاغتراف منه؛ ليكسب ذوقها، ويدرك حسها، ويستشف روعة بيانها في الأداء والتعبير.

رفع المسابهم

كذلك فإن أبرز الأسباب التي دفعتني إلى الاشتغال في هذا العمل ما رأيته عند الكثيرين من أبناء العربية من معاناة ومن صعاب في القراءة بالعربية الفصيحة، وبخاصةً عند تلاوة القرآن، حيث تأتي قراءتهم بعيدة عن الفصاحة، مليئة باللحون، تفتقر إلى الطلاقة والاسترسال وحسن الأداء، وكنت أقدِّر وأُكْبِر أولئك الجادِّين من غير أبناء العربية، الذين أتقنوها بإعرابها، وحرصوا كل الحرص على تعلمها ــ برغم صعوبتها عليهم ــ لأنها لغة الكتاب المبين، فأصبحوا بذلك ممن يتلونه حق تلاوته.

وعندما شرعتُ في تأليف هذا الكتاب، لم يكن في ذهني غير فكرة واحدة تلح عليّ، وأردت دعمها، وإثباتها والدفاع عنها، ألا وهي عظيم العلاقة، وكبير الصلة بين إجادة اللغة العربية وإتقان تلاوة القرآن الكريم، وحسن أدائه، وصيانته من اللحن.

ومن هنا . . فإن هذا الكتاب يأتي تعبيرًا خالصًا وصادقًا عن رغبتي في تأكيد أمور وهي:

* ضرورة المحافظة على فصاحة القرآن الكريم، وصيانته من اللحن.
* الانتصار للغة العربية، والدعوة الصريحة لتعلم قواعدها، وإعادتها إلى مكانتها الأحق بها.
* تقدير الجهود التي بذلها العلماء في سبيل حفظ القرآن، وسلامته، وصيانته من كل تحريف.
* تدريس القرآن بروح العربية، وتدريس العربية في ضوء النصوص القرآنية البليغة.

رفع المسهم

والحقّ أنّي كُلَّما قرأتُ في كتاب الله، ازددت يقينًا بإعجازه، وقناعةً بحاجتنا إلى أن نفقه أسلوبه الفريد، ونهتدي إلى أسراره البيانية، تلك التي تعين على إدراك مقاصده ودلالاته. . كذلك فإن تقديري يعظم كلما ذكرت الجهود الجبارة التي بذلها علماء القرآن، وجهابذة اللغة، في سبيل أن يصل هذا الكتاب العظيم إلينا مضبوطًا، سالمًا، محفوظًا من كل تغيير، وميسَّرًا للتلاوة والحفظ والتدارس. . كل ذلك بفضل الله ورحمة منه سبحانه.

وإنّي إذْ أُقَدِّم للقارىء عملي هذا، لا أدَّعي العلم بأسرار اللغة وبلاغتها؛ فلُغتنا بَحرٌ دائم المد، كلما أبحرت فيه شعرت بجهلي، وبان لي قصوري وعجزي عن العوم فيه. . ولست أدعي كمال الإحاطة بدقائق فن التجويد، أو العلم بالقراءات، وإنما هي أحكام يسَّر الله لي تعلمها خلال دراستي علم التجويد برواية حفص عن عاصم. . وحسبي أنني خطوت خطوة، ودعوت دعوة إلى ضرورة الربط بين تدريس القرآن وعلومه وبين قواعد اللغة العربية التي بها أنزل، لفهم إعرابها والوقوف على أسرارها.

تلك فكرتي الأساسية، تحدوها نيتي الخالصة في تقديم ما أرجو أن يشفع لي، وأن ينفع به غيري، سائلةً المولى العليّ القدير أن يجعل هذا العملَ ذخرًا وزادًا لي: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾.

وأحمد الله أن قيَّض لعملي هذا أناساً مخلصين في لجنة الأعمال الخيرية بجمعية الإصلاح، فكان لزاماً عليَّ أن أشيد بذكرهم، وأن أزجي لهم عميق الشكر وجزيل الثناء؛ لما قدَّموه من دعم لهذا الكتاب، وسعي من أجل طبعه ونشره.

رفع
المسلم
عز الدين أبو الوفاء

وحقيق عليَّ أن أذكر بالخير والثناء أختي الكريمة (سارة علي) فهي أوَّل مَن أعلمتها بفكرة الكتاب، فكان أن زوَّدتني بجرعة قويَّة مِن التشجيع والتعزيز، بما دفعني قُدُمًا إلى الأمام للاشتغال فيه.

وإني لمدينة بالشكر والامتنان أيضًا إلى أختي في الله (ليلى راشد الفلاسي) التي منحتني الكثير من وقتها وجهدها، في طباعة مادة الكتاب طباعة أولية، قبل أن أدفع به إلى المطبعة.. أسأل الله أن يجزل لها الأجر والثواب، وأن يثقل موازينها، ويرفع درجاتها بهذا العمل إن شاء تعالى.

وبعد...:

فهذا كتاب جمع بين قواعد اللغة وأحكام التجويد.. أسأل الله عزَّ وجلّ أن يثيبني أجر ما عملته، وأن يغفر لي ما زللت أو أخطأت فيه، وأن يتقبَّل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يمنَّ عليَّ بناقدٍ فَطِنٍ، أو واعظٍ ناصحٍ.

اللَّهم زدني تعلقًا بالقرآن العظيم وعملاً بما فيه، وزدني حبًّا للغة القرآن وعلمًا بما فيها.

والحمد لله رب العالمين

المؤلِّفة

عائشة عبد الله غلوم

الفصل الأول

اللغة العربية والقرآن الكريم

[١] القرآن الكريم وبعض من سماته.

[٢] فضل العمل به والاشتغال بتلاوته.

[٣] أثر قراءة القرآن في حياة الفرد والجماعة.

[٤] القرآن الكريم واللغة العربية.

[٥] اللغة العربية وقراءة القرآن.

[٦] الضعف العام في اللغة العربية (المظاهر والأسباب).

[٧] ما علاقة اللغة العربية بتجويد القرآن الكريم؟

[٨] التجويد وعلم اللغة.

[٩] علم اللغة ومجالاته.

[١٠] لماذا الحديث عن علم اللغة؟

[١١] خلاصة وفائدة.

رفع المسلم

رفع
المسهم

[١]
القرآن الكريم وبعض من سماته

القرآن الكريم هو النعمة الجليلة التي أكرمنا بها الخالق العظيم، وهو الكتاب الخالد الذي حبانا به المنَّان الكريم.

إنَّه المعجزة الكبرى التي نُباهي بها الأمم الأخرى ونفاخر بها أمام العالمين، ذلك أنه سبحانه جعلنا أمة القرآن العظيم.. وأمة الرسول الأمين محمد ﷺ، النبي الذي تلقَّى هذا القرآن من الله عز وجل، وبلَّغه على ما أُمر به؛ أنزله الله عليه بواسطة جبريل عليه السلام، وذلك ليُخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى الصراط المستقيم؛ فكان صلوات الله عليه وسلامه يبلغ الصحابة وهم عرب خُلَّص فيفهمونه بسليقتهم وفطرتهم، وإن التبس عليهم فَهْمُ شيءٍ من آياته سألوا رسول الله فهداهم إلى فهمه وتدبره.

والقرآن الكريم يتعذر تحديده بالتعاريف المنطقية ذات الأجناس والفصول والخواص، بحيث يكون تعريفه حدًّا حقيقيًا؛ ولذا وجب استحضاره معهودًا في الذهن أو مشاهدًا بالحس[١].

(١) مباحث في علوم القرآن ــ ص٢٠.

القرآن هو كتاب الله تعالى، كتاب معلوم أوله وآخره، مُسَجَّل في الكتاب أو اللوح المحفوظ أو الكتاب المكنون.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾ [الزخرف]. و: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ [الواقعة].

إنَّ مِن أَبرز خصائص القرآن أنه كتاب محفوظٌ تولَّى الله تعالى حفظه بنفسه، ولم يكل أمر حفظه إلى أحد، كما فعل مع الكتب المقدسة الأخرى التي استحفظها أهلها، كما قال تعالى في سورة المائدة: ﴿بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: ٤٤][١].

لقد حفظ الله القرآن من كل تحريف أو تبديل، وكتب له الحفظ والنقل المتواتر، لأنه كلامه تعالى المنزل على النبي الكريم ﷺ، المتعبَّد بتلاوته، والذي سمَّاه الله بأسماء كثيرة وأوصاف متعددة، وردت في مواضع مختلفة ضمن سور القرآن العظيم[٢].

ومن أسماء القرآن: الكتاب، والفرقان، والذِّكر، والتنزيل.

ومِن أوصافه: النُّور، والهدى، والشِّفاء، والرَّحمة، والموعظة، والمبين، والمبارك، والبشرى، والعزيز، والمجيد، والبشير، والنَّذير.

وكل تسمية أو وصف إنما هو من معاني القرآن الكريم[٣].

---

(١) كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟ ــ ص٢٨.

(٢) مباحث في علوم القرآن ــ ص٢١.

(٣) المصدر السابق ــ ص٢٣.

رفع المسيهم

والمتأمّل في تلك الأسماء والصِّفات يجدها واضحة في كثير من الآيات القرآنية:

منها: ما هو في مستهل السور مثل قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾، وقوله تعالى في سورة هود: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾، وقوله في سورة الفرقان: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾.

ومنها: ما هو خلال السور في آيات كثيرة مبثوثة لست في مقام حصرها، وإنما أذكر منها قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥﴾، وقوله عزَّ وجلّ في سورة فصلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١﴾.

والقرآن الكريم هو الكتاب المعجز، الذي تحدى به الرسول ﷺ العرب برغم ما ظهر على يديه من معجزات، إلا أنه هو المعجزة الكبرى إذْ وقف العرب أمامه مبهورين، مأخوذين بحلاوته وعظمته وجلال قدره.

والقرآن كذلك كتاب الدين كله، فهو عمدة الملة، وروح الوجود الإسلامي؛ منه تستمد العقيدة، وتؤخذ العبادة، وتُلتمس الأخلاق، وتُتَوَخَّى أصول التشريع والأحكام[١].

والحقّ أنَّ الحديث عن القرآن، أو الكتابة عنه، أو البحث في إعجازه وفضله لهو ضرب من الإعجاز، تضعف القدرة الإنسانية أمامه مع امتداد الزمن وتقدُّم العلم؛ فهو كما يقول الكتاب والباحثون بشأنه: إنَّ الحديث عنْ إعجازه ضرب من الإعجاز لا يصل فيه الباحث إلى سرٍّ أو جانب حتى يجد

(١) كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟ ـــ ص٤٩.

وراءه أسرارًا أخرى لا بد من كشفها والبحث فيها، فهو مثل الكون الهائل الذي اكتنفه العلماء من كل جانب، وأعجزتهم جوانبه بحثًا وتنقيبًا، ومع ذلك كله فهو لا يزال عندهم كتابًا جديدًا ومبلغًا بعيدًا.

وقد تمضي بـيَ السطور، وتمتد بـيَ الصفحات وأنا أكتب عن القرآن الكريم، ثم أجد نفسي لم أقل شيئًا، ولم أصل إلى جديد، ولم أشف ما في صدري من حاجة، ولم أخرج ما في قلبي من مطلب ومرام، فيقف القلم حائرًا عاجزًا عن الاستمرار، ويبقىٰ الذهن أكثر حيرة ودهشة، ويزداد القلب تعلقًا وولوعًا.. فما أروع كتاب الله!

﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت].

❑ ❑ ❑

رفع المسيّهم

[٢]

فضل العمل به والاشتغال بتلاوته

لقد نزَّل الله القرآن الكريم وجعله للأدواء شفاء، ولصدأ القلوب جلاء، وخير القلوب قلب واع له، وخير الألسنة لسان يتلوه، وخير البيوت بيت يكون فيه؛ فهو أعظم الكتب المنزلة، وهو النور المبين الذي لا يماثله نور، والبرهان المستبين الذي تشتفي به النفوس وتنشرح به الصدور؛ لا شيء أفصح مِن بلاغته، ولا أرجح من فصاحته، ولا أكثر من فائدته، ولا شيء ألذ من تلاوته؛ فمَن تمسَّك بهذا الكتاب العظيم فقد نهج الصواب(١).

إن من أفضل الأذكار تلاوة القرآن، وقد جاء الأمر الإلهي من رب العالمين بتلاوته، ثم الأمر والحث النبوي من الرسول الكريم بذلك.

أمَّا القرآن، فيقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [النمل: ٩١ ــ ٩٢].

وتلاوة القرآن على نوعين: تلاوة باللسان، وهي: قراءة القرآن (كلماته وحروفه)، وتلاوة الأعمال والأقوال، وهي: العمل بمقتضى

---

(١) نهاية القول المفيد ــ ص٢٥٥.

القرآن، امتثالاً لأوامره وانتهاء لنواهيه، وتأدبًا بآدابه، وتخلُّقًا بأخلاقه... إلى ما وراء ذلك؛ لأن تلاوة القرآن حق تلاوته تشمل ذلك كله[١].

والآيات التي تتناول تلاوة القرآن كثيرة، فقد أنعم الله علينا بنعمة الإسلام، وبنعمة أخرى تعادلها في القدر والعظمة، وهي أنه بعث إلى كافة الناس النبيّ الكريم محمد بن عبد الله ﷺ، الَّذي بلَّغنا القرآن، وتلاه على الصحابة حقّ تلاوته؛ قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران].

ولقد قرن الله تعالى تلاوة القرآن بالعبادات الأخرى، لكونها عبادة يتقرب بها العبد إلى ربه رجاء الثواب والحسنات، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [فاطر].

أمّا الأحاديث التي تحث على تلاوة القرآن وتعاهده وحفظه، والتعلم منه وتعليمه: فهي كثيرة، وتعمر بها الكتب والدراسات والأبحاث.

إلاّ أنّ الذي يستوقف القارىء حقًّا ويدفعه إلى التأمُّل: تلك الأحاديث التي يتجلى فيه أثر القرآن الكريم في حياة الفرد والجماعة، والتي يصور فيها الرسول هذا الجانب في أكثر من موضع.

أذكر من ذلك ما يرويه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه عن الرسول ﷺ أنه قال: «**مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجّة: ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة**،

(١) بهجة النفوس في تجويد كلام القدوس، الجزء الثاني ـ ص٦٤٨.

رفع المسهم

لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة: ريحها طيب وطعمها مرّ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة: ليس لها ريح وطعمها مرّ»[١].

تأمَّل معي ــ عزيزي القارىء ــ كيف يبين الرسول الكريم أثر القرآن عندما يتلوه المؤمن فيكتسب أثرًا طيِّبًا أو رائحة طيِّبة يسعد بها هو ومن حوله، إضافة إلى ما يزكيه في نفسه وفي أعماقه من سمو الروح ونبل الخُلُق؛ فهذا المؤمن يتأثَّر بالقرآن، ومن ثمَّ يؤثِّر هو في غيره، ولا تخفى آثار تلاوته وارتباطه بالقرآن على أحد ممن يعرفونه... والعكس صحيح لا شك في ذلك.

وإذا كانت تلاوة القرآن وتدبره والعمل بما فيه من أفضل العبادات، ومن أعظم الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى خالقه، ويبتغي منه الأجر والثواب؛ فإن الجانب الذي ينبغي تأكيده في هذا المقام هو أن صاحب القرآن الذي يعمل على تلاوته، وتدبُّره، أو حفظه وتعليمه عليه الإخلاص في هذا كله، أي أن تكون نيته خالصة في طلبه، وأن يجرد هذا العمل لوجه الله، ويجعل جهده في تعلُّمه وتعليمه: ليس لمراءاة الناس أو ابتغاء غرض من أغراض الدنيا، وإنما لوجه الله تعالى وطلبًا لرضاه وثوابه.

❑ ❑ ❑

(١) صحيح البخاري، المجلد الثالث، الجزء السادس ــ ص١٩٢. حديث رقم (١٤٤٣).

رفع المسيهم

[٣]
أثر قراءة القرآن في حياة الفرد والجماعة

مما لا شك فيه أن قارىء القرآن، والمرتبط بهذا الكتاب العظيم تلاوة وعملاً، تظهر عليه علامات ذلك العمل وتلك العبادة، وآثار ذلك تتجلى في ملامحه وسلوكه وتصرفاته وتعامله مع كل ما حوله، في علاقته مع نفسه، ومع ربه، وأهله، ومع الآخرين.

لقد كان للقرآن الكريم أثر عظيم الشأن في نفوس العرب، فقد غيَّر شخصياتهم، وغيَّر أخلاقهم وسلوكهم وأسلوب حياتهم، وصاروا بفضله أفرادًا ذوي مبادىء وقيم نبيلة، وأصبحوا بفضله مجتمعًا متحدًا متعاونًا منظمًا، مما أدى بهم إلى أن يهزموا أعداءهم، وينشروا الدين الإسلامي في بلاد العالم.

وللقرآن الكريم أثر كبير في النفس عند من يستمع إليه، فالاستماع إلى القرآن له وقع عظيم في الفؤاد، وفي الروح، ألم يحرص الكفار على ألا يسمع أحد منهم القرآن، مخافة أن يتأثر به ويؤمن بما فيه؟ لأن كل مَن يسمع كلام الله يجد له تأثيرًا بالغًا في نفسه، وحلاوة ليس بعدها حلاوة في قلبه وذهنه. وقصة الوليد بن المغيرة مع الرسول ﷺ معروفة، تدل دلالة واضحة على أن القرآن الكريم له تأثيره القوي حتى في نفوس الذين لا يؤمنون به.

رفع المسلم

يُذكر أنَّ الوليد بن المغيرة حين سمع القرآن من النبي ﷺ رق له، وتأثر به، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه محاولاً صرفه عن التأثُّر بالقرآن أو القول عنه قولاً حسنًا، وطلب إليه أن يقول فيه ما يدل أنه كاره له، فرد عليه الوليد بقوله: وماذا أقول؟ **والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمُثمر، وإن أسفله لمُغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وإنه لَيَحْطُمُ ما تحته**(١).

ولذلك يمكن القول إن الاستماع إلى القرآن من أبرز الأسباب التي تعمل على التدبر والتجاوب والتأثر وتعظيم كلام الله، وتقديره، وتطبيقه على النفس تمهيدًا للعمل به.

وإذا جاز لي أن أتقصى أثر القرآن الكريم: تلاوته والاستماع إليه والعمل بما فيه ـ بالمعنى الذي أشرت إليه سابقًا ـ، فإنه يمكن الإشارة إلى الجوانب التالية التي تدل دلالة واضحة على أثر القرآن في حياة الفرد والجماعة، وهي غيضٌ مِن فيضٍ هذا الكتاب المبارك، كتاب الله عز وجل.

أوّلاً: قراءة القرآن تُكسب الإنسان المؤمن به نورًا يضيء وجهه وملامحه، وتمنحه مهابة بين الناس، وتحمل الآخرين على احترامه وتقديره، وتجعل له مكانة عالية في مجتمعه. قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ۝٤٠﴾ [النور].

وهذا النور الذي ينعم المؤمن به إنما استمده من القرآن العظيم، الذي يزرع في أعماقه الإيمان بالله، وإذا قيل إن النور في تلك الآية أو غيرها قد يقصد بها الإيمان بالله، يمكن الرد على ذلك القول بأن الإيمان إنما هو من كتاب الله، وتدبر آياته والتفكر في معانيه، وقد قال الله تعالى وهو يعد

(١) مباحث في علوم القرآن ـ ص٢٦٦ ـ ٢٦٧.

رفع المسيهم

المؤمنين الصالحين بالجنة: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [الحديد].

ثانيًا: قراءة القرآن تمنح المؤمن الشعور بالرضا والأمن والأمل، وتجلب له الهدوء والاستقرار والأمن الروحي والقلبي الكامل.. إنها السكينة التي تعمر القلب فلا يدخله خوف ولا حزن، ولا يخالج صدر صاحبه شك أو قلق.. وهي السكينة التي ملأت قلب رسولنا الكريم يوم الهجرة مع صاحبه أبي بكر، وذلك حين كان الكفار يحدقون بالغار، ومشاعر الخوف والإشفاق تملأ نفس أبي بكر على الرسول، ولكن النبي يرد عليه وهو مطمئن متوكل على خالقه: «**ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟**».

ثالثًا: القرآن الكريم كتاب الله وكلام الله، ولذلك فهو يخاطب ملَكات خفية في النفس لا يعرفها الإنسان نفسه، ولكن الله يعرفها، وهي ملكات تنفعل حين يقرأ المؤمن القرآن، ومن هنا فقد حرص الكفار على عدم سماع القرآن حتى لا يميلوا إليه ويتأثّروا به. إنَّ شعور الكفّار بالقوّة والقدرة للقرآن على النفس البشريّة جعلتهم يمنعون أتباعهم من سماع القرآن، ويعتدون على من يتلوه أمامهم.. خوفًا من التأثير القوي الذي يحدثه هذا الكتاب العظيم في نفوسهم، لأنه يجذب النفس المؤمنة وغير المؤمنة إلى الإيمان(١).

رابعًا: للقرآن الكريم تأثير كبير في نفس المؤمن الضعيف المتردِّد، حيث يزيد من ثقته بنفسه، ويزيد من قدرته على الصبر، وتحمُّل صعاب

(١) أثر القرآن الكريم في الأمن النفسي ـ ص١٢٤.

رفع المسهم

الحياة ومشكلاتها، وينشر في نفسه الطمأنينة وراحة البال، ويقيه من مشاعر القلق والاضطراب: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد].

خامسًا: لقراءة القرآن تأثير عظيم في تغيير الشخصية الإنسانية، وتعديل السلوك وأسلوب التعامل، بسبب ما يكسبه القرآن للفرد من قيم ومُثُل تهديه سواء السبيل، وبفضل القرآن ومبادئه يصبح أفراد المجتمع الواحد متعاونين متكاتفين.. تنظم علاقاتهم المحبة الخالصة، والمودة الدائمة التي تخلو من الاصطدام، بسبب ما يعكرها من مشاعر البغض والحسد والتنافر، والتباغض، والغرور والتعجرف.. كيف ذلك؟

لأن المؤمن إذا داوم على قراءة القرآن وتدبر معانيه، وعدَّ نفسه المقصود في كل خطاب وفي كل آية، فإنه بذلك يعيش في سلام مع الآخرين من أفراد المجتمع الذي يحيا وسطه، ويقوى في نفسه الشعور بحب الغير والعمل على خير الناس والمجتمع عامة..

ومما لا شك فيه أنَّ انتماء الفرد إلى الجماعة وانتشار المحبة الخالصة بين هؤلاء الأفراد ضمن علاقة إنسانية قوية لهي من أهم أسباب قوة المجتمع، وقوة الجماعة، ومقدرتهم على مواجهة الأخطار المحدقة بهم.

سادسًا: يكتسب المسلم من القرآن العظيم الإيمان، ومن هذا الإيمان يكتسب مكارم الأخلاق؛ فهذا الإيمان إنما يأتيه من مصدر سماوي يعلو على طبيعته الأرضية، فهي الأخلاق الكاملة، والكمال اقتراب من الله، والإسلام يقرن المثل الأعلى في الأخلاق وفي كل فضيلة بالصفات الإلهية: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [النحل].

رفع
المسـ هما

وكل صفة من صفات الله الحسنى محفوظة في القرآن الكريم، يتوسَّمها المسلم ليبلغ فيها غاية استطاعته حسب طاقة المخلوق(١).

إنَّ الأخلاق التي يهتدي بها المسلم من هَدي الأسماء الحسنى كثيرة ووافية ومبثوثة في كتاب الله، وهي خير ما يتحراه المسلم من مراتب الكمال، لأهميتها ونفعها في حياة الفرد والجماعة، ومنها: العزَّة، والقدرة، والمتانة، والكرم، والإحسان، والرَّحمة، والعفو، والصَّبر، والعدل، والصِّدق، والحكمة، والرّشد، والحِلم، واللّطف(٢).

سابعًا: قارئ القرآن له أجر كبير، وثواب عظيم عند الله، فكلما ارتبط الإنسان المسلم بكتاب الله، وداوم على تلاوته وتدبره، ارتقى عند ربه وارتفع قدره عند خالقه، والأحاديث كثيرة ومستفيضة بهذا الشأن، يجد القارئ المتتبع لدلائل فضل تلاوة القرآن وتعهده بالحفظ والتدبُّر في كثير من الكتب التي تناولت هذا الجانب.

ولا بأس مِن ذكر بعض مِن هذه الأحاديث؛ فهي أحاديث لا يمل القارئ قراءتها، وكلما قرأها شعر أنه يقرؤها للمرة الأولى.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**يقول الله سبحانه وتعالى: مَن شغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفضل كلام الله سبحانه وتعالى على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه**»(٣).

---

(١) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ـ ص٢٨٧.

(٢) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ـ ص٢٩٣.

(٣) الجامع الصحيح (سنن الترمذي) الجزء الخامس، ـ ص١٨٤، الحديث رقم (٢٩٢٦).

رفع المساهم

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **«يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق، ورتِّل كما كنت ترتِّل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»**(١).

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ لله أهلين من الناس**، قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: **هم أهل القرآن، أهل الله وخاصَّته»**(٢).

ولا شكّ أنَّ صاحب القرآن، الذي شغل نفسه بتلاوته والعمل به موضع حسد من الآخرين، يغبطه غيره على ما تفضل الله عليه من نعمة ما بعدها نعمة. عن ابن عمر رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: **«لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار»**(٣).

ومن فضل الله وإحسانه على عبده أن الأجر والثواب ليس لقارىء القرآن والمتعهد بحفظه وطلبه فحسب، بل إنه يكون سببًا في الإحسان إلى والديه اللذين اجتهدا في تربيته، وعملا على دفعه إلى قراءة القرآن.

عن معاذ بن أنس رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«مَن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس الله والديه تاجًا يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا، فما ظنكم بالذي عمل بهذا؟»**(٤).

---

(١) سنن الترمذي ــ ص٦٥١، حديث رقم (٢٩١٤).

(٢) سنن ابن ماجه ــ ص٥٥، الحديث رقم (٢١٥).

(٣) صحيح البخاري، المجلد الثالث، الجزء السادس ــ ص٥٩٤، الحديث رقم (١٤٤٨).

(٤) جلال الدِّين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، الجزء الثاني ــ ص٤٢٧.

رفع المسهم

فما أعظمك يا ربّ! وما أعظم ثوابك لعبدك.. سبحانك.. جلَّ شأنك.

ثامنًا: لقراءة القرآن الكريم أثر كبير في طِيب المخبر والمظهر، فيكون المؤمن القارىء للقرآن طَيِّب السريرة، صادق النيّة، وظاهره كذلك مثل باطنه، إن خبرت باطنه وجدته صافيًا نقيًّا صادقًا، وإن راقبت سلوكه وجدته حسنًا طيبًا يجبرك على احترامه.

تاسعًا: في قراءة القرآن والمداومة على تلاوته علاج للكثير من أدواء القلوب وأمراض النفوس؛ لأن القرآن الكريم فيه طاقة روحية هائلة ذات تأثير بالغ الشأن في نفس الإنسان، فيهز وجدانه ويحرك مشاعره.. ويوقظ فيه الإدراك والتفكير والبصيرة، ويبعد عنه عوامل القلق والاضطراب وغيرها من الأمراض التي تهدد الصحة النفسية للفرد المسلم في عصر تتعقد فيه أمور الحياة ويزداد فيها الاهتمام بالماديات، ويسود الصراع والتنافس من أجل تحقيق المكاسب المادية، ومن ثم يقع الإنسان فريسة القلق والهم، ولذلك فهو بحاجة إلى الطاقة الروحية التي تمده بالقوة والقدرة على مواجهة مكاره الحياة، دون أن يقع تحت تأثير الأمراض النفسية.

فالمؤمن الحق الذي يتخذ من القرآن الكريم رفيقًا له وهاديًا له، لا يمكن أن يداخله خوف أو قلق مهما تكن مشكلاته، والتحديات التي تواجهه.

وليس أجمل من أن أختم هذا الجانب الذي تحدثت فيه عن فضل القرآن وأثره في حياة الفرد والجماعة بحديث يمس شغاف القلب ويلامس سويداء الفؤاد، جمع الكثير من الفضل والنفع في عدة سطور، حديث للنبي الكريم ﷺ في أسلوب رفيع وتعبير بديع.

رفع المسـتهم

قال الرسول ﷺ: «إنَّ هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله وهو النور المبين والشفاء النافع؛ عصمة لمن تمسَّك به، ونجاة لمن اتبعه؛ لا يزيغ فيستعتب، ولا يعوج فيقوَّم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يَخْلَق من كثرة الرد.. اتلوه فإنَّ الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات، أما إنِّي لا أقول الٓمٓ حرف، لكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»[1].

صَدَق الرَّسول الكريم ﷺ.

❑ ❑ ❑

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الجزء الأول ــ ص٥.

رفع
المسيهما

[٤]

القرآن الكريم واللغة العربية

لغتنا العربية من اللغات الحية القادرة على العطاء المستمر، تستوعب حاجات العصر، وتلبي متطلباته العامة، وتستجيب لكل جديد، وتساير النهوض العلمي والتطور الحضاري، إنها لغة واسعة مرنة لها قدرتها على الاشتقاق والتوليد، شاء الله لها الحيوية والديمومة والخلود.. وكل ذلك تأكد بسبب القرآن العظيم.

وتتّفق المعاجم على أنَّ اللغة عبارة عن: أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، **وجمعها**: لُغًى ولغات[١].

وعندما نقول: (اللسان) فإنّ ذلك يعني اللغة أيضًا، وجمعها ألسن. واللغة إنما هي نطق يعبر عن فكرة أو عاطفة، **ومجازًا**: هي كل وسيلة تعبر عن فكرة أو عاطفة، فيقال مثلاً: لغة القلم، ولغة العين، ولغة الإشارة.. الخ.

واللغة العربية التي نقرأ بها ونكتب بها هي من أرقى اللغات الساميّة، بل هي أرقاها وأوسعها وأغناها من ناحية الألفاظ والاشتقاقات[٢].

(١) المعجم الوسيط ج ٢ ــ ص٨٣١.

(٢) المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث ــ ص٩.

ولقد نزّل الله كتابه العزيز بلسان عربي مبين، بلغة عربية هي لغة قريش، اللغة المُضرية، ولقد كان للعرب قبل الإسلام لهجات شتى ـ مثل: الحِمْيرية والسبئية والمعينية ـ منتشرة في جزيرة العرب، وقد دثرت جميعها، ولقد حفظ القرآن الكريم أساس اللسان العربي سليمًا من الاندثار، ولولا القرآن لما كان مستبعدًا أن يكون اليوم لكل قطر عربي لغته الخاصة.

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين واضح، تؤكده الآيات القرآنية الكثيرة في الكتاب العزيز؛ قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ [يوسف]. وقال تعالى في موضع آخر: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء].

وقال عز وجل: ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الزخرف].

نزّل الله القرآن الكريم على رسوله ﷺ بلغة العرب، بلسانهم، وهم أرباب الفصاحة والبلاغة والبيان، وتحداهم بهذا القرآن المعجز، فعجزوا أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور مثله، أو بسورة من مثله، فثبت له الإعجاز، وبإعجازه ثبتت الرسالة المحمدية[1].

ومع نشوء اللغة وتطورها وتساميها، وازدياد قدرتها على العطاء بقيت عاجزة قاصرة أمام أسلوب القرآن وإعجازه اللغوي، وتتابعت القرون لدى أهل العربية، وظل الإعجاز القرآني اللغوي راسخًا كالطود الشامخ تذل أمامه

(١) مباحث في علوم القرآن ـ ص١٨.

رفع المسابهم

الأعناق خاضعة، لا أحد يفكر في أن يدانيه، وستظل اللغة بهذا المستوى من الإعجاز حتى يوم الدين[١].

وحيثما يقلِّب الإنسان نظره في القرآن الكريم يجد أسرارًا من الإعجاز القرآني اللغوي: في نظامه الصوتي البديع، وفي ألفاظه الوافية بكل معنى وفكرة في الموضع المناسب، وفي ضروب الخطاب، وفي وسائل إقناع العقل، وإمتاع العاطفة، وفي حسن النظم وبديع التأليف.. فيتأكد بذلك أنه مما لا يقدر عليه بشر.

إن أسلوب القرآن هو مادة الإعجاز العربي في كلام العرب كله، وليس في القرآن شيء إلاَّ وهو معجز، إن هذا الأسلوب هو الذي قطع العرب عن معارضته، واعتقلهم عن الكلام وضربهم بالحجة من أنفسهم، وليس من شيء في أسلوب القرآن يغض من موضعه، أو يذهب بطريقته أو يدخله في شبه من كلام الناس، أو يرده إلى طبع من طباع البلغاء، وما من عالم أو بليغ إلاَّ ويعرف أنه ليس من كلام الإنسان، فإنَّ القرآن ينفرد بأسلوبه المعجز لأنه ليس عملاً إنسانيًا البتة[٢].

يقول أحد الكتاب في هذا المجال: (كلما أمعنتُ النظر والتدقيق والموازنة ازددتُ بذلك يقينًا وبصيرة، وانتهيتُ إلى حقيقة مسلَّمة بالنسبة إليّ وهي: أنَّ هذا القرآن لا يمكن أن يكون من كلام بشر، وأنَّ الخلق أولهم وآخرهم لو اجتمعوا على أن يفعلوا مثل ذلك ما قدروا عليه ولا قاربوا)[٣].

---

(١) مباحث في علوم القرآن ــ ص٢٦٦.

(٢) تاريخ آداب العرب/ ج٢ ــ ص١٨٨ وص٢٠٣.

(٣) التعبير القرآني ــ ص٨.

وفي ضوء الحقائق السابقة.. يمكن القول: إنَّ نزول القرآن الكريم باللغة العربية واللسان العربي، قد شكل انعطافًا كبيرًا في تاريخ هذه اللغة التي كرَّمها الله وجعلها لغة السماء، مخاطبًا بها أهل الأرض قاطبة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

لقد وقف العرب أمام القرآن الكريم موقف المتأمل والمتدبر.. كانوا أمام كتاب بهر عقولهم وهيمن على قلوبهم، وشغلهم كما لم يشغلهم شيء من قبل، فعملوا على حفظه وصيانته ودراسته في دقة بالغة.

وانبرى في هذا المجال علماء العربية للبحث في أسرار هذا الكتاب المعجز، والكشف عن معانيه ونواحي الإبداع فيه، فكان أن نشأت العلوم المختلفة وازدهرت بمرور الأيام، فأثمر ذلك نشوء النحو العربي، والصرف العربي، وظهرت المعاجم والمؤلفات، وعمد بعضهم إلى تصنيف القراءات، وبحث آخرون في المجاز والبيان والبديع، وغيرها الكثير من العلوم التي ما قامت إلا بداعي حفظ القرآن، وسبر أغواره، وتذليل صعابه.. وكل ذلك أدى في النهاية إلى خدمة اللغة العربية، والعمل على صيانتها وسلامتها وزيادة نموها وتطورها.

ويتبين للباحث في هذا المجال أن علماء العربية نظروا للغة العربية نظرة إجلال وتعظيم وتقديس؛ ذلك لأنها لغة القرآن، اللغة التي كرَّمها الله فكانت اللسان الذي تكلَّم به عزَّ وجلّ، وغدت صيانتها صيانة لكتاب الله، كذلك فإن صيانة القرآن ضمان لسلامتها وديمومتها وحفظها ولذا فهي خالدة بخلود القرآن(١).

❑ ❑ ❑

---

(١) سلامة اللغة العربية ــ ص٢٠ ــ ص٢١.

[٥]
اللغة العربية وقراءة القرآن

إذا كان العرب برغم فصاحتهم وبراعتهم وكونهم أصحاب البيان واللغة الرفيعة، الذين أعجزهم القرآن بلغته وبيانه، وأسلوبه البليغ، وأسراره الدفينة، قد وقفوا مبهورين، وعملوا جاهدين من أجل الولوج إلى هذا الكتاب العظيم، وفهم معانيه، وتدبر أحكامه، وهم على ما عُرفوا به من فطرة سليمة، وفصاحة في الكلام، وبلاغة في التعبير.. والتزموا في لغتهم بقواعدها وتراكيبها دون أن يكون لديهم علم بهذه القواعد النحوية المجرّدة، أو يكون قد وضع علمًا لكي يعرف ويحتذى به، إنما كانت لغتهم عالية بليغة على طبائعهم وسجاياهم، فهو نحو فطري.. وهو ما يسمِّيه علماء اللغة: بدايات النشوء اللغوي، والأساس الذي اعتمده المجهود العقلي بعد ذلك لتطوير اللغة وإغنائها.

أقول: إذا كان العرب القدامى الذين سلمت فطرتهم، وصحَّت سليقتهم.. يستقبحون اللحن ويرَوْنه مستهجنًا في نظرهم، يشوه العبارات ويقلب المعاني.. فماذا نقول نحن الآن؟.

نعم، إذا كان الأمر كذلك.. فماذا نقول نحن اليوم؟. ماذا نقول والواقع المؤسف الذي نعيشه في وقتنا الحاضر؛ حيث اللغة العربية تعاني

رفع المسابهم

ما تعانيه من نفور وإعراض من أبنائها؟ ماذا يمكن القول والواقع الحالي يشير إلى الضعف المتفشي في اللغة العربية في جميع جوانبها وهي لغة القرآن الكريم. . وهي لسان الذكر الحكيم؟

وكيف يمكننا تلاوة القرآن وتذاكره واللغة العربية تُقتل بألسنة أبنائها مئات المرات يوميًا وعلى جميع المستويات؟!

إنَّ واقع لغتنا العربية مؤلم حقيقة، سواء أكان ذلك في المؤسسات التربوية كالجامعات والمدارس، أم في مجال الإعلام وفي الصحافة والإذاعة والتلفزيون، أم في الأدب الموجه مثل المسرح ووسائل التعليم الأخرى من أشرطة وغيرها من أدوات ومواد تعليمية تثقيفية منتشرة على أوسع نطاق.

إنَّ اللغة العربية تواجه تحديات وأخطارًا تهددها في كل يوم. . وهذه الأخطار بدأت منذ القديم مع بدايات ظهور اللحن في اللغة وفي قراءة القرآن، وتوالت الأخطار التي راحت تُحْدق بالأمة العربية الإسلامية، تلك التي شكلت عوامل متضافرة ساهمت في انتشار الضعف في اللغة العربية تحدُّثًا وقراءة وفهمًا، ومن ثَمَّ الإعراض عن تعلمها واستخدامها. . وكراهية قواعدها والاعتقاد بأنها ليست ذات أهمية أو قيمة في الحياة.

❑ ❑ ❑

[٦]

الضعف العام في اللغة العربية (المظاهر والأسباب)

لا مناص من الاعتراف بالضعف العام السائد بين الناس في اللغة العربية، قراءة وتحدثًا، ويتبع ذلك القصور في فهم المقروء أيضًا، والمصيبة تكبر وتتجلى عند الكتابة باللغة العربية.

ويظهر الضعف في اللغة عند الكبار والصغار، عند المثقفين والمتعلمين، وعند من فاتتهم فرصة التعليم اللازم، كل ذلك بشكل يبعث على الأسى.

فعند الحديث أو التعبير عن فكرة أو رأي لا يكاد يفلت متحدث من الخطأ مهما تكن سيطرته على قواعد اللغة العربية قويّة، ومعرفته بنظام العربيّة متينة، حتى معلِّمي اللغة العربية ذاتها، على الرغم من تفهمهم لقواعد اللغة، وخبرتهم في تطبيقاتها نراهم كثيرًا ما يخطئون.. والغريب أنك ترى أحدهم يُحسن الكتابة ويراعي قواعد اللغة، ولكنه عندما يتحدث أو يقرأ.. تعجب من أخطائه كل العجب.

وإنك لتعجب أكثر ويأخذك الذهول عندما ترى الأخطاء النحوية والإملائية تملأ كتابات المثقفين وأصحاب القلم والمدرسين، فتأسف على

هذا الواقع الذي آلت إليه هذه اللغة الراقية على ألسنة وأقلام أبنائها. . فكيف نرضى بهذا الوضع؟ وماذا ننتظر من غير العرب أو ممن هم لا يجيدون العربية، ويرغبون في تعلم القرآن وتلاوته وحفظه؟!

أمّا في مجال الإذاعة والتلفزيون، فإن المذيعين ومقدِّمي البرامج يتبعون شعار (سَكِّن تَسْلَم) هربًا من الحركات، فهذا سبيل معظمهم، وهم عند قراءة المكتوب أمامهم يقطعون الكلمات، ويبدلون الحركات ويغيرون في الصفات. . كأنهم أعاجم وليسوا من أبناء العربية، والمستمع المسكين تصك أذنيه هذه الأخطاء في كل حين.

وإذا شاء الله لأحد أن ينتبه إلى المكتوب في الإعلانات واللافتات التي تملأ الشوارع، فإن الأخطاء الإملائية والنحوية التي سوف يراها مما تنبو له العين، ويتحسر له الفؤاد. .

وإذا تحدثت عن الحصيلة اللغوية التي يمتلكها الفرد اليوم فهي ضعيفة، ومحدودة، وليس لها من سبب واضح لا شك فيه غير أن القراءة قليلة، بل تكاد تكون معدومة. . فمن ذا الذي يقرأ اليوم؟ قليلون هم الذين يجالسون الكتاب، ويسبحون في أرجائه بغية المتعة والنفع والمعرفة.

أما إذا سألت عن القواعد النحوية فما أثقلها على قلوب أبنائنا وبناتنا! وما أشد نفورهم من تعلمها! وما ذاك إلا لعقم الطرائق المستخدمة في تدريسها منذ سنوات، وعدم تطورها بالرغم من تطور المناهج والبرامج التعليمية وتحديث الكتب الدراسية.

إن قواعد اللغة العربية صعبة ومتشعبة وبخاصة تلك التي بنيت على أسس منطقية وفلسفية فزادتها تعقيدًا وصعوبة، مما جعلها مكروهة بغيضة إلى نفوس أبنائنا وبناتنا. . فكرهوا بذلك اللغة بكاملها.

رفع المسيَّهم

أذكر في هذا المجال ما قرأته عن ذلك الشاب الذي كان يعتبر ضبط قواعد النحو العربي أصعب عليه من موت أبيه؛ فقد روي أن ابن علقمة النحوي دخل عليه ابن أخ له فقال له: ما فعل أبوك؟ قال: مات، قال: وما فعلت علته؟ (أي مرضه) قال: ورمت قدميه، قال: قل قدماه، قال: فارتفع الورم إلى ركبتاه، فقال: قل ركبتيه. فقال: دعني يا عم، فما موت أبي بأشد عليَّ من نحوك هذا(١).

لقد بقي النحو متشعبًا معقدًا حتى وقتنا الحاضر، ويعتبر من أكبر المشكلات التي يواجهها المتعلمون، ويعاني منها المعلمون، ولذلك فإن الطلبة يدرسون النحو بغية الحصول على الدرجة فحسب، وبعد اجتياز الامتحانات ينسون كل ما تعلَّموه، وتراهم يجهلون أبسط القواعد النحوية، حتى أن قليلاً منهم من يستطيع استخدام حروف الجر وتوظيفها التوظيف السليم فيجر الاسم الذي ينبغي له الجر، وهذا أيسر ما في النحو العربي(٢).

الأسباب التي أدَّت إلى الضعف السَّائد:

وإذا أراد أحدنا معرفة الأسباب التي أدت إلى الضعف السائد في اللغة العربية بين الناس، فإنها كثيرة ومتعددة... وقد خاض فيها الكثير من الكتَّاب والتربويين، **وهي ترجع إلى عدة جهات** تعتبر مسؤولة عن تفشي هذا الضعف، **أذكر منها العوامل التالية** ــ مستعينة بعدد من المراجع، ومستفيدة من خبرتي المتواضعة في هذا المجال ــ:

---

(١) أخبار الحمقى والمغفلين ــ ص١٢٢.

(٢) سلامة اللغة العربية ــ ص١٦٦.

١ ـ العامل النفسي الذي أشار إليه أحد الكتّاب[١] في حديثه عن أسباب الضعف في اللغة العربية، والمقصود به ما دخل في رُوعنا أن اللغة العربية لغة صعبة، معقدة، كثيرة القواعد مع اختلاف الآراء فيها، كذلك الكتابة العربية وما فيها من مشكلات الهمزة والألف وما يُنطق ولا يُكتب، وما إلى ذلك من ظواهر شكلت عائقًا كبيرًا أمام المتعلمين.

ولعلّ السبب في ذلك ما عمد إليه المستعمرون الذين عادوا اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن، ووعاء الدين والعقيدة، وعنوان التاريخ والأصالة، فأثاروا المزاعم الباطلة حولها، قصد التفريق وبث الشكوك في مقدرة اللغة وإمكاناتها.

٢ ـ ضعف القراءة وقلة المطالعة، إذ من المعروف أن المطالعة تقوي المقدرة اللغوية، وقلتها تضعف اللغة وتجعل الثقافة محدودة، وبسبب عدم اهتمام ذوي الكفاءات في الميادين المختلفة بالقراءة ساد الضعف العام في الأداء اللغوي، فترى المؤلف والمذيع والمحاضر والمعلم تشيع في قراءاتهم وكتاباتهم الأخطاء اللغوية، ومن هنا يتعوَّد أبناؤنا وبناتنا سماع الأخطاء وتنقلب الآية، فيصير الخطأ هو الصواب في أعين الناس، ومن هنا يمرون على أخطاء اللغة مرور الكرام، لا يقيمون لها وزنًا في القراءة أو الكتابة. . .

٣ ـ الملاحظ أن علم اللغة أو علم الأصوات في اللغة العربية لم يأخذ حظه من العناية في مناهجنا أو مدارسنا، على الرغم من أهميته في دراسة اللغة وتطبيق جوانبها في الأداء والنطق السليم، ولو كان أبناؤنا وبناتنا

(١) في فقه اللغة وقضايا العربية ـ ص١٤٣.

رفع المسيّهم

في المدارس قد درسوا جانبًا ولو بسيطًا عن جهاز النطق عند الإنسان وأعضاء الجهاز النطقي وكيف يحدث الصوت وتتكون الحروف. . لما وجدوا صعوبة في القراءة الصحيحة والأداء الجيد المتقن، وهذه مشكلة واضحة يواجهها كثيرون ممَّن ينخرطون لدراسة التجويد وأصول التلاوة الصحيحة.

٤ ــ الضعف في قواعد النحو العربي يعود إلى الاعتقاد السائد حتى وقتنا الحاضر بأن النحو غاية في حد ذاته، وفي الحقيقة أنه وسيلة لضبط اللسان وصونه عن الخطأ، ولكن هذا الهدف تغير، وانحرف وانقلب، وأصبح النحو غاية لا وسيلة، وصارت قواعده تحفظ وسرعان ما تتبخر من الأذهان؛ لأنها لا توظف ولا يعنى بتطبيقها قراءة وكتابة وتحدثًا.

ومن المعروف أن النحو العربي ما قام إلا بهدف صيانة اللسان وعصمته من الخطأ والزلل، وتدريس النحو ودراسته إنما هو السبيل إلى غاية كبرى وهي حسن الأداء وسلامة اللغة وجَودة الفهم(١).

فما الفائدة من تدريس قواعد النحو وحشو الأذهان بقضاياه إذا لم يحقق ذلك الهدف؟

٥ ــ لمعلم اللغة العربية، ولمعلِّمي المواد الدراسية الأخرى دور كبير في إحداث هذا الضعف الذي يعيب أداء المتعلمين من الطلبة وغيرهم، ويحول دون فهمهم وحبهم للعربية، إذ لا يكفي أن يكون معلم اللغة العربية معدًّا إعدادًا أكاديميًّا وتربويًّا جيِّدًا.

إنَّ التدريس علم وفن، فلا بد أن يكون معلم اللغة محبًّا لها، غيورًا عليها، قادرًا على توصيل قواعدها وتسهيلها وتقريبها إلى ذهن المتعلم، وأن

(١) سلامة اللغة العربية ــ ص١٦٦.

رفع المسهم

يكون حاسمًا في تقويم أداء المتعلمين، لا يتساهل معهم في الأداء اللغوي، بل إن عليه التدقيق والمحاسبة، حتى لا يستمر الخطأ عند الطالب فيصبح بمرور الأيام هو الصواب في اعتقاده.

كذلك فإنَّ معلِّمي المواد الدراسيَّة الأخرى عليهم ألَّا يساهموا في زيادة هذا الضعف، بعدم اكتراثهم أو سوء أدائهم، بل إنَّ مِن واجبهم الديني والقومي أن يعدّوا أنفسهم معلِّمين للغة العربيَّة، لغة القرآن، ولسان الأُمَّة العربيَّة والإسلاميَّة.

٦ ـ اللهجات العامية من أخطر التحدِّيات التي واجهت اللغة العربية، وأدت إلى تشويه صياغة الألفاظ العربية، واندرجت اللغة تحت وطأة اللهجات الدارجة في كل قطر وفي كل بلد، ودخلت الألفاظ الأعجمية، ونشأت لغة جديدة صارت هي لغة التعبير بعيدة عن لغتنا القوية الرصينة، وظهر للعامية أنصار ومؤيدون تأثروا بأساليب المستعمر ومزاعمه بأن اللغة العربية قاصرة عن استيعاب العلوم المعاصرة، فانصرف الناس عنها إلى اللغات الأجنبيّة أداة للتعبير والتواصل والتعلم.

٧ ـ الغزو الثقافي الغربي، والعولمة بأخطارها، وثورة الاتصالات ووسائل التكنولوجيا الحديثة، والمغريات الكثيرة التي تصرف الناس عن القراءة، وتجعل جُلَّ اهتمامهم بالجوانب اليسيرة السهلة، وسيادة اللغة الإنجليزية بخاصة وغيرها من اللغات بعامة، أدخل في أذهان الناس أن اللغة العربية لا قيمة لها، ولا مكانة لها بين اللغات في هذا العصر الذي نعيشه، فكل ما حولنا يكرس هذا الاعتقاد، ويقويه ويغرس في نفوس الأبناء والبنات حب اللغات الأخرى والإقبال عليها لسهولتها ــ حسب اعتقادهم ــ وينفرهم من اللغة العربية لغة قرآنهم ودينهم.

رفع المسار

ولعل تعقد الحياة وصعوبتها، واطراد التقدم في الآلات والأجهزة ساهم كثيرًا في خلق البلادة والكسل والخمول، والاتكالية، واختيار أيسر الطرق لتحقيق الأهداف، دون الحاجة إلى بذل الجهد والعناء في التعلم.

ويحضرني وأنا أسترسل في الحديث عن الضعف في اللغة العربية قصيدة كتبها الشاعر الكبير حافظ إبراهيم في بداية القرن العشرين.. وهو الشاعر الغيور على اللغة العربية، المحب لها، المتألم لما وصلت إليه في أيامه من ضعف، وما واجهته من هجوم وتشكيك في مقدرتها على النمو والتطور، وصلاحيتها للعلوم الحديثة.

ولقد انبرى هذا الشاعر بعاطفة قوية وحماس شديد يدافع عن اللغة العربية؛ وذلك لأنه يحب أن تظل لغتنا حية قوية، وتأخذ مكانتها اللائقة بها.

إنني أتساءل: لو قُدِّر لهذا الشاعر أن يكون معاصرًا لنا واللغة العربية تعاني من هذا الإعراض والنفور، وتكابد من هذا الضعف الذي غدا سمة من سمات أبناء العربية.. لو قدر له ذلك.. ماذا سيكون موقفه؟

إنَّ القصيدة التي أشير إليها تصلح لنرددها على ألسنتنا اليوم، وهي بعنوان [**اللغة العربية تنعي حظها بين أهلها**][1]، نُشرت عام ١٩٠٣م، واخترت منها هذه الأبيات المعبرة:

وسعتُ كتاب الله لفظًا وغاية ... وما ضقتُ عن آيٍ به وعظات
فكيف أضيقُ اليوم عن وصف آلة ... وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر في أحشائه الدر كامن ... فهل سألوا الغوَّاص عن صدفاتي

---

(١) ديوان حافظ إبراهيم ـ ج١ ـ ص٢٥٣ ـ ٢٥٥.

فيا ويحكم أبلى وتُبلى محاسني ... ومنكم وإن عز الدواء أساتي[١]

فلا تكلوني للزمان فإنني ... أخاف عليكم أن تحين وفاتي

أرى لرجال الغرب عزًّا ومنعة ... وكم عزَّ أقوام بعز لغاتِ

أيُطربكم من جانب الغرب ناعب ... ينادي بوأدي في ربيع حياتيَ

أرى كل يوم بالجرائد مزلقًا[٢] ... من القبر يدنيني بغير أناة

أيهجرني قومي ـ عفا الله عنهم ـ ... إلى لغة لم تتصل برواة

فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة ... مشكلة الألوان مختلفات

إلى معشر الكتَّاب والجمع حافل ... بسطت رجائي بعد بسط شكاتي

فإما حياة تبعث الميت في البلى ... وتُنبت في تلك الرموس[٣] رفاتي

وإما ممات لا قيامة بعده ... ممات لعَمري لم يقس بمماتِ

□□□

(١) الأساة: جمع الآسي، وهو الطبيب المداوي.

(٢) المزلق: الزلل والسقوط.

(٣) الرموس: القبور.

[٧]

ما علاقة اللغة العربية بتجويد القرآن الكريم؟

إنَّ العلاقة بين اللغة العربية وتجويد القرآن الكريم تبلغ من الارتباط والقوَّة والمتانة بحيث لا تحتاج إلى ما يؤكِّدها أو يثبتها، إلَّا أنَّ كثيرين يغفلون عن هذا الجانب، ولا يلقون له بالاً، أو ربما تكون المسألة غير واضحة بالنسبة لهم، ومِن هنا تنشأ المشكلة وتقف العقبات أمام مَن يرغب في دراسة قواعد التِّلاوة الصَّحيحة، ويتطلَّع إلى تجويد قراءة الكتاب المبين كما ينبغي له.

والارتباط الوثيق بين القرآن الكريم واللغة العربية قد يجيز لي القول بأنَّ العلاقة بينهما علاقة الأصل بالفرع، أو أنَّ الأجدر بـي أن أقول إنَّها علاقة الغاية بالوسيلة، فالقرآن الكريم هو الغاية وهو الهدف الذي نتطلَّع جميعًا إلى بلوغه، أمَّا اللغة العربيَّة فهي الوسيلة التي توصلنا إلى الغوص في كتاب الله، وفهمه وتدبُّره، وتلاوته التِّلاوة المتقنة التي تعين على ذلك التدبُّر والتفكُّر المطلوب.

ولا بدَّ لكلِّ فرد عازم على دراسة علم من العلوم مِن أن يعرف أُسس ذلك العلم، ومميزاته، وأن يكون على دراية بقواعده وأصوله، ولكي تكون

عنده تلك الدراية وذلك العلم لا بدَّ له مِن امتلاك آلة ذلك العلم، والأداة التي سوف يفتح بها مغاليق المجال الذي يرغب في خوضه، وبقدر علمه ودرايته بهذه الآلة يكون قد حقَّق الكثير مِن أهدافه.

ونظرًا لنزول القرآن الكريم بلسان عربي مبين، أي بلغة عربية فصيحة، فإن الآلة الأساسية التي يحتاج إليها القارىء، أو الراغب في تلاوة القرآن حق تلاوته إنما هي قواعد اللغة العربية وفق الأسس التي تم وضعها والاتفاق عليها من قِبل علماء اللغة والمهتمين بدراسة القرآن منذ القديم حتى العصر الحديث.

يقول أحد اللغويين العرب في العصر الحديث: (ما قرأت مرة في مطوَّلات النحو العربي إلا امتلأت إعجابًا بواضعيه، وإلا ازددت يقينًا بأنه ــ حتى الآن ــ أعظم صرح لغوي شُيد للغة من اللغات، ولا عجب في ذلك، فالذين قاموا على هندسته وتشييده بلغوا المئات بل الألوف، وكان بينهم عدد لا بأس به من ألمع العبقريات التي عرفها تاريخ البحث اللغوي، كالخليل بن أحمد وسيبويه والفارسي وابن جني.. وغيرهم، عبقريات وقفت كل قدراتها على خدمة هذه اللغة، وعملت في همة لا تعرف الكلل، وحماسة لا توجَد إلا عند من يعتقد أن عمله ضَرْبٌ من العبادة والتبتُّل[١]).

ويكاد الدارسون يُجمعون على أن النحوَ العربيَّ نشأ أساسًا لحفظ القرآن من اللحن[٢]، لأن هذا اللحن في رأي كثير من الكتَّاب والباحثين هو السبب المباشر في وضع النحو العربي.

---

(١) المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، الجزء الأول ــ ص٣ (المقدمة).

(٢) الفصل الثاني من هذا الكتاب يتناول اللحن في شيء من التفصيل.

والحقيقة أن اللحن يشكل سببًا من ثلاثة أسباب دعت إلى وضع النحو العربي ـ كما يقول أحد الكتاب ـ وهذه الأسباب هي[(١)]:

١ ـ فهم القرآن الكريم؛ باعتباره مصدرًا للأحكام الشرعية التي تنظم حياة المسلمين الاجتماعية والسياسية والدينية والاقتصادية.

ويذكر أن أول نشاط لغوي يسند إلى عبد الله بن عباس (المتوفى عام ٦٧هـ) عندما تحدث عن غريب القرآن، وذلك في ضوء الألفاظ المستعملة في الشعر الجاهلي، وهي المحاولات المبكرة لدراسة دلالات الألفاظ، وبالتالي فهم النص القرآني.

٢ ـ اللحن الذي أخذ يتفشى على ألسنة الأعاجم نتيجة الفتح الإسلامي، ودخول أمم غير عربية في الإسلام، جعل المسلمين يخشَون أن تمتد الرطانة إلى النص القرآني.

٣ ـ وضع قواعد لتعليم اللغة العربية بحيث يجد فيها هؤلاء الأعاجم العاصمَ لهم من الخطأ في الكلام، وبخاصة أنهم أقبلوا على تعلم العربية؛ لأنها لغة الفاتح لبلادهم، والأهم أنها لغة الدين ولغة القرآن.

إنَّ انحراف الألسن عن نهجها القويم السليم، وتفشِّي العُجمة بين الناس، حتى أصبحت السَّلامة من اللحن لا تتهيّأ إلا بالتحفظ والتأمل في مواقع الكلام، من العوامل التي دعت إلى اتخاذ مجموعة من الإجراءات تعصم اللسان من الخطأ، وقد كان للقرآن الكريم دور فاعل في اتخاذ مثل هذه الخطوات، لأن القرآن الكريم من أهم ما دعم اللغة العربية، فكان

(١) من تاريخ النحو العربي ـ ص١٤/ ١٥.

الخروج عليها يُعدّ مروقًا من الإسلام ومحاولة لنقضه؛ وبذلك ظلَّت العربية شامخة حتى في المحيط الأعجمي وبين ما يعاديها[(١)] .

هذا وقد أفردتُ في هذا الكتاب فصلاً تناولت فيه عددًا من الأبواب اللغوية التي أرى أنها أساسية ويحتاجها الدارس الراغب في تلاوة القرآن بلغة سليمة، من أجل فهم القرآن الكريم، ذلك لأنها أبواب تتصل بالنحو العربي كما تتصل بالقواعد والأحكام التي يدرسها طالب التجويد في كثير من المراكز التي تُعنى بتدريس هذا العلم في بلادنا وغيرها من البلدان.

❑ ❑ ❑

(١) سلامة اللغة العربية ــ ص٣٧.

المسلم

[٨]
التجويد وعلم اللغة

التجويد: مصدرٌ من الفعل جوَّد، والاسم منه: الجَودة، ضدّ الرَّداءة.

وهو في اللغة: التَّحسين، يقال: جوَّد الرَّجل الشَّيء إذا أتى به جيِّدًا، ويستوي في ذلك القول والفعل، ويقال لقارىء القرآن الكريم المحسن لتلاوته إنه «مجوِّد» إذا أتى بالقراءة مجوَّدة الألفاظ، بريئة من الجور والتحريف حال النطق بها.

وفي الاصطلاح: إخراج كل حرف من مخرجه، وإعطاؤه حقّه ومستحقّه من الصفات(١).

وليس التجويد بتمضيغ اللسان، ولا بتقعير الفم، ولا بتعويج الفم، ولا بترعيد الصوت، ولا بتمطيط الشدّ، ولا بتقطيع المد، ولا بتطنين اللغات، ولا بحَصْرَمة القراءات؛ قراءة تنفر منها الطباع وتمجُّها القلوب والأسماع.. بل هي القراءة السهلة العذبة، الحلوة اللطيفة، التي لا مضغ فيها ولا لَوك، ولا تعسُّف ولا تكلُّف، ولا تصنُّع ولا تنطُّع، ولا تخرج عن طباع العرب وكلام الفصحاء(٢). وقد أشار إلى ذلك

---

(١) هداية القاري إلى تجويد كلام الباري ـ ص٣٧.

(٢) بهجة النفوس في تجويد كلام القدوس، الجزء الأول ـ ص٧٧.

كله الإمام السخاوي (المتوفى عام ٦٤٣هـ) في منظومته بقوله:

لا تحسب التجويد مدًّا مفرطًا — أو مدّ ما لا مدَّ فيه لوانِ
أو أن تشدد بعد مدّ همزة — أو أن تلوك الحرف كالسكران
أو أن تفوه بهمزة متهوعًا — فيفر سامعها من الغثيان
للحرف ميزان فلا تك طاغيًا — فيه ولا تك مخسر الميزان(١)

إنَّ مصطلح علم التجويد لم يعرف بمعنى العلم الذي يهتمّ بدراسة مخارج الحروف وصفاتها وما ينشأ من أحكام عند تركيبها في الكلام المنطوق إلا في القرن الرابع الهجري، وهذا يعني أن علم التجويد تأخر في الظهور علمًا مستقلاً بالقياس إلى العلوم الأخرى المتصلة بالقرآن واللغة(٢).

وتروي بعض المصادر أنَّ الصَّحابي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (جَوِّدوا القرآن...)، واستند البعض إلى هذا في القول بنشأة علم التجويد، في حين أن هناك من يذكر رواية أخرى لقول الصحابي عبد الله بن مسعود وهي: (جَرِّدوا)، بمعنى تجريد القرآن من الزيادات، أي بمعنى آخر غير التجويد. كما تذكر بعض الكتب أن القرآن الكريم لم ترد فيه كلمات في وصف القراءة يمكن إرجاعها إلى مادة (ج و د) (٣). والمستخدم في عصر النبوة والصحابة إنما كانت ألفاظًا أخرى مثل: الترتيل، والتحسين، والتزيين، وهي تستخدم لوصف القراءة المستوفية لصفات النطق العربي الفصيح، حين يجتمع حسن الصوت، والعناية بالأداء. وقد ورد في القرآن الكريم من تلك الكلمات كلمة (الترتيل) فقط.

(١) من مجموعة أبيات ذكرها صاحب نهاية القول المفيد ــ ص٢٦.

(٢) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ــ ص١٣.

(٣) مادة الكلمة: أي الحروف التي هي من أصل الكلمة وعناصرها الأساسية.

ولا شك أن مفردات المادة (ج و د) كانت مستعملة في اللغة العربية في كلمات مشتقة من تلك الأصول مثل: الجيد عكس الرديء، وجاد الشيء أصبح جيدًا، وأجاد فلان أي أتى بالجيد، والتجويد هو مصدر جوّد الشيء، أي: أتقنه وحسَّنه[١]. وتذكر الكتب أنَّ التجويد بمعناه الاصطلاحي ظهر مع ظهور أول مصنف مستقل في علم التجويد وهو لأبي مزاحم موسى بن عبد الله بن يحيى الخاقاني البغدادي (المتوفى عام ٣٢٥هـ)، والذي استخدم كلمة (الحُسْن) ولم يستعمل كلمة التجويد أو شيئًا من ذلك.

لقد ظهر مصطلح التجويد متأخرًا أكثر من قرنين من الزمن عن ظهور كثير من علوم القرآن والعربية. ويبدو أن جهود علماء العربية من نحويين ولغويين وجهود علماء القراءة كانت تقوم بالمهمة التي قام بها علم التجويد بعد ذلك، بتعليم الناطقين بالعربية أصول النطق الصحيح، والتحذير من الانحراف في نطق أصوات العربية[٢]. وحتى بداية القرن الرابع الهجري ـ حين ظهر علم التجويد ـ قام علماء التجويد بأخذ المادة الصوتية من مؤلفات النحويين واللغويين وعلماء القراءة، ثم صارت الإضافات ومواصلة البحث بالاستناد إلى تلك المادة، حتى تواصلت جهودهم وبلغ علم التجويد منزلة عالية من التقدم في دراسة الأصوات العربية. وقد بقي جهد علماء التجويد منصبًّا على الأصوات، في حين أن علماء العربية واصلوا جهودهم في مجال الصرف والنحو. ومن ناحية ثالثة فإن علماء القراءة شُغلوا بدراسة النص القرآني: روايته وضبط حروفه كما وردت، عن طبقات القرَّاء طبقة عن أخرى حتى تصل إلى طبقة الصحابة الذين تلقوا القرآن عن الرسول ﷺ، وهو ما يسمَّى بالتواتر أو الإسناد.

(١) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ـ ص١٤ ـ ١٥.

(٢) المصدر السابق ـ ص٢٠.

وخلاصة الكلام السَّابق كله: أنَّ قواعد علم التجويد كانت موجودة في الكلام العربي، ويحرص عليها القراء ويعتمدونها في قراءاتهم وإقرائهم، وإن لم تكن مدونة ومقننة، شأنها في ذلك شأن قواعد النحو والصرف التي استنبطها علماء العربية في فترة لاحقة، بينما كانت مستخدمة في لغة العرب وكلامهم دون أن يعرفوا الفاعل أو المفعول أو غير ذلك من مسائل نحوية.

وقد تتبع صاحب كتاب «الدراسات الصوتية عند علماء التجويد» الدكتور غانم قدوري أشهر المؤلَّفات في مجال علم التجويد، على الرغم مِن أنَّ استقصاء كتب علم التجويد منذ ظهورها أمر صعب وشاق وغير يسير؛ لعوامل كثيرة متصلة بالبحث، لكنه ذكر (٤٩) مؤلَّفًا من تلك المؤلفات، أقدمها منظومة الخاقاني (المتوفى عام ٣٢٥هـ)، وآخر ما ذكر من هذه المؤلفات ما كتبه حسن الموصلي (المتوفى ١٣٢٧هـ)، أي أن الكاتب قدم أشهر كتب التجويد حتى بداية القرن الرابع عشر الهجري. جزاه الله كل خير.

ولقد توصل الدكتور قدوري إلى نتيجة في دراسته المستفيضة السابق ذكرها، مفادها: أنَّ كتب علم التجويد القديمة تكاد تكون مجهولة لدى معظم المشتغلين في الدراسات الصوتية العربية في العصر الحاضر، فلم يستخدم أحد من رواد الدراسة الصوتية العربية أيًا من كتب التجويد، ونتج عن ذلك حرمان تلك الأبحاث والجهود العربية من المادة الصوتية المتضمِّنة في كتب التجويد القديمة[1].

❑❑❑

---

(١) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ــ ص١٢.

[٩]

عِلم اللغة ومجالاته[١]

علم اللغة هو العلم الذي يبحث في اللغة ـ أية لغة ـ ويتخذها موضوعًا له، يدرسها من جميع الجوانب، ومن جميع الأشكال والعلاقات والوظائف.

ومن أبرز المجالات التي يبحثها عِلم اللغة ما يلي:

١ ـ دراسة الأصوات التي تتألَّف منها اللغة، وتتناول الجهاز الصوتي لدى الإنسان، وإمكانات النطق الكامنة فيه، ووصف أماكن النطق ومخارج الأصوات، ودراسة المقاطع الصوتية، والنبر والتنغيم. وهو ما يطلق عليه (عِلم الأصوات).

٢ ـ دراسة بنية الكلمة، أو قواعد الصيغ، واشتقاق الكلمات وتصريفها والتغيير الذي يحدث في أبنية الألفاظ للدلالة على المعاني المختلفة، وهو ما يُطلق عليه (عِلم الصرف) أو (عِلم البنية التعليمي).

---

(١) استقيت المعلومات الواردة في هذا الجزء من كتابين هما: (أ): علم اللغة ـ علي عبد الواحد وافي. (ب): المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث العلمي ـ رمضان عبد التواب.

٣ ـ دراسة نظام الجملة من حيث ترتيب أجزائها وأثر كل جزء في الآخر، وطريقة الربط بين هذه الأجزاء، وهو ما يُطلق عليه (عِلم النحو).

والغرض من علم النحو: ضبط القواعد، وصيانة اللسان من الخطأ، أو بتعبير آخر ضبط القواعد التي يسير عليها إعراب المفردات؛ لتسهيل تعلُّمها وتعليمها ولاحتذائها في الحديث والكتابة، وذلك لتعصم الناس من الخطأ أو اللحن الذي تفشَّى منذ صدر الإسلام من جرّاء تطوُّر اللغة واختلاط العرب بالأعاجم، وبعد ذلك اتسع هذا العلم فحرص علماؤه على دراسة الكثير مما يتصل بأجزاء الجملة وترتيبها وعلاقة الأجزاء ببعضها، وأنواع الجُمل، وعلاقاتها، وغير ذلك من موضوعات نحوية.

٤ ـ ومن فروع البحوث اللغوية ما يُطلق عليه (علوم القراءات)، ويدرس الوجوه التي قُرئت بها آيات الله في القرآن الكريم. وقد ظلَّت موضوعات هذا المجال يأخذها الناس عن القراء عن طريق التلقين والمشافهة حتى العصر العباسي، ثم عكف العلماء على تدوينها وضبط قواعدها، ونقد أسانيدها، وبذلك قطعوا شوطًا كبيرًا في سبيل تطوير هذا العلم، وهو ما ذكرتُ طرفًا منه تحت عنوان (التجويد وعلوم اللغة) من هذا الكتاب.

والصلة وثيقة بين هذه المجالات الأربعة، ولعلم القراءات أهمية من الناحية اللغوية؛ حيث تضم معظم المؤلفات في القراءات بحوثًا دقيقة وقيِّمة في أصوات اللغة وصفاتها، وطبيعتها ومخارجها، وأحكام القراءة والأداء؛ مما يدخل في مجال تأثر الأصوات بعضها ببعض.

❑❑❑

[١٠]

لماذا الحديث عن عِلم اللغة؟

نظرًا لأنَّ الحديث الأساسي يتناول القرآن الكريم: تلاوته كما ينبغي له، وتجويده في ضوء أحكامه المحدَّدة والمعروفة، ونظرًا لأنَّ عِلم الأصوات يهتمّ ببيان الجهاز النطقي لدى الإنسان.. وبسبب أنَّ الدراسات اللغوية عند العرب إنما ظهرت في الأساس بدافع المحافظة على القرآن الكريم وعلى لغته العربية، ودراسة الأصوات في العربية نشأت مرتبطة بالقرآن، وجاهدت لخدمته منذ محاولات أبي الأسود الدؤلي حتى تطوَّرت على يد كل من الخليل بن أحمد ومن ثم سيبويه ومَن جاء بعدهم(١).. ونظرًا لأنَّ دراسة الأصوات لها الدور البارز والفاعل في الجانب التطبيقي لعِلم التجويد على مستوى الأداء والنطق اللغوي السليم..؛ فالمعروف أن أركان التجويد أو تجويد القراءة يعتمد على أربعة أمور:

١ ــ معرفة مخارج الحروف.

٢ ــ معرفة صفات الحروف.

٣ ــ معرفة ما يتجدد لها بسبب التركيب من الأحكام.

(١) الفصل الثاني من هذا الكتاب يتطرق إلى هذه الجهود في خدمة اللغة والقرآن.

٤ ــ رياضة اللسان بذلك، وكثرة التكرار[١].

وتحتاج معرفة المخارج والصفات إلى معرفة أعضاء النطق لدى الإنسان، ووظائفها، وكيف تعمل، وكيف يحدث الصوت الإنساني، وهذا طرف مما ذكرته سابقًا عن الجوانب الأساسية اللازمة لطالب التجويد، والتي ينبغي عليه معرفتها والإلمام بها حتى يتقن ما هو مقدم على تعلُّمه في كتاب الله. إلى جانب ذلك: ما قلته أيضًا حول قواعد النحو. . .

ولا ننسى أنَّ شروط القراءة الصحيحة للقرآن الكريم كما ذكرتها كتب التجويد ثلاثة شروط هي:

١ ــ أن تكون القراءة موافقةً وجهًا من أوجه النحو، سواء أكان هذا الوجه في الذروة العليا من الفصاحة أم كان أنزل من ذلك، وسواء أكان مجمعًا عليه أم مختلفًا فيه، لا يضرّ إذا كانت القراءة مما شاع وذاع، وتلقاه الأئمة بالإسناد الصحيح، إذ هو في الأصل الأعظم والركن الأقوم[٢].

وقد جاء في شرح طيبة ابن الجوزي للقمحاوي قول ابن الجزري: «إذا أردت معرفة القراءة التي يحكم بقرآنيتها وتميزها عن القراءة الشاذّة، فهي القراءة الصحيحة المستوفية لشروط ثلاثة، أولها: موافقتها لوجه من أوجه اللغة العربية لأنها لغة القرآن التي نزل بها».

فكــل مــا وافــق وجــه نحــوِ وكــان للــرسـم احتمــالاً يحــوي
وصــح إسنــادًا هــو القــرآن فهــذه الثــلاثــة الأركــان
وحيثمــا يختــل ركــن فــاثبــتِ شــذوذه لــو أنــه فــي السبعــة[٣]

(١) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ــ ص٩٠.

(٢) الكوكب الدري في شرح طيبة ابن الجزري ــ ص١٨.

(٣) المصدر السابق ــ ص١٨.

وبعد ذلك الركن يأتي الركنان الآخران للقراءة الصحيحة وهما:

٢ ــ موافقة القراءة للرسم العثماني ولو احتمالاً، والاحتمال يعني ما يحتمله رسم المصحف الشريف مثل قراءة كلمة ﴿مَـٰلِكِ﴾ بالألف في سورة الفاتحة (مالك يوم الدين)، فهذه الكلمة كتبت في عموم المصاحف العثمانية بغير الألف، فاحتملت الكتابة هنا أن تكون الكلمة في أصلها بالألف وجرى عليها ما جرى في نحو: قادر، وصالح، مما حذف منه الألف اختصارًا(١).

٣ ــ صحة السند، وهذا الركن شرط صحة الركنين السابقين، ويعني أن يأخذ القارىء القراءة ويتعلمها عن شيخ فطن متقن لم يتطرق إليه اللحن، واتصل سنده برسول الله ﷺ(٢).

ومما يؤكد للقارىء أهمية السند وصحته واتصاله بالنبي ﷺ أن القراءة الصحيحة إذا وافقت وجهًا من أوجه العربية وهو وجه ضعيف، ولكنه وارد في قراءة ثابتة بطريق التواتر فإنها تصح قراءة، وتكون حجة ومرجعًا للاستشهاد بها. ومثال ذلك ما جاء في قراءة ابن عامر في الآية (١٣٧) من سورة الأنعام: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَـٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾، وذلك ببناء الفعل (زين) للمجهول، ورفع كلمة (قتل) على أنها نائب فاعل، ونصب (أولادهم) على أنها مفعول للمصدر وهو (قتل) وجر (شركائِهم) على أنها مضاف إلى المصدر. ونظرًا لثبوت رسم (شركائهم) بالياء في المصحف الذي بعثه الخليفة عثمان رضي الله عنه

---

(١) هداية القاري إلى تجويد كلام الباري ــ ص٤٦.

(٢) المصدر السابق ــ ص٤٦.

رفع المسيّهم

إلى الشام فهي قراءة مأخوذ بها، على الرغم من أن بعض النحاة أنكروا هذه القراءة وذاك التخريج النحوي، بحجة أن الفصل بين المضاف (قتل) والمضاف إليه (شركائهم) لا يكون إلا بالظرف وفي الشعر خاصة[١].

ومن العرض السابق يتجلى للقارىء **أهمية اللغة العربية لمن يريد إحسان التجويد وإتقان لفظ القرآن، وذلك من جانبين هما:**

١ ـ **معرفة النحو** ـ ولو كان بالقدر اليسير ـ **شيء ضروري**، وممَّا يجب على القارىء تعلمه، إلا إذا كان ممن يعتمدون على الشيخ أو المعلم الحاذق المتقن العارف لهذه القواعد النحوية. يقول صاحب «نهاية القول المفيد»: [ولا يجب على القارىء أن يتعلم علم النحو حيث كان يأخذ القراءة عن شيخ عارف على الأصح. وقيل: يجب تعلمه قبل القراءة كما يجب تعلم علم التجويد. . .][٢].

وفي هذا إشارة إلَى أهمية معرفة النحو لطالب التجويد والإتقان في القراءة، وإن كان الموضوع مختلَفًا فيه كما أشرت سابقًا.

وهذا أيضًا يلفت إلى مسألة على قدر كبير من الأهمية ـ من وجهة نظري ـ وهي أن معلم التجويد ينبغي أن يكون على دراية كبيرة بقواعد النحو، ولديه إلمام كافٍ واستيفاء لهذا الشرط، وإلا فكيف سيكون الحال إذا كان طالب التجويد لا يعرف قواعد العربية، كذلك شأن الشيخ أو المعلم الذي يأخذ عنه العلم، ويأخذ منه كيفية الأداء والتلاوة إذا كان لا يفقه هو الآخر شيئًا من قواعد العربية؟!

(١) غاية المريد في علم التجويد ـ ص١٨.

(٢) نهاية القول المفيد ـ ص١٩.

٢ ـ الأمر الثاني: **هو أن يتعرَّف طالب التجويد** ـ بقدر كافٍ ـ **على الجهاز النطقي عند الإنسان**؛ لكي يكون على دراية بكيفية حدوث الصوت، وكيف تخرج الحروف فتكوِّن الكلمات، وثم تتألَّف الكلمات في وحدة كلامية أكبر هي الجملة.

وهذا أمر يجعل الراغب في تحسين قراءته وتجويد تلاوته بحاجة إلى معرفة ـ ولو بسيطة ـ بأعضاء النطق، وكيف تعمل لتكوين الأصوات الكلامية، وهو أمر متصل بالمخارج والصفات، وهو كما يعلم الجميع أهم أركان التجويد، وهذا يعيد القارىء إلى الجانب التطبيقي لعلم التجويد، الذي يجعل للركن الخاص برياضة اللسان وكثرة التكرار، والأخذ من أفواه المشايخ المتقنين المجوِّدين أهمية كبيرة في هذا المجال.

❑ ❑ ❑

[١١]
خلاصة وفائدة

في ضوء ارتباط القرآن الكريم باللغة العربية، وارتباط علم التجويد بالقرآن الكريم، ونظرًا لأن موضوع التجويد هو دراسة مخارج الحروف وصفاتها وأحكامها، وهو ما سُمِّي حديثًا بعلم الأصوات اللغوية، وأنه هو الموضوع ذاته الذي لقي عناية كبيرة من النحاة واللغويين؛ يتأكّد للقارىء أن هذا الارتباط أمر طبيعي لا بد منه، وأنه يؤدي إلى بلوغ الهدف المطلوب؛ لأن تلك المباحث ما هي إلا روافد تصب في نهر واحد هو اللغة العربية واللسان العربي المبين الذي نزل به الكتاب العظيم.

ومنذ القديم وعلماء اللغة يأخذون من آراء علماء التجويد وتحليلاتهم، كذلك فإن علماء التجويد يعتمدون على دراسات النحويين والصرفيين، فدراسة الأصوات اللغوية يتقاسمها علماء العربية وعلماء التجويد، بل إنَّ هناك من يقول بوضوح إن علم التجويد من علوم العربية، ومن علوم القرآن كذلك، لأنَّ علم التجويد لا يمكن فصله عن القرآن واللغة. ويرجح بعض المؤلفين القدامى في هذا المجال أن يكون علم التجويد من العلوم العربية، باعتباره جزءًا من علم الصرف. في حين أنَّ المحدِّثين يرون أنَّ علم التجويد مستقلٌّ بذاته، يُعنى بدراسة أصوات اللغة: مخارجها وصفاتها وأحوالها التركيبية(١).

(١) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ـ ص٨٤ ـ ٨٥.

وأرى أن اختلاف الآراء وكثرة الجدل في هذه المسألة لا طائل تحتها؛ ذلك أن ما يهم القارىء بالدرجة الأولى هو أن الجهود التي تبذل وتتركز وتستمرّ وتتطوَّر إنما هي لخدمة كتاب الله، ولتيسير تلاوته وأدائه بالطريقة التي تُرضي الله ورسوله. . وأبرز ما يخرج به المهتمون أن هناك ارتباطًا وثيقًا بين قواعد النحو والصرف وبين جوانب أخرى في مجال الأصوات اللغوية فيما يتعلق بالمخارج والصفات، وأن هذا يعود بالنفع الجليل على القارىء في سبيل الإتقان، كما أن هذه تعد أدوات أو آلات لا مناص من امتلاكها عندما يريد أي من الناس خوض هذا المجال، لتجويد التلاوة وتحسينها.

إنَّ القرآن الكريم نص لغوي عربي، منقطع النظير في سمو فصاحته وبلاغته، يحرص المسلمون في كل مكان على ترتيل كلماته، ونطقها مجوَّدة ومتقنة على نحو ما كان النبي ﷺ وصحابته يتلونها، وهو الأسوة والمثال الذي ظل المسلمون يتلقونه جيلاً بعد جيل، وذلك بالرياضة والمشافهة، حتى أصبح ذلك النطق النبوي والقراءة المجودة موضوعًا لعلم التجويد، له أحكامه وقضاياه ومسائله.

واليوم يكاد علم التجويد أن يكون علمًا شعبيًا، في المجتمعات الإسلامية في كل مكان من العالم، يحرص المسلمون على اختلاف مستوياتهم المادية والثقافية وعلى تباين لغاتهم وأجناسهم على دراسته وتطبيق أحكامه؛ لأن تلاوة القرآن عبادة، وهو من أفضل أنواع الذكر عند المسلمين، ومن شروطها أن تكون تلاوة مرتلة، وهذا ما ساعد على استمرار التأليف والعطاء في هذا العلم حتى الوقت الحاضر.

ويشير الدكتور قدوري إلى أن ارتباط علم التجويد بالقرآن الكريم قد منحه قوة معنوية جعلت المشتغلين به يقبلون على البحث والدراسة دون ملل

أو كلل، ويصبرون على متاعب البحث؛ حتى يتحقق المستوى المطلوب لدى المتعلمين، وكل ذلك طلبًا للأجر والثواب عند الله تعالى(١).

ولا شك أن الجهود التي قامت لخدمة علم التجويد، عملت على ترسيخ النطق العربي الفصيح على مدى العصور منذ نزول القرآن الكريم وحتى عصرنا الحاضر، ولولا ذلك الارتباط الوثيق بين اللغة العربية والقرآن، أو الارتباط بين علم التجويد والقرآن، لكان حال اللغة العربية اليوم على غير ما هو عليه؛ فاللغة العربية لم يكتب لها الحياة والديمومة والاستمرار والنماء إلا للعلاقة الوثيقة بين التجويد ــ الذي يمثل جوهر النطق العربي الأصيل ــ وبين نص القرآن الكريم.. وكلما استمرت الجهود، وتوالت الدراسات في علم التجويد، وزاد إقبال الناس على تعلمه وتطبيقه، عمل ذلك على سمو اللغة وصفاء الأداء اللغوي(٢).

إن الأمل كبيرٌ ومستمرٌ لا ينقطع في أن تزداد العناية بعلم التجويد (النظري والتطبيقي) في بلاد الإسلام، وأن تستمر العناية المباركة لتعليمه وتحبيبه إلى النفوس؛ حتى يُقبل الناس عليه، فهو الكفيل بخدمة اللغة العربية نطقًا وكتابة، علمًا وعملاً، وهو الضمان لسلامة اللغة وصفائها، وبالتالي سموها ورفعتها، وبخاصة إذا وعى القائمون عليه حقيقة العلاقة الوثيقة بين قواعد اللغة وقواعد التجويد، وعملوا على تقويتها لتحقق الهدف الأساسي وهو خدمة القرآن العظيم.

❑ ❑ ❑

(١) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ــ ص٨٧.

(٢) المصدر السابق ــ ص٨٧.

الفصل الثاني

اللحن وطرق مواجهته والحدّ مِن انتشاره

* تمهيد.

[١] ما معنى اللَّحْن؟ (المعنى اللغوي، والمعنى الاصطلاحي).

[٢] أقسام اللحن:

اللَّحن الجلي (أي الظاهر)، وحكم هذا النوع من اللَّحن.

اللَّحن الخفي (أي المستتر)، وحكم اللَّحن الخفي.

اللَّحن الجلي واللَّحن الخفي بين علماء التجويد وعلماء اللغة.

[٣] وقفة لا بدَّ منها حول أهمية اللغة وقواعدها لقارىء القرآن.

[٤] نشأة اللَّحن وانتشاره وصداه عند العرب.

[٥] جهود علماء العربية في مواجهة اللَّحن (نشأة علم النحو في مواجهة اللحن).

أسباب نشأة علم النحو وعلاقة ذلك بالقرآن الكريم: الأسباب الخاصّة، والأسباب العامّة.

[٦] جهود العلماء في خدمة القرآن الكريم واللغة العربية:

لماذا الحديث عن جمع القرآن وتدوينه، وعن نشأة النحو ووضع أصوله؟

جمع القرآن وتدوينه.

[٧] وضع النحو العربي، ومكانته العلمية.

[٨] كيف يمكننا تجنُّب اللَّحن؟

[٩] من طرائف اللَّحن.

رفع
المسـاهم

الفصل الثاني
اللّحن وطرق مواجهته والحدّ مِن انتشاره

تمهيد
(لماذا خصّصتُ فصلاً مستقلاً يتناول موضوع اللحن؟)

لقد خصّصت فصلاً مستقلاً تناولت فيه موضوع اللحن بكلّ جوانبه للأسباب التالية:

أوّلاً: أن اللحن في القرآن الكريم حرام، والتحريف فيه إثم، وما دام الفرد المسلم يؤمن بأن الله أنزل القرآن بالتجويد، حيث قال عز وجل: ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الفرقان]. وقال عز من قائل: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزمل]. وقال سبحانه: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الزمر].

فإن اللحن في كتاب الله إذا كان جليًّا فهو حرام بالإجماع، وإن كان خفيًّا فهو حرام على الأرجح، وسوف يأتي تفصيل هذا لاحقًا في هذا الفصل.

ثانيًا: أنَّ اللحن مستقبح عند العرب، وفيه إسفافٌ باللغة، واستهانة بمنزلتها، فهي لغة القرآن التي كرَّمها الله بكتابه العزيز، فكانت لسانه الذي نطق بها، وقد كانت منذ القديم موضع قدسية وإجلال من علماء العربية

رفع المسيهم

والعلوم الأخرى المتصلة بالقرآن الكريم، وعناية المسلم باللغة العربية تعني حبه لها وتقديره لدورها، ومكانتها، ورغبته في صونها؛ لأن في ذلك صونًا لكتاب الله العزيز.

واللحن في القراءة والكتابة يشوِّه الأداء اللغوي، وينفر القارىء أو السامع منه، ويجعله قريبًا أو شبيهًا بالعامية الدارجة، فكيف به إذا كان في كلام الله عز وجل؟!

ثالثًا: أنَّ اللحنَ يدلّ دلالة واضحةً على ضعف صاحبه في اللغة، وبُعده عن السَّلامة اللغوية والفصاحة العربية، وافتقاره إلى المقدرة على الأداء الجيد المتقن.. وهذا ما أشرت إليه في الفصل الأول، حيث وضَّحت مظاهر الضعف في اللغة العربية المتفشي بين الناس، وهو شيء مؤسف حقًّا.

فماذا ينتظر السامع من القارىء، إذا كان هذا القارىء لحَّانًا في قراءته، إلا أن يصك أُذن هذا المسكين الذي يستمع إليه؟! وما الذي يتوجب على الإنسان الراغب في قراءة القرآن بالكيفية الواجبة وبالتلاوة المجوَّدة كما هو مكلَّف بها إذا كان ضعيفًا في اللغة؟

لا شكّ أنَّ ما يتوجَّب عليه هو الجهد المضاعف، والعمل الدؤوب، والمثابرة من أجل صون لسانه من اللحن الحرام والمكروه.

وفي ضوء ما سبق يتَّضح أمام القارىء العزيز أهمية أن يعرف طالب التجويد اللحن تمام المعرفة؛ وذلك ليجتنبه ويتحاشاه فلا يقع في المحظور.

❑❑❑

رفع المسيهما

[١]

ما معنى اللَّحْن؟

المعنى اللغوي[١]:

وردت معان ودلالات كثيرة لكلمة (اللحن) في كتب اللغة والمعاجم، ولا بأس من ذكرها هنا؛ لعل في ذلك شيئًا من الفائدة للقارىء.

١ ــ اللحن بمعنى الخطأ في اللغة، ومجانبة الصواب، ومخالفة الإعراب:

لحَن يلحَن لحنًا: أخطأ الإعراب وخالف وجه الصواب في النحو، فهو لاحن ولحّان (الوسيط).

اللحن: الخطأ في اللغة: أصواتها أو نحوها أو صرفها أو معاني مفرداتها.

وهذه الدلالة المعنوية ظهرت متأخرة، لم تستعمل إلا بعد اختلاط العرب بالأعاجم، فتنبه العرب إلى الفرق بين التعبير الصحيح والتعبير

(١) أعددت مادة هذا الجزء بالاستعانة بما ورد في المعجم الوسيط الجزء الثاني (ــ ص٨١٩ ــ ٨٢٠) وبالاستفادة من كتاب: لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، للدكتور عبد العزيز مطر (ــ ص١٨ ــ ٣٢).

الملحون. ومن الشواهد على هذا المعنى قول أحد الشعراء في هجاء خالد بن عبد الله القسري والي العراق (١٠٥ ــ ١٢٠هـ):

ألحنُ الناسِ كلِّ الناس قاطبةً وكان يولع بالتشديق والخطب

٢ ــ اللَّحْن بمعنى الميل عن التعبير الصريح الواضح إلى الرمز أو التورية:

لحَن لفلان لَحْنًا: قال له قولاً يفهمه عنه ويخفى على غيره، أو كما تقول: **لحَنْتُ** لفلان لحنًا: قلتَ له قولاً يفهمه عنك ويخفى على غيره. وقيل أيضًا: إنَّ اللحن بهذا المعنى هو أن تلحن بكلامك، أي تميل إلى نحو من الأنحاء ليفطن له صاحبك، كقول الشاعر:

وقد لحنتِ لكم لكيما تفقهوا واللحن يعرفه ذوو الألباب

وهنا نذكر بعض الشواهد حول هذه الدلالة، أوَّلها: قول الله تعالى وقوله الحق: ﴿**وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ** ٣٠﴾ [محمد]، ولحن القول هنا بمعنى: فحواه ومعناه ومضمونه، أي: ما يفهمه السامع بالتأمل فيه من وراء لفظه.

ومن شواهد هذا المعنى أيضًا ما روي عن الرسول ﷺ: أنه في غزوة الخندق أرسل سعد بن عبادة وعبد الله بن رواحة وابن جبير إلى بني قريظة؛ ليتبينوا هل يريد بنو قريظة خيانته ونكث العهد معه، وقال لهم: «**فإن كان حقًا فالحنوا لي لحنًا أعرفه**».

٣ ــ اللَّحَن: بمعنى الفطنة والفهم:

لحِنَ يلحَن لَحنًا: فطن لحجته وانتبه لمقصود كلامه.

اللحْن واللحَن: بسكون الحاء أو تحريكها بالفتح تعني اللغة.

أما اللحَن: بفتح الحاء ـ أي بتحريكها ـ فهي تعني الفطنة.

والشاهد هنا قول الرسول ﷺ: «**إنكم تختصمون إليّ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو ما أسمع منه...**»، أي: بمعنى أفطن وأفهم وأجدل. وفي رواية أخرى: «**فلعل بعضهم أن يكون أبلغ من بعض**».

٤ ـ اللَّحْن بمعنى الغناء وترجيع الصوت والتطريب:

لحَّنَ فلان في قراءته: أي طرب فيها وغرَّد فيها بألحان.

لحَّنَ فلان فلانًا: أي خطَّأه في الكلام.

والمعنى هنا: إزالة الكلام عن جهته الصحيحة بالزيادة أو النقصان أو الترنم به والتطريب به لجذب السامعين إليه.

تلك هي المعاني المختلفة لكلمة (اللحن) في اللغة، ذكرتها من باب العلم بها.

المعنى المراد:

والمعنى الذي يهم القارىء لكتاب الله ـ بالدرجة الأولى ـ هو الأول، وهو المقصود به في هذا الفصل من الكتاب، وأعني به: اللحن بمعنى الخطأ في اللغة: أصواتها أو نحوها أو صرفها، أو معاني مفرداتها.

واللحن بهذا المعنى هو الذي يجب أن يعمل كلٌّ مِنَّا جادًّا مخلصًا من أجل تجنُّبه، والحذر من الوقوع فيه، وبخاصة عند تلاوة كتاب الله عز وجل، الذي ينبغي على كل مسلم أن يسمو به عن كل لحن، ويتعالى به عن كل خطأ، لأنه هو الصواب وفيه السموّ والرّفعة.

المعنى الاصطلاحي:

يتَّضح مِمَّا سبق أنَّ اللحن في لغة العرب يأتي على معان مختلفة، وأن المراد به هنا: الخطأ والميل عن الصواب[١].

❑ ❑ ❑

(١) هداية القاري إلى تجويد كلام الباري ـ ص٤٧.

رفع المسـهم

[٢]

أقسـام اللحـن

ينقسم الخطأ أو العدول عن الصواب إلى نوعين:

الأوَّل: اللحن الجلي.

والثاني: اللحن الخفي.

ولكل واحد منهما حدّ يخصه، ولكل واحد منهما حقيقة يمتاز بها عن الآخر. وسيتَّضح ذلك في ما يأتي:

أوّلاً: اللحن الجلي (أي الظاهر)

اللحن الجلي هو: الخطأ الذي يطرأ على الألفاظ فيخل بعرف القراءة، سواء أخل بالمعنى أم لم يخل به، وإنما سُمِّي جليًّا لأنه يخل إخلالاً ظاهرًا يشترك في معرفته علماء القراءة وغيرهم.

وقد يكون في: المبنى، أو الحركة، أو السكون[١].

ويقصد بمبنى الكلمة: حروف الكلمة، ومن أمثلة الأخطاء فيها:

(١) نهاية القول المفيد ــ ص٢٨.

تبديل حرف بآخر، مثل: تبديل الطاء دالاً بترك صفة الإطباق أو صفة الاستعلاء، أو تبديل الطاء تاء بترك تلك الصفات أيضًا.

ويقصد بالحركة: الخطأ في تبديل حركة الحروف أو المباني في الكلمة، فالحركة إما أن تكون في مبنى الكلمة، أو أن تكون في آخرها وهي علامات الإعراب.

ومن أمثلة الحركات في مبنى الكلمة ما نلاحظه مثلاً في الكلمات:

[غَمْر، غِمْر، غُمْر، غَمَر، غَمِرَ، غُمِرَ]، فهذه الكلمات على الرغم من اتفاقها في الحروف وترتيبها، إلا أنها مختلفة في معانيها.

أما حركات آخر الكلمة؛ فهي حركات الإعراب أو علامات الإعراب، تلك التي تُعرب عن مراد المتكلم بموقع الكلمة من الجملة، وهي قد تؤثر في المعنى وتخل به، وقد لا تؤثر في المعنى ولا تغيره.

ومثال ما يؤثر في المعنى ويغيره:

١ ـ ضم التاء أو كسرها في قوله تعالى: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧].

٢ ـ ضم التاء أو كسرها في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ﴾ [النساء: ٧٧].

٣ ـ فتح الباء في قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥].

٤ ـ فتح الميم في قوله تعالى: ﴿وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

٥ ـ فتح التاء في قوله تعالى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦ﴾ [المائدة: ١١٧].

ومثال ما ليس له تأثير في المعنى ولا يغيره:

١ ـ رفع الهاء أو نصبها في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ٢].

٢ ـ تحريك الدال بالضم في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ [الإخلاص].

٣ ـ تحريك الهاء بالسكون في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ﴾ [البقرة: ١١٢].

وكثيرة هي مواضع الضمير (هو) و (هي) إذا سبقته الواو أو الفاء في كتاب الله، ولا شك أنه من الخطأ تحريك الهاء فيها بالسكون(١)، ومن ذلك الأمثلة التالية:

١ ـ قال تعالى: ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣﴾ [النحل].

٢ ـ قال تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

٣ ـ وقال تعالى: ﴿أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨٠﴾ [يوسف].

٤ ـ وقوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [الملك].

٥ ـ وقوله تعالى: ﴿وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ﴾ [النحل: ٧٥].

---

(١) الأصل أن تكون الهاء في (هو) مضمومة، وفي (هي) مكسورة، ويجوز وفق رأي النحاة تسكينهما بعد الواو والفاء وثم واللام. والأرجح اتباع الأصل، والالتزام بما جاء في كتاب الله فهو الأساس.

رفع المسهم

إن من الخطأ والبعد عن الصواب أن يبدل القارىء الحركات ويغيرها، أو يبدل الحروف فيخلط بينها، ويستوي في ذلك ما كان له تأثير في تغيير المعنى وإخلاله، وما ليس له هذا التأثير.

حكم اللحن الجلي:

هذا النوع لا شكّ أنه حرام بالإجماع سواء أوهم خلل المعنى، أو اقتضى تغيير الإعراب[1]، أي أن علماء الإسلام وشيوخه أجمعوا على تحريمه، بمعنى أن القارىء يأثم بارتكابه وبخاصة إذا كان متعمدًا، أو أن يكون متساهلاً فيه. ومَن يتعمد ارتكاب الخطأ ليفسد المعنى في القرآن! إلا أن يكون كافرًا قاصدًا تشويه الآيات، والإساءة إلى الإسلام!؟

أما التساهل في القراءة، والإتيان بها وهي مليئة بالأخطاء الجلية، واللحون الواضحة الظاهرة، فإن ذلك من الأفعال التي لا عذر فيها لصاحبها.

وكيف يعذر صاحبها وهو متهاون في قراءة كتاب الله، متساهل في تلاوته، لا يحسن القراءة، ولا يبذل الجهد من أجل تحسين تلاوته وتجويد قراءته؟! ليس له من عذر، ونحن نعيش في عصر تتطور فيه آلات التعليم وأدوات المعرفة، وتتوافر فيه سبل الأخذ بالعلوم أمام الجميع، متيسرة وفي متناول الأفراد، وقد تكون بأقل جهد، وأقل تكلفة، وبخاصة إذا ما قيست بالجهود التي كان يبذلها العلماء المسلمون وطلاب العلم في الزمن الماضي، والمعاناة التي يجدونها في سبيل تحصيل العلم وجمع الحقائق أو التأكد من صحتها.

---

(١) نهاية القول المفيد ــ ص٢٨.

ثانيًا: اللحن الخفي (أي المستتر)

اللحن الخفي هو: خلل أو خطأ يطرأ على اللفظ فيخل بالعرف ولا يخل بالمعنى. وسُمِّي خفيًا لاختصاص معرفته بعلماء القراءة دون غيرهم[١].

وهو ينقسم إلى قسمين[٢]:

أحدهما: لا يعرفه إلا علماء القراءة، مثاله: ترك الإخفاء والقلب والإظهار والإدغام والغنة، ومثاله أيضًا: ترقيق المفخم وعكسه، ومد المقصور وقصر الممدود، والوقف بالحركات كوامل، وتشديد المخفف وتخفيف المشدد.

والثاني: لا يعرفه إلاَّ مَهَرة القراء، ومثاله: تكرير الراءات، وتطنين النونات، وتغليظ اللاَّمات، وترعيد الصوت بالمدود والغنَّات، وترقيق الراءات في غير محلها.

إن اللحن الخفي أو المستتر غير الظاهر يخل بعرف القراءة ولا يخل بمبنى الكلمة أو حركاتها أو معناها، ولا يعرفه إلا العالم بأحكام التجويد، في حين يخفى على عامة الناس[٣].

والخلاصة أنَّ هذا النوع من اللحن عبارة عن ترك بعض أحكام التجويد في أثناء القراءة والتي لا يعرفها إلاَّ الحاذق.

(١) هداية القاري إلى تجويد كلام الباري ــ ص٤٨.

(٢) نهاية القول المفيد ــ ص٢٨ ــ ٢٩.

(٣) غاية المريد في علم التجويد ــ ص٤٢.

حكم اللحن الخفي:

يظهر في الكتب والمراجع التي تتناول أحكام التجويد أن هناك خلافًا واقعًا بين العلماء المتقدمين وبعض المتأخرين حول تحريمه أو كراهته، أي بمعنى آخر: هل أن تجنبه واجب شرعي أم واجب صناعي؟

والواجب الشرعي: هو ما يثاب المكلف على فعله، ويعاقب على تركه، والمراد به ما يحفظ الحروف والكلمات من تغيير المبنى وإفساد المعنى، فيأثم تاركه.

والواجب الصناعي: هو ما يحسن فعله ويقبح تركه، ولا يأثم تاركه على رأي المتأخرين من أهل فن التجويد.

ولذلك أجمع علماء وشيوخ التجويد من المتقدمين والمتأخرين على حرمة اللحن الجلي؛ لأنه مما يفسد المعنى ويغير المقصود. أما اللحن الخفي بنوعيه فقد أثار جدلاً واختلافًا بين العلماء، ولكل فريق شواهده ومبرراته.

والعلماء المتقدمون يَرون أن المحافظة على قواعد التجويد والتزام مبادئه وتطبيقها في القراءة واجب شرعي، مثله مثل المحافظة على جوهر اللفظ وشكله، فيثاب فاعله ويعاقب تاركه(١). وبعض المتأخرين من العلماء يَرَون أن المحافظة على قواعد التجويد إنما هي من باب الواجب الصناعي، فهو ليس بفرض عين، بل هو مستحب ويحسن الأخذ به في الأداء.

(١) بهجة النفوس في تجويد كلام القدوس، الجزء الأول ــ ص١٠٠.

في حين أن بعض المتأخرين وافق المتقدمين من العلماء الذين يتلخص مذهبهم في وجوب التجويد وجوبًا شرعيًّا، وأن التغييرات التي تطرأ على الألفاظ مما يدخل ضمن أحكام التجويد، وإن كانت لا تخل بالمعنى ولا تفسده، لكنها تخل باللفظ وتفسد رونقه، وتُذهب حُسنه وطلاوته، لذلك فهي تحرم جميعها.

ويتساءل الشيخ المرصفي حين يطرح قضية الحرمة أو الكراهة في هذا النوع من اللحن، فيما إذا قرأ القارىء بترك الإظهار والإدغام، والقلب والإخفاء، وبترك المد في موضعه والقصر كذلك.. بقوله:

«فماذا بقي من أحكام التجويد؟ وكيف توصف التلاوة بعد ذلك بالصحة؟ إن ترك هذه الأحكام لا يتفق وقواعد التجويد المجمع عليها بين عامة المسلمين. وقد تقدم إجماع الأمة على ذلك، والأمة كما هم متعبدون بإقامة حدود القرآن متعبدون كذلك بإقامة حروفه وتصحيح ألفاظه»[(١)].

ويواصل الشيخ المرصفي عرضه موضحًا أن إقامة الحروف وتصحيحها بالصفة المتلقاة من أئمة القراءة والمتصلة بالحضرة النبويّة لا يجوز العدول عنها إلى غيرها، ولا يوجد نص أو دليل يشير إلى أن قراءة الرسول ﷺ بترك الإظهار والإدغام.. وغيرها من أحكام؛ فجميع النصوص والأدلة تثبت أن قراءته عليه الصلاة والسلام كانت قراءة مجودة محكمة كما علَّمها إياه جبريل عليه السلام، وعلى الكيفية المعروفة والتي تلقاها عنه الصحابة والتابعون، وتابعو التابعين ثم أئمة القراءة، ثم من بعدهم أمم

---

(١) هداية القاري إلى تجويد كلام الباري ـ ص٤٩.

رفع المسيهم

وخلائق لا يحصون عددًا من جميع الأقطار والأمصار إلى أن وصل إلينا بهذه الصفة بطريق التواتر، وكذلك لا يجوز لأحد أن يحيد عن هذه الصفة، أو يخالف هذه القراءة، ومن تركها ورغب عنها فهو معتد أثيم يعاقب لتركه واجبًا شرعيًا واضحًا أمام الجميع(١).

ولا ننسى في هذا المقام قول ابن الجزري:

والأخـذ بـالتجـويـد حتـم لازم ... مـن لـم يجـوِّد القـرآن آثـم
لأنـــه بـــه الإلـــه أنـــزلا ... وهكـــذا منـــه إلينـــا وصـــلا

أمور مبتدعة

ومن الأمور التي يرى العلماء أنها تتصل باللحن ما أشار إليه الشيخ الجريسي وأفاد بأنها من الأمور المبتدعة في قراءة القرآن(٢).

والحقيقة أنه سرد أنواعًا كثيرة وأمورًا متعددة مما ابتدعه بعض القراء، منها على سبيل المثال:

١ ــ القراءة باللين والرخاوة بحيث تشبه قراءة الكسلان.

٢ ــ تقطيع الحروف بعضها من بعض بما يشبه السكت، قصد زيادة الإظهار في الحروف المظهرة.

٣ ــ التساهل في بيان الحروف المبدوء بها والموقوف عليها، حتى لا تكاد تسمع.

---

(١) هداية القاري إلى تجويد كلام الباري ــ ص٤٩ ــ ٥٠.

(٢) نهاية القول المفيد ــ ص٢٥.

٤ ــ إشباع الحركات حتى يتولد منها المد، فيفسد المعنى.

٥ ــ النقص في المد الطبيعي؛ لأنه أفحش من الزيادة.

٦ ــ تحريك السواكن وعكسه أيضًا.

٧ ــ لوك الحرف مثل كلام السكران، بحيث تذهب فصاحته.

٨ ــ المبالغة في نبر الحرف والضغط على الصوت مثل الهمزة، حتى يشبه صوت المتهوع المتقَيّء.

٩ ــ عدم مراعاة إتمام الحركات، مثل عدم ضمّ الشفتين عند النطق بالحرف المضموم، وعدم خفض الفم عند النطق بالحرف المكسور... الخ.

ويعني هذا أن الحروف تنقص بنقص الحركات، وهذا ما يراه الشيخ الجريسي أنه أقبح من اللحن الجلي؛ لأن النقص من الذوات أقبح من ترك الصفات.

وفي ذلك تأكيد على أن لكل حرف ميزانًا يعرف به مقدار حقيقته، وميزان كل حرف مخرجه وصفته. كما أشار الخاقاني بقوله:

زِن الحرف لا تخرجه عن حد وزنه ... فوزن حروف الذكر من أفضل البرّ

ويقول الطيبي في منظومة له:

فالنقص في هذا لدى التأمل ... أقبح في المعنى من اللحن الجلي
إذ هو تغيير لذات الحرف ... واللحن تغيير له في الوصف(١)

---

(١) نهاية القول المفيد ــ ص٢٥ ــ ٢٧.

أقسام اللحن

اللحن الجلي (الظاهر)	اللحن الخفي (المستتر)
تبديل حرف بآخر .	ترك الإظهار والإدغام .
تبديل الحركة في بنية الكلمة .	ترك الإخفاء والإقلاب .
تبديل حركة آخر الكلمة .	ترك الغنة .
ترك حرف .	ترك المفخم وعكسه .
إضافة حرف .	مد المقصورد .
	قصر المدود .
يخل بالمعنى ، أو لا يخل به .	يخل برونق اللفظ وحسنه .
يعرفه علماء القراءة ، وغيرهم .	يختص بمعرفته علماء التجويد.
حرام بالإجماع ، ويأثم القارئ بارتكابه .	حرام عند البعض ، ومكروه معيب عند آخرين .

أمور مبتدعة

القراءة باللين والرخاوة .	تقطيع الحروف .
إشباع الحركات القصيرة .	النقص في المد الطبيعي .
تحريك السواكن .	عدم إتمام الحركات .
المبالغة في نبر الحرف .	التساهل في نطق الحروف.

رفع المسهم

اللحن الجلي واللحن الخفي
بين علماء التجويد وعلماء اللغة

تؤكِّد الأدبيَّات أنَّ علماء العربيَّة مِن النُّحاة واللغويِّين قد سبقوا علماء التجويد في دراسة الأصوات العربية، وكانت دراستهم تتناسب وحاجة الموضوعات التي يعالجونها. ومثال ذلك معجم العين للخليل بن أحمد الذي درس الأصوات لأغراض تتعلق بالمعجم وتنظيم الكلمات وأبنيتها، وشغله ترتيب الحروف، وطريقة اختبار المخارج، فكانت دراسته معتمدة أساسًا على جوانب صوتية لغوية، ثم جاء سيبويه فارتبطت جهوده بدراسة الأصوات وتعرف الإدغام وما يجوز فيه.

بعد ذلك اتجه علماء اللغة والنحاة إلى بحث الأصوات من أجل تعليم غير العرب الأصوات العربية وكيفية النطق بها كما ينطق العربي، وقد ركز علماء اللغة على مخارج الحروف وصفاتها من أجل الإدغام، ومن أجل أن ينطق الأعاجم مثل العرب، معتبرين أن النطق بحروف العربية مخالفة في مخارجها كما روي عن العرب لحن جلي، ومثله نصب الفاعل ورفع المفعول[١].

أما علماء التجويد فقد درسوا الأصوات العربية بشكل أساسي بمعالجة اللحن الخفي، إذ إنهم قسموا اللحن إلى قسمين: اللحن الجلي وهو الخطأ الظاهر في الحركات واعتبروه ميدان عمل النحاة والصرفيين، واللحن الخفي وهو الخلل الذي يطرأ على الأصوات عندما لا توفى حقوقها من المخارج والصفات، وما يعتريها من أحكام عند تركيبها في الكلام المنطوق، واعتبروا هذا ميدان علماء التجويد وعملهم.

(١) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ـ ص٥٠ ـ ٥١.

رفع المسهم

ويُعَدّ أبو مزاحم موسى بن عبيد الله الخاقاني البغدادي (المتوفى ٣٢٥هـ) أول من ألف في التجويد، وهذه بعض أبيات من قصيدته:

أقول مقالاً معجِبًا لأولي الحِجر ... ولا فخر إن الفخر يدعو إلى الكِبْر

ويشير في قصيدته هذه إلى اللحن قائلاً:

فأول علم الذكر إتقان حفظه ... ومعرفة باللحن فيه إذا يجري

فكن عارفًا باللحن كيما تزيله ... فما للذي لا يعرف اللحن من عذر

وتذكر الأدبيّات أيضًا أنّ ابن مجاهد (المتوفى ٣٢٤هـ) والذي كان معاصرًا لأبي مزاحم الخاقاني الذي سبق ذكره، هو أوّل مَن أشار إلى اللحن؛ فهو صاحب فكرة تقسيم اللحن إلى جلي وخفي.

ويشير بعض علماء التجويد إلى اللحن، مؤكدًا أن القارىء لكتاب الله تعالى ينبغي أن يعرف اللحن الجلي واللحن الخفي، فالأول هو أن يرفع المنصوب وينصب المرفوع، أو يخفض المنصوب والمرفوع، وما أشبه ذلك، وهذا اللحن الجلي يعرفه المقرئون والنحويون وغيرهم ممن قد شم رائحة العلم(١).

ومن المراجع والمصنفات التي أشار إليها الدكتور قدوري(٢)، والتي تناولت موضوع اللحن بنوعيه، ما جاء في كتاب (التمهيد) الذي خصَّصه مؤلِّفه أبو العلاء الهمذاني العطار (المتوفى ٥٦٩هـ) لموضوع الإعراب، ويقسمُ اللحنَ إلى قسمين:

اللحن الجلي: وهو الظاهر الذي يستوي فيه المبتدىء والمنتهي، وهو تصحيف الحروف، وتغيير الحركات والسكون وما شابهها.

---

(١) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ــ ص٥٢.

(٢) المصدر السابق ــ ص٥٦.

واللحن الخفي: وهو الذي لا يقف على حقيقته إلا نحارير(١) القرَّاء ومشاهير العلماء، وهو على ضربين: أحدهما: لا تعرف كيفيته إلا بالمشافهة والأخذ من أفواه أولي الضبط والدراية، مثل: مقادير المدات، وحدود الممالات، والمشبعات، والفرق بين النفي والإثبات، والخبر والاستفهام، والإظهار والإدغام، والرَّوم والإشمام.. وغير ذلك مما يؤخذ من أهل الإتقان. والضرب الآخر من اللحن الخفي هو: المقيد بالخط، ولا يدرك إلَّا بالشكل والنقط ويحتاج طالبه إلى معرفة مخارج الحروف ومدارجها وصفاتها.

إنَّ مَن يطالع ويتتبَّع ما كتب عن جهود العلماء في ميدان التجويد أو في ميدان النحو واللغة بشكل عام يخرج بنتيجة تؤكد ارتباط هذه العلوم ــ التجويد والنحو والصرف ــ واندراجها تحت ما يسمى بعلوم العربية، والتي ما قامت أساسًا إلَّا لخدمة كتاب الله، وصونه من الخطأ والتصحيف، ومساعدة القراء على حسن أدائه.

وماذا يضير القارىء إذا تداخلت هذه الفروع، وتضافرت تلك الجهود؟ فإن منها ما يدرس الحروف: أسماءها ومخارجها وصفاتها وما يجري عليها من تركيبات، ومنها ما يهتم بمبنى هذه الحروف واجتماعها وتآلفها وارتباطها لتكون الجمل المختلفة في معانيها ودلالاتها، كل ذلك من شأنه أن يرشد القارىء الذي يبتغي التجويد، ويروم الإتقان في قراءة القرآن أوَّلًا، وفي قراءة غيره من العلوم والمصنفات ثانيًا.

❑ ❑ ❑

(١) مفردها: نِحرير، وهو الحاذق في علمه.

[٣]
وقفة لا بدّ منها

قد ترتفع بعض الأصوات زاعمة عدم الحاجة إلى معرفة شيء من قواعد النحو ومسائل الصرف ـ وذلك عندما يراد تعلم القرآن: تلاوته وترتيله ـ؛ بحجة أن ذلك يمكن التوصل إليه عن طريق تعلم أحكام التجويد وتطبيقها، وأنه لا حاجة لتعلم القواعد العربية؛ لتعقيدها وصعوبتها، وكثرتها وتداخلها.

وأقول: كيف يمكن للقارىء الذي يبتغي التجويد والتحسين أن يظن نفسه في غنى عن قواعد اللغة العربية، وهي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم، وهي الأداة أو الآلة التي تعينه على تلاوة القرآن، وتجويده بالكيفية المطلوبة كما أمرنا بها الله ورسوله؟!

كثيرون هم الذين يفهمون النحوَ على أنه ضبط أواخر الكلمات فحسب، وينسَون أن مهمة النحو أكبر بكثير من هذا التصور؛ فاللفظ أو الكلمة الواحدة لها حركات وسكنات، والحروف أيضًا لها مواضعها، ثم بعد ذلك تأتي مسألة تأليف الكلام وتركيبه بين تقديم وتأخير، وتوخي الصواب والسلامة وتجنب الخطأ.

رفع المسابهم

وهناك علاقة وثيقة بين نظم الكلام وتأليفه وبلاغته وبيانه؛ لأن العلاقة بين الإعراب أو النحو وبين المعاني واختلافها علاقة قوية، وأحسب أن هذا الجانب هو المفقود في حلقة تعليم قواعد اللغة العربية، وعليه ترتب الفهم الخاطىء لمهمة النحو، ووقع في خَلَد أبنائنا وبناتنا أن النحو لا وظيفة له، ولا أهمية له في حياتنا، وأن أيسر الطرق عندهم التسكين في أواخر الكلمات، والخلاص من هذه المسائل العويصة في نظرهم.

«.. بيد أن حركات الكلمة في بنيتها وفي آخرها لها أثر كبير في المعنى التركيبي، وبخاصة إذا كانت الجملة يراد لها أن تعطي إيجازًا بديعًا، ولا شك أن الإيجاز في اللفظ مع استيفاء المعنى من أعظم ميزات لغتنا الرائعة»[١].

تأمَّل معي هذا القول: (ما أحسن زيد)؛ تجد لهذه الجملة ثلاثة من المعاني المختلفة باختلاف حركات أواخر الكلمات، مع أن المبنى اللفظي كما هو، فيمكنك أن تقول: **(ما أحسنَ زيدًا)** بالنصب، لأنك تريد التعجب؛ فكأنك تقول: إنِّي أعجب كثيرًا لحسن زيد. وتقول: **(ما أحسنُ زيدٍ)** فترفع أحسن وتخفض زيدًا؛ لأنك تريد الاستفهام، وكأنك تسأل عن أحسن شيء في زيد هذا. وتقول: **(ما أحسنَ زيدٌ)** تفتح أحسن وترفع زيدًا، لأنك هنا إما أن تريد الاستفهام عن الشيء الذي أحسن فيه زيد، أو أنك تريد أن تنفي عن زيد فعل الشيء الحسن.

وتأمَّل معي أيضًا هذا التعبير: **(كم كتاب قرأت)**؛ تجد أنك إذا جررت (كتابًا) بالكسرة يعني أنك تريد الإخبار بكثرة ما قرأت من كتب، أما إذا

---

(١) مولد اللغة ــ ص١٣٤.

نصبت (كتابًا) فإنك تريد الاستفهام عن عدد الكتب التي قرأها من تخاطبه.

ويشير الكاتب الكبير أحمد أمين إلى أن الإسلام عندما جاء واتصلت به الثقافة العربية اتصالاً وثيقًا، كان من الدين التثقف بالعربية، والعلم باللغة والأخبار، وقد عمل الإسلام على رُقي العربية وتقنينها؛ ذلك أن القرآن الكريم والحديث النبوي عربيان، ومن حسن الإسلام تعلم لغتهما. ولكن بعد دخول اللحن في العربية، خاف المسلمون على القرآن من تسرب اللحن إليه، فوضعوا النحو، وحملهم وضع النحو على مشافهة الأعراب والأخذ عنهم؛ حتى يصلوا إلى قواعد الرفع والنصب والجر والجزم يضعونها، وكانت حركةً عنيفةً ومجهودًا كبيرًا تُوِّج بكتاب سيبويه، وما كان ليكون لولا القرآن.

وقد وردت في القرآن والحديث ألفاظ لغوية كثيرة، فضربوا أكباد الإبل إلى البادية للاستفسار عن لفظ، أو الوقوف على تعبير، ودعاهم ذلك إلى حفظ الأشعار من أجل أن يفسِّروا لفظًا قرآنيًا أو يفهموا تعبيرًا قرآنيًا، ودققوا في ذلك كله، وتحرَّوا من الصحيح، وكانت تلك الجهود وذلك التحري والتدقيق الذي ما كان ليكون لولا ما وراءه من باعث ديني[1].

وبعد.. إذا كان العرب في ذلك الوقت وهم يتكلمون العربية ويتقنونها يجدّون ويجتهدون، ويتحرون الدقة ولا يرضون إلا بالصحيح، من أجل فهم القرآن وتفسيره ومعرفة أسراره وإعجازه، فالأجدر بنا ونحن في عصر سادت فيه اللغات الأخرى، وانتشرت فيه اللهجات العامية المختلفة، وتفشَّى اللحن والخطأ بصورة جعلت منه الأصوب في نظر الناس، وجعلوا

(١) ضحى الإسلام، الجزء الأول ـ ص٣١٠ ـ ٣١١.

رفع المستهم

يمرون على الخطأ ولا يلتفت أحد منهم إليه، وكأنه هو الصواب. . فانقلبت الموازين. . ونسي الناس لغتهم. . أقول: أليس الأجدر بنا أن نهتم بدراسة لغتنا، ونقبل على تعلم قواعدها؟ لأنها الوسيلة الأكيدة التي ستوصلنا إلى قراءة كتاب الله باللغة التي نزل بها، وهي الأداة التي تساعدنا على تصحيح نطقنا وأدائنا، ومن ثَمَّ تجويد التلاوة بالصورة المطلوبة.

وقد أعجبني ما أورده الثعالبي في كتابه (فقه اللغة) بقوله: (أما بعد، فإن من أحب الله أحب رسوله المصطفى ﷺ، ومن أحب النبيَّ العربيَّ أحبَّ العرب، ومن أحب العرب أحب العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحب العربية عُني بها وثابر عليها وصرف همته إليها).

ويقول أيضًا: (والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة؛ إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين)[١].

ويروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: (تعلموا النحو كما تعلَّمون السنن والفرائض)[٢].

❑ ❑ ❑

---

(١) هامش كتاب ضحى الإسلام، الجزء الأول ـ ص٣١١.

(٢) البيان والتبيين، الجزء الثاني ـ ص١٥١.

رفع المستهم

[٤]

نشـأة اللحـن وانتشـاره

يشير الدكتور عبد العزيز مطر إلى أن اللحن ـ الذي يعني الخطأ ـ في اللغة قد ظهر متأخرًا عن المعاني الأخرى، وذلك لتأخر ظهوره في كلام العرب، معززًا كلامه برأي أحد اللغويين المتقدمين، حيث إن اللحن بهذا المعنى من الكلام المولد، لأن اللحن محدث، ولم يكن معروفًا عند العرب الذين تكلموا بطباعهم السليمة(١).

ويرى الرافعي أن اللحن هو أصل العامية ومادتها، وهو الذي عمل على شيوع العامية، فهو العامية الأولى كما يسميها؛ لأن اللحن تنويع في الكلام الفصيح غير طبيعي، ويراد باللحن الزيغ عن الإعراب، وهو أول ما اختبل من كلام العرب، ولم يكن معروفًا قبل الإسلام(٢).

من الواضح أنَّ العرب لم تزل تنطق على سجيتها في صدر الإسلام وماضي الجاهلية، حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان، ودخل الناس فيه أفواجًا، واجتمعت الألسنة المتفرقة، واللغات المختلفة واختلطت، ثم انتشرت العجمة حتى فشا الفساد في اللغة.

---

(١) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ـ ص٣٢.

(٢) تاريخ آداب العرب، الجزء الأول ـ ص٢٣٤. وقوله: (اختبل)، تعني: فسد.

رفع المسهم

ولم يلتفت العرب إلى الخطأ في اللغة إلا بعد أن اختلطوا بغيرهم من أهل البلاد المفتوحة، فظهر لهم الفرق بين التعبير الصحيح والتعبير الملحون، على إثر الفتوحات الإسلامية واختلاطهم بالأعاجم، مِن جرّاء انتشار العبيد والموالي والجواري في البيوت. وظهر اللحن أول ما ظهر في كلام الموالي والمتعربين منذ أيام الرسول ﷺ، وذلك حين لحن أحدهم بحضرته، فقال عليه الصلاة والسلام: «**أرشدوا أخاكم**»(١).

ويبدو أنَّ اللحن ظهر عند العرب في الإعراب أوَّلاً، أمَّا أخطاء الموالي والمتعربين فقد انحصرت في نطق الأصوات العربية وبخاصة تلك التي لا توجد في لغاتهم، مثال ذلك: نطق العين همزة، ونطق الحاء هاء، وغير ذلك.

وأوَّل لحن سُمع بالبادية قولهم: (هذه عصاتي)، والصواب: (هذه عصاي)، وأوَّل لحن سُمع بالعراق هو: (حيٍّ على الفلاح) بالكسر، وصوابه: (حيَّ على الفلاح) بالفتح(٢).

انتشار اللحن وصداه عند العرب

بعد انتشار الإسلام، نتيجة الفتوحات الإسلامية، وعلى إثر اختلاط العرب بالأمم الأعجمية، ظهر الفساد في اللغة العربية، وحدث اللحن في الألسنة، وتسرَّب إلى الناشئة، وبين عامة الناس، ولم يسلم منه الفصحاء من العرب. يقول الرافعي: «لما نشأ الجيل الثاني في الإسلام اضطربت السلائق، وذلك بعد أن كثر الدخيل وعلقته الألسنة لدورانه في

(١) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ــ ص٣٣.

(٢) البيان والتبيين، الجزء الثاني ــ ص١٥١.

المعاملات. . فانحرفت به ألسنة الحضر عن نهجها العربي، وخيف من تمادي ذلك على لسان العرب من الفساد فوضع أبو الأسود الدؤلي أصول النحو، ثم كان الناس يختلفون إليه يتعلمونها منه»[(١)].

ثم انتشر النحو وصار يعلَّم في المساجد، واشتُهِر بأنه من علوم الموالي، الذي يأنف منه الأشراف ويرغبون عنه. وهذا يذكِّر القارىء بما أوردته سابقًا أن النحو ما نشأ إلا بسبب اختلاط العرب بالأعاجم، وظهور الخطأ في لغة الناس وتعبيرهم، وكذلك لرغبة علماء النحو في تعليم أولئك الأعاجم كيفية النطق بلغة العرب صحيحة سليمة. ولقد كان العرب حينئذٍ ينفرون من اللحن ويستقبحونه، بل تشمئز منه النفوس وتنفر منه الآذان؛ فهم ما يزالون على حَمِيَّتهم الأولى وقريبي عهد بالعربية الصافية النقية.

إلاَّ أنَّ اللحن الذي ساد مع العصر الأموي، ومن ثَمَّ العصر العباسي، انتشر وفشا بين الكثير من الناس، وقد أحصوا الرجال الذين لا يتطرق اللحن إلى كلامهم فعدوا منهم عبد الملك بن مروان والحسن البصري. وكان عبد الملك بن مروان يستسقط من يلحن في كلامه، أما الحسن البصري فقد روي أنه كان يومًا مع جلسائه، فقال: توضيت، فقيل له: أتلحن يا أبا سعيد؟ فقال الحسن: إنها لغة هذيل. فكان جوابه أبين عن فصاحته من الفصاحة نفسها[(٢)].

وقبل ذلك عرف عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه كان يفضل أن يُسقط القارىء الكلمة من قراءته على أن يلحن فيها. وقد وردت على لسانه

(١) تاريخ آداب العرب، الجزء الأول ــ ص٢٣٩.

(٢) المصدر السابق ــ ص٢٤٠.

رفع المسيهم

عبارة مفادها: (لأن أقرأ فأُسقط، أحب إليَّ مِن أن أقرأ فألحن). أمَّا الخليفة عمر بن الخطَّاب فقد مَرَّ بقوم يرمون فاستقبح رميهم، فقال لهم: ما أسوأ رميكم! فقالوا: نحن قوم متعلمين، فقال عمر: لحنكم أشد عليّ من فساد رميكم(١).

إنَّ الأذن العربية الأصيلة تأبى اللحن وتستهجنه، والعرب أشد استنكارًا لزيغ الإعراب منهم لخلاف اللغة؛ فقد ينطق أحدهم باللفظ الدخيل أو المولد ولكنه لا ينطق اللحن.

وقد مرَّ سابقًا في الحديث عن نشأة اللحن أن بعض الروايات تذكر أن أوَّلية اللحن عُرِفت على عهد النبي ﷺ، حين لحن رجل بحضرته فقال عليه الصلاة والسلام: «أرشدوا أخاكم فقد ضلّ». ويستند الرافعي بقول النبي ﷺ هذا إلى أنَّ اللحن لم يكن معروفًا ومستقرًّا حينذاك، وإلا لكان تعبير الرسول الكريم مختلفًا عما روي عنه، لأن الضلال خطأ كبير، والإرشاد صواب أكبر منه، وعبارة الرسول تكاد تنطق بأن ذلك اللحن كان بالفعل أول لحن سمعه أفصح العرب ﷺ(٢).

وذاك عبد الملك بن مروان الذي لم يتطرّق اللحن إلى كلامه قط ــ كما يُروى عنه ــ قيل له ذات مرة: لقد عجل إليك الشيب يا أمير المؤمنين، قال: «شيَّبني ارتقاء المنابر وتوقع اللحن». وقال: «اللحن في الكلام أقبح من التفتيق في الثوب»(٣).

(١) سلامة اللغة العربية ــ ص٢٦.

(٢) تاريخ آداب العرب، الجزء الأول ــ ص٢٣٧.

(٣) سلامة اللغة العربية ــ ص٢٧.

رفع المسهم

هكذا ترى العربُ اللحنَ قبيحًا مستهجنًا، وبخاصة إذا وجد طريقه إلى القرآن الكريم.

سأل الحجاج يومًا يحيى بن يعمر قائلاً له: أتجدني ألحن؟ قال له يحيى: الأمير أفصح من ذاك. قال الحجاج: عزمت عليك لتخبرني. فقال يحيى: نعم. قال: في أي شيء؟ فقال: في كتاب الله. فقال: ذلك أسوأ، ففي أي حرف من كتاب الله؟ قال: قرأت: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم ﴾ [التوبة: ٢٤]، فرفعت (أحبَّ) وحقها النصب. فغضب الحجاج، وقال له: لا تساكنني ببلد أنا فيه. ونفاه إلى خراسان[١].

❑ ❑ ❑

(١) سلامة اللغة العربية ــ ص٢٧.

رفع المسهم

[٥]
جهود علماء العربية في مواجهة اللحن

لما كان القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة التي لا تزيدها الأيام والسنون إلا ثباتًا ورسوخًا، ولما كان هذا الكتاب العظيم المنزل بلغة عربية عظيمة هو ما بهر عقول العرب، وهيمن على قلوبهم، وشغلهم عن الكثير من الأمور التي كانت تأخذ اهتمامهم.. فقد وقف العرب من هذا الكتاب العظيم موقف المتأمل المتدبر، موقف من يريد الفهم والغوص في أسرار هذا الكتاب المعجز، وأحاطه المهتمون بالرعاية والعناية؛ وذلك للمحافظة على تراكيبه، وكيفية ترتيله، والأخذ بلهجاته مع الإتقان والضبط، كل ذلك في دقة بالغة، ومعاناة ومكابدة.

ومن هذا المنطلق انبرى العلماء في كل مجال للبحث في أسرار كتاب الله العظيم، وظهر المؤلفون والباحثون بمختلف التخصُّصات والعلوم، فألف جماعة في النحو العربي وصرفه، وجماعة أخرى راحت تجمع اللغة ومواطنها ولهجاتها، فظهرت المعاجم اللغوية، وصنَّف آخرون علم القراءات، وبحث أناس في الإعجاز القرآني والبيان القرآني، واجتهد النحويون في إعراب القرآن والخوض في غريبه وأسراره...

رفع المسيّهمّ

وهكذا فإن هذه الخطوات الجبارة، والجهود العظيمة ما قامت إلا لغرض خدمة القرآن، والحفاظ عليه، وتذليل صعابه، وتفسير معانيه، وتوضيح مجازاته وبديعه(١).

[نشأة علم النحو في مواجهة اللحن]

وبالطبع في هذا المقام سوف أركز على علم النحو، وبداية نشأته، فقد نشأ هذا العلم في رحاب القرآن الكريم، ولقد أشرت سابقًا كيف تفشى اللحن وفسَدت الألسنة، واختل الإعراب، ذلك عندما اختلط العرب الأقحاح بغيرهم من الأمم الأخرى من ذوي الألسنة المتعددة، ومن ثَمَّ حرص هؤلاء الذين دخلوا الإسلام على تعلم العربية، اللغة التي ستوصلهم إلى فهم القرآن الكريم.

ولكن الذي أفزع العرب ودعا مباشرة إلى وضع علم النحو هو وصول اللحن إلى القرآن الكريم، وتلك القراءات التي سُمعت باللحن الذي يفسد المعنى، ويؤثر في الأحكام، وغير ذلك من مساوىء اللحن في القراءة.

وتتعدَّد الرِّوايات حول ظهور اللحن وفساد الألسنة بما يهدِّد سلامة اللغة العربية، وهي روايات في مجملها تؤكِّد أنَّ اللحن كظاهرة عامّة استوجبت وضع النحو الذي يحفظ الألسنة من الخطأ ويعين غير أهل العربية على فهم الدين، ومنها رواية تقص حادثة اللغوي الكبير أبي الأسود الدؤلي مع ابنته، حين أحس ببادرة من التغيير على لسانها، إذ قالت لأبيها وهي تنظر إلى السماء متعجبة: (ما أحسنُ السماء!) فرفعت (أحسنُ) وحقها في التعجب النصب، وفي الاستفهام الرفع، ففهم أبوها الاستفهام على ظاهر

---

(١) سلامة اللغة العربية ـ ص٢١ ـ ٢٢.

رفع المسارهم

ما تكلمت به، فقال لها: نجومها، أي: أحسنها نجومها. فأدركت خطأها وقالت: أنا متعجبة ولست مستفهمة[١].

وفي رواية أخرى أنها تعجبت من شدة الحر، فأراد أبو الأسود الدؤلي أن يصنع شيئًا، فالخطر يقرع أجراسه في بيته، ولو ترك الأمر هكذا تعبث به المنزلقات، فلا بد أن يأتي يوم تضيع فيه هذه اللغة، وتفسد بين أبنائها، وعُجمة منتسبيها[٢].

وهناك نموذجان لروايتين تشيران إلى بداية اللحن في القرآن الكريم، وهو الأمر الذي أخاف العلماء والخلفاء، فهبُّوا جاهدين لمواجهته والتصدي له.

الرِّواية الأولى: تحكي عن الأعرابي الذي قدم في زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى المدينة ليتعلم القرآن، فقال: من يُقرئني ممَّا أُنزل على محمَّد؟ فأقرأه رجل من سورة التوبة، حتى وصل إلى قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ فقرأها بالجرّ، فقال الأعرابي: أو قد بريء الله من رسوله؟ فإن يكن الله بريء من رسوله، فأنا أبرأ منه. فبلغ عمر بن الخطاب ما قاله الأعرابي فدعاه، فقال: يا أعرابي، أتبرأ من رسول الله ﷺ؟ فقال الأعرابي: يا أمير المؤمنين إني قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن، فسألت من يقرئني فأقرأني أحدهم سورة براءة... إلخ، فقال عمر: ليس هكذا يا أعرابي. قال: فكيف هي يا أمير المؤمنين؟ فقال عمر: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ بالرفع. فقال الأعرابي: وأنا والله أبرأ مما بريء الله ورسوله منه. فأمر عمر بن الخطَّاب ألا يقرىء

(١) مولد اللغة ــ ص١٢١.

(٢) سلامة اللغة العربية ــ ص٤١.

الناس إلا عالم باللغة. وأمر بالأسود فوضع النحو[(١)].

والرِّواية الثَّانية حول وقوع اللحن في القرآن الكريم: ما سُمع من قراءة آية الحاقة، في قول الله تعالى: ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ۝٣٧﴾ فقرئت (الخاطئين) منصوبة، وروي أنَّ الإمام عليّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه عندما سمع أعرابيًّا يقرأ (لا يأكله إلا الخاطئين) أمر بوضع النحو[(٢)].

أسباب نشأة علم النحو وعلاقة ذلك بالقرآن الكريم

وقد فصَّل أحد الكتَّاب والباحثين في مسألة نشأة النحو وأسبابه، مؤكدًا أن النحو نشأ بدافع الخوف على القرآن الكريم وصيانة له، ثم نما وازدهر في رحاب القرآن أيضًا، وهو ما يتفق عليه الدارسون ويُجمع عليه الباحثون في الأدبيات التي تسنَّى لي الاطِّلاع عليها.

وأرى أن ذكر هذه الأسباب تعود بالنفع على القارىء، ولا بأس من عرضها، وتتلخَّص فيما يلي[(٣)]:

الأسباب الخاصّة:

١ ــ اللحن في بعض الآيات القرآنية ــ وقد ذكرت سابقًا بعض نماذج لها ــ، كان باعثًا على وضع النحو.

٢ ــ دعوة زياد (أحد الولاة في العصر الأموي) أبا الأسود الدؤلي لوضع النحو بقوله: (اعمل شيئًا تكون فيه للناس إمامًا، وينتفع الناس به،

(١) النحو وكتب التفسير، الجزء الأول ــ ص٣٦.

(٢) المصدر السابق، الجزء الأول ــ ص٣٧.

(٣) النحو وكتب التفسير، الجزء الأول ــ ص٣٨ ــ ٤١.

رفع المسهم

وتُعرب به كتاب الله)، وهذا يؤكد أن إعراب كتاب الله ومعرفته باعث أصيل وأساسي لوضع النحو وتأسيس قواعده.

٣ ــ نقط المصحف، وهي المهمة التي قام بها أبو الأسود الدؤلي، وكانت خطوة بارزة في نمو النحو ووضوح معالمه، والباعث على وضع التنقيط هو صون كتاب الله من التحريف والتصحيف(١) واللحن.

الأسباب العامّة:

١ ــ الحفاظ على سلامة القرآن الكريم من اللحن أول ما تبادر إلى أذهان العلماء؛ لأنه واجب ديني، وقد جاء في الحث على تعلم إعرابه وتعليمه قول النبي ﷺ: «**أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه**»، وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (من قرأ القرآن فأعربه كان له أجر شهيد).

٢ ــ توثيق النص القرآني لحفظه من الخطأ في قراءته، ومن اختلال روايته، ومن اللحن فيه أمر بدأ مبكرًا، ويبدو ذلك من حرص الرسول الكريم على القرآن، ومنعه كتابة كلامه معه، وأمره أصحابه حفظة القرآن بحفظ القرآن في الصدور، واتِّخاذه كتَّابًا للوحي معروفين في ذلك الوقت.

٣ ــ نشأة النحو بسيطًا لا تعقيد فيه، ثم ازدهاره واتساع قواعده، واتضاح معالمه في رحاب القرآن الكريم؛ لأن كتاب الله كان أوثق النصوص لدى علماء النحو وأفصحها لبناء القواعد عليه، وهم بخدمة كتاب الله يطلبون الأجر والثواب من الله عز وجل. (انتهى عرض الكتاب المشار إليه، وهو: «النحو وكتب التفسير»).

---

(١) التصحيف يعني قراءة الكلمة بخلاف ما أراد كاتبها، أو نقل نقطة حرف إلى حرف آخر.

رفع المسابهم

[٦]
جهود العلماء في خدمة القرآن الكريم واللغة

والحقّ أنّ استعراض الجهود التي بذلت في سبيل الحفاظ على كتاب الله، وفي سبيل خدمة اللغة التي نزل بها، يؤكد ما أراده الله من تسخير للعلماء ـ كل بجهده وتخصصه ـ لتوفير التوثيق والرعاية لكتابه العزيز، وهو الواجب الذي ينبغي أن يضطلع به كل مسلم في كل زمان وفي كل مكان.

وفي السطور اللاحقة سوف أقدم ملخصًا لجهود العلماء من أجل خدمة القرآن الكريم في مجالين هما:

١ ـ جمع القرآن وتدوينه؛ حفظًا له من الضياع، والاختلاف فيه وفي قراءاته.

٢ ـ وضع النحو العربي لإنقاذ اللغة العربية، وحفظها، وحفظ كتاب الله.

لماذا الحديث عن جمع القرآن وتدوينه، وعن نشأة النحو ووضع أصوله؟

قد يتساءل أحد القراء قائلاً: ما شأننا الآن وهذا الحديث عن جمع القرآن وتدوينه، وعن نشأة النحو ووضع أصوله؟ وما صلة هذا كله بباب اللحن وخطره، والتصدي له؟ والأهم من ذلك ما علاقة ذلك بالتجويد وقواعده؟

رفع المسلم

وأقول: إنّما رغبت في تقديم ملخص عن هذه الجهود بين يدي القارىء، لأسباب آمل أن تكون واضحة ومتمثلة في ذهن القارىء وهي:

١ ــ أن القارىء عندما يتعرف جهود صحابة رسول الله ﷺ، وجهود الخلفاء الراشدين، واهتمام العلماء المسلمين بالقرآن؛ لحفظه من الضياع، والحرص عليه وعلى سلامة نصه من التحريف والتبديل، يدرك عظم محبتهم لكتاب الله عز وجل، وغيرتهم عليه، فيقتدي بهم ويسير على نهجهم، وينظر إلى أعمالهم هذه بعين التقدير والإجلال، ومِن ثَمَّ يعمل جاهدًا للسَّير في الاتِّجاه نفسه؛ ليؤدِّي واجبه الأوَّل والأساسي نحو كتاب الله.

٢ ــ أنَّ القارىء عندما يطَّلع على تلك الجهود، ويدرك حجم المكابدة والمعاناة التي وجدها أولئك الذين عملوا جادِّين مخلصين، سوف يتوجه إلى الله عز وجل حامدًا له، شاكرًا لنعمه الكثيرة، مدركًا أنه الآن وفي الوقت الحاضر في نعمة كبيرة يتقلب فيها، وقد لا يكون واعيًا لعظمها وجلالها، لأن القرآن الكريم محفوظ بإذن الله من كل زيف ومن كل يد ضالة، وكتاب الله عز وجل متوافر بين أيدينا بصورته التي أرادها الله عز وجل، وبالكيفية التي نزل بها الوحي الأمين على رسول الله ﷺ، وهو بهذه الصورة وبهذه العناية التي أحاطته، والرعاية التي حفظته لا يتطلب من الفرد المسلم إلا أن يبذل الجهد، والوقت، ويعمل بإخلاص من أجل قراءته القراءةَ الصحيحة المجوَّدة المتقنة اللائقة به وبمكانته في النفوس والقلوب، والعمل كذلك من أجل تعليمه لغيره، دون ملل أو كلل، أو تقصير من قريب أو بعيد؛ متقربًا في عمله هذا إلى الله عز وجل، راجيًا قَبوله، وسائلاً الأجر والثواب منه سبحانه.

٣ ــ أن الفرد المسلم الغيور على دينه ولغته، ينبغي ألا ينظر إلى

العربية على أنها من العلوم القديمة، أو أنها من العلوم التي لا نحتاجها في العصر الحاضر؛ لأن دوام اللغة العربية من دوام القرآن الكريم، واستمرارها وتطورها إنما كان ولا يزال وسيبقى بفضل كتاب الله عز جل وفي ظلاله وفي رحابه، والقرآن الكريم شامخ عزيز يتحدى الأولين والآخرين.

ولذلك فإن علينا أن نحب اللغة العربية وندافع عنها في كل محفل، وأقل ما يمكن أن نفعله لهذه اللغة العظيمة أن نتعلمها ونتقنها، لأنها ـ كما أسلفت سابقًا ـ الأداة الضرورية التي توصلنا إلى فهم القرآن الكريم وإتقان تلاوته، لذا فإن علينا أن نتدارك كل نقص في عِلمنا بالعربية، ونتلافى كل تقصير حتى لا يلحق هذا العجز والتقصير علمنا بالقرآن الكريم.

ولا يصح أن يتعلل الواحد منا بصعوبة القواعد العربية، وتعقيد النحو العربي، وما إلى هذه الحجج الواهية... كيف يجوز لنا هذا القول ونحن أبناء العربية؟! وماذا عن أبناء غير العرب، ممن هم مختلطون بالعرب، ومعايشون لهم، ويبذلون كل ما يقدرون عليه من أجل إتقان اللغة العربية، وتعلم القرآن الكريم؟ أليس من واجبنا أن ننظر إلى هؤلاء بكل إكبار واحترام؟ لماذا؟ لأنهم يعانون ويكابدون المشقة في قراءة القرآن وتعلمه، وذلك كله تقربًا إلى الله عز وجل، وطمعًا في رضاه.

ولهذا علينا أن نتذكر حديث الرسول ﷺ في فضل قراءة القرآن والعناية به، ذلك الحديث الذي ترويه أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها، حيث قالت: قال رسول الله ﷺ: «الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السَّفَرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران»(١).

---

(١) صحيح مسلم، المجلد الأول ـ ص٣١٩، وانظر: رياض الصالحين ـ ص٣٢٣. =

رفع المسابهم

جمع القرآن وتدوينه(١)

جمع القرآن يقصد به العلماء أحد معنيين:

ـ جمعه بمعنى حفظه في الصدور. وجمّاع القرآن هم حفاظه.

ـ وجمع القرآن بمعنى كتابته كله، مفرق الآيات والسور، أو مرتب الآيات، وكل سورة في صحيفة واحدة.. أو مرتب الآيات والسور في صحائف متعددة تضم السور جميعها.

١ ـ تدوينه وجمعه في عهد الرسول ﷺ:

كان هناك جمع القرآن الكريم بالمعنى الأول الذي هو حفظه في الصدور، وكان الرسول الكريم من شدة شوقه لنزول الوحي بالقرآن، ومن فرط ولعه بكلام الله يحرك شفتيه ولسانه بالقرآن حين ينزل عليه وقبل أن يفرغ منه جبريل عليه السلام؛ حرصًا منه على حفظه؛ فنزل عليه قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة].

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يحرصون على مدارسة القرآن وحفظه، ويتنافسون في ذلك، وعرف عدد كبير من حفّاظ القرآن، هم: عبد الله بن مسعود، وسالم بن معقل مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأُبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو زيد السكن، وأبو الدرداء..

= يتتعتع: يتردّد عليه لسانه ويقف في القراءة، لعدم المهارة فيها. والأجران: أجر القراءة، وأجر المشقة.

(١) اعتمدت في تلخيص هذا الجزء كتابَ مناع القطان (مباحث في علوم القرآن) من ص١١٨ إلى ص١٣٨.

رفع المسلم

وهؤلاء القراء الحفّاظ السبعة ــ وقيل: ثمانية بزيادة سعيد بن عبيد معهم ــ هـم الـذيـن جمعـوا القـرآن كلـه كـامـلاً فـي صـدورهـم، وعـرضـوه علـى الرسول ﷺ، واتصلت بالمسلمين أسانيدهم، ومعهم قرّاء وحَفَظَة آخرون لا مجال لحصرهم هنا.

وأجدر ما يمكن ذكره في هذا المقام أنَّ الاعتماد على الحفظ في النقل من خصائص الأمة الإسلامية، وأنَّ الأمة العربية كانت قوية الذاكرة بالفطرة والسجية، وتستعيض عن أُمّيتها في كتابة الأخبار والأشعار والأنساب بسجلّ تحفظه الصدور.

وكما أنَّ الرسول ﷺ يحفظ القرآن، ويشجّع على حفظه، ويدعو إلى الأخذ عن حُفّاظ القرآن، فقد كان له ــ عليه الصلاة والسلام ــ كتّاب للوحي من أجلّاء الصحابة، مثل: علي، وأُبـي بن كعب، وزيد بن ثابت، وكان ﷺ عندما تنزل عليه الآية يأمرهم بكتابتها، ويرشدهم إلى موضعها من السورة؛ حتى يتفق ما في الصدور مع ما في السطور.

وكتابـة القـرآن في عهـد النبـي ﷺ كانت في (العُسب، واللخـاف، والكـرانيـف، والـرقـاع، والأقتـاب، وقِطـع الأديـم، والأكتـاف)[1]... وهذا دليـل على مدى المشقّـة والمعاناة التي تحمَّلهـا صحابة رسول الله في كتابة القرآن في وقت لم تتيسَّـر أمامهم أدوات الكتابـة... فما أعظمـه من عمل!.

---

(١) العسـب: هـو جـريـد النخـل، واللخـاف: صفـائـح الحجـارة، والكـرانيـف: أصـول السعـف الغـلاظ، والـرقـاع مـن الجلـد والـورق، والأقتـاب: هـو الخشـب الذي يوضع على ظهر البعير، والأكتاف: عظام البعير أو الشاة عندما تجف يكتبون عليها.

وقد توفي الرسول ﷺ والقرآن محفوظ في الصدور، ومكتوب في الصحف على النحو الذي سبق ذكره، مفرَّقًا وليس في مصحف واحد، مفرَّق السور والآيات، ومرتَّب الآيات في كل سورة، وكل سورة في صحيفة مستقلة بالأحرف السبعة، ولم يكتب القرآن في مصحف واحد حتى يكتمل نزوله، ولم يتمّ ذلك إلاَّ بموته ﷺ.

٢ ـ جمعه في عهد أبـي بكر الصدِّيق رضي الله عنه :

وقعت أحداث كثيرة أبرزها غزوة أهل اليمامة سنة ١٢هـ، حين جهز الخليفة أبو بكر الجيوش لمحاربة المرتدّين عن الدين بعد موت الرسول ﷺ، وفي هذه الغزوة استُشهد (٧٠) سبعون قارئًا من الصحابة، فراع ذلك عمر بن الخطاب، وسارع ليشير على أبـي بكر بجمع القرآن وكتابته خشية الضياع.

ولكن أبا بكر نفر من هذه المشورة، وكبُر عليه أن يفعل ما لم يفعله الرسول ﷺ، وظلَّ عمر بن الخطاب يراود أبا بكر حتى شرح الله صدره لهذا الأمر، فعرضه على زيد بن ثابت؛ فهو من حُفَّاظ القرآن، وله مكانته في القراءة والكتابة والفهم، وكان أن نفر زيد من هذه الفكرة حتى شرح الله صدره هو الآخر لفكرة جمع القرآن وكتابته، وكان يراه أمرًا شاقًا؛ لأنه سيعتمد في تنفيذه على ما حفظ في الصدور، وما هو مكتوب لدى كَتَبَة القرآن.

وهكذا نفذ أبو بكر الصدّيق، وتولَّى زيد بن ثابت جمع القرآن من العسب واللخاف وصدور الرجال، وبقيت تلك الصحف عند أبـي بكر حتى توفي، ثم عند عمر بن الخطاب، ثم صارت عند حفصة بنت عمر، حتى طلبها بعد ذلك الخليفة عثمان بن عفان.

وقد كان هذا الجمع والتدوين يلتزم التثبُّت والتدقيق، ويشتمل على الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، وصار القرآن كله في مصحف واحد مرتَّب الآيات والسور، فكان أبو بكر رضي الله عنه أول من جمع القرآن في مصحف واحد وإن كانت هناك مصاحف فردية مفرقة عند بعض الصحابة، لم تكن على درجة من التحرّي والدقة والجمع والترتيب كما هو في مصحف أبي بكر.

ويؤثَر عن الإمام عليّ كرَّم الله وجهه قوله: (أعظم الناس أجرًا في المصاحف أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر، هو أوَّل من جمع كتاب الله).

وجمع القرآن في عهد أبي بكر كان يهدف إلى حفظ القرآن وصونه من الضياع والذهاب على إثر ذهاب حَفَظَته وحَمَلَته حين اشتدَّ القتل بالقراء.

٣ ـ جمعه في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه:

حين اتسعت الفتوحات الإسلامية، وتفرَّق قرّاء القرآن في مختلف الأمصار، وكانت هناك وجوه للقراءة مختلفة يؤدون بها في قراءاتهم، وإذا حدث أن جمعهم موطن أو مكان فقرأوا؛ اختلفوا في قراءاتهم، ثار الجدل واللجاج، وبدت بوادر فتنة هي أحوج إلى المعالجة.

وهذا ما دعا الصحابي حذيفة بن اليمان الذي شهد ذلك الاختلاف الكبير في وجوه القراءة إلى أن يفزع إلى الخليفة عثمان بن عفان الذي وصلته أخبار ذلك الاختلاف. وخشي الصحابة أن يؤدي ذلك الاختلاف إلى تحريف القرآن أو تبديله، فسارعوا إلى ما يحفظ الأمة من هذه الفتنة، وأمر عثمان بن عفان بنسخ الصحف الأولى التي جُمعت في عهد أبي بكر،

وكلَّف مجموعة من الصحابة من حفّاظ وكَتَبَة القرآن ـ وعلى رأسهم زيد بن ثابت ـ نسخ تلك الصحف في المصاحف مع مراعاة أن يكتب ما يقع الاختلاف فيه بلسان قريش لأن القرآن نزل به.

وكتبت المصاحف على حرف واحد من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، حتى يجتمع الناس وتتفق الأمة على قراءة واحدة؛ فالقراءة بالأحرف السبعة ليست من باب الوجوب، وإنما كانت إباحة وتيسيرًا على الأمة، وبعد أن تمَّ جمع القرآن في المصاحف المتفق عليها، أرسل بنسخة من ذلك إلى كل مصر من الأمصار، وبقي في المدينة مصحف واحد وهو ما يُطلق عليه (المصحف الإمام).

لقد كان الباعث الذي دفع عثمان بن عفان إلى جمع القرآن وتدوينه كثرة الاختلافات في وجوه القراءة، إضافة إلى بعض القراءات التي دخلها اللحن، ووقوف كل قارىء عند قراءته مكفِّرًا غيره في القراءة. .

ولكن الله هو الحافظ لهذا الكتاب العزيز من كل تبديل أو تحريف، فسخَّر له هؤلاء الخلفاء والصحابة الأجلاَّء رضوان الله عليهم، ويسَّر لهم جهودهم وباركها، حتى حسم الخلاف، وقطع دابر الفتنة، وحصَّن القرآن الكريم من أي تحريف على مرّ العصور حتى وصلنا بالصورة التي أرادها الله سبحانه.

❑ ❑ ❑

[٧]

وضع النحو العربي، ومكانته العلمية

لقد اتَّضح للقارئ في جزء سابق من هذا الفصل كيف أن اللحن في اللغة الفصحى، واختلال الألسنة والخطأ في النطق، كل ذلك كان سببًا فعالاً في نشأة النحو، وتقنين القواعد العربية، واستنباطها للنطق الصحيح، وهذا ما يجمع عليه الكتاب والباحثون.

ولا يغيب عن الأذهان أن القرآن الكريم كان السبب الأكبر في نشأة النحو، وأن اللحن في قراءة القرآن كان أمرًا لافتًا للنظر، وداعيًا كبيرًا لتقنين كلام العرب.

ولقد كانت الخطوة الأولى لإصلاح الخلل الذي طرأ على الألسنة، ومواجهة مشكلة الخطأ في الإعراب الذي تفشى بين الناس هي الجهود الإصلاحية التي قام بها اللغوي الكبير أبو الأسود الدؤلي، وذلك بدعوة من زياد، وبعض الروايات تقول إن أبا الأسود هو الذي طلب إلى زياد الإذن له بوضع القواعد التي بها يعرف الناس كلامهم؛ بسبب ما رآه من فساد الألسنة بعد مخالطة الأعاجم[١].

(١) سلامة اللغة العربية ــ ص٣٩ ــ ٤٠.

رفع المسيهم

وتذكر عدد من الروايات أن أول من وضع النحو في العربية وأسس لهذه القواعد الإمام علي بن أبـي طالب، وأخذ عنه أبو الأسود الدؤلي، الذي وضع القواعد لعدد من أبواب النحو العربـي[1].

إلى جانب القواعد الأولية التي وضعها أبو الأسود بتوجيه من الإمام علي فقد وضع الحركات، واعتمد التنقيط وسيلة في تحديدها، والدافع إلى هذا هو الدافع نفسه الذي حفزه لوضع النحو، وهو الخطر الذي صار يهدد العربية وسلامتها، والذي تفشى بين الناس حتى أحسّ به من أقرب الناس إليه وهي ابنته ــ كما ذكرت سابقًا ــ في هذا الفصل.

لقد كان نقط المصحف، وتمييز ضبط حروف الكلمات القرآنية فيه خطوة بارزة في نمو النحو ووضوح معالمه، وينسب هذا العمل الجليل لأبـي الأسود الدؤلي على أكثر الروايات، ودافعه إلى ذلك صون كتاب الله وحفظه من التحريف والتصحيف واللحن فيه. فالمصحف ــ كما هو معروف ــ لم يكن قبل محاولات أبـي الأسود منقوط الحروف ولا مشكولها، فكانت طريقته هذه هي الخطوة الأولى والسابقة للشكل المعروف، وكانت النقطة فوق الحرف المفتوح تعني الفتحة، وأسفل المكسور تعني الكسرة، وبين يدي المضموم تعني الضمة.

يقول أبو الأسود لكاتبه في هذا العمل: (إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه، فإن ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف، فإن اتبعت شيئًا من ذلك غنة (أي تنوينًا) فاجعل النقطة نقطتين.

---

(١) سلامة اللغة العربية ــ ص٤١.

رفع المسابهم

فهذا نقط أبـي الأسود[١]، وهو نقط الإعراب.

ويجب أن يميزه القارىء عن نقط آخر هو نقط الإعجام؛ لماذا؟ لأن جهود أبـي الأسود لم تكن كافية لحفظ اللغة وضمان سلامتها، وضبط المصحف وصيانته، فقد وقع خطر آخر وهو التصحيف[٢] الذي يحرف اللفظ ويغيره من صورة إلى أخرى مغايرة، **وهنا نبعت الحاجة إلى الإعجام**[٣]، وذلك بعد اختلاط العرب بغيرهم، وفساد السليقة العربية، وظهور الحاجة إلى التمييز بين التاء والثاء والباء والياء، والحاء والخاء والجيم.. وغيرها. وهذا التنقيط الذي يراد به إعجام الحروف وتمييزها عن الحروف المهملة، هو من الأعمال التي تنسب إلى كل من: **يحيى بن يعمر**، وهو من علماء التابعين ومن العارفين بالفقه والحديث ولغات العرب، **ونصر بن عاصم**، الذي كان فقيهًا عالمًا بالعربية. وكل منهما أخذ عن أبـي الأسود الدؤلي كما تقول الروايات[٤].

وعلى الرغم من الجهود التي قام بها أبو الأسود وغيره إلا أن اللغة بقيت تعاني من اللبس والإشكال؛ وذلك بسبب أن شكل الحرف (أي حركته) وإعجام الحرف (أي تنقيطه) قائمان على أساس النقطة، فالكتابة تجري باللون الأسود، والشكل الذي يعتمد النقطة يجري باللون الأحمر، الأمر الذي أدى إلى تراكم النقاط، وعدم توافر الألوان الكافية في أحيان كثيرة، كما أن بنية الكلمة أصابها التغيير مع عدم ضبط حركتها، فبقي الأمر

---

(١) النحو وكتب التفسير، الجزء الأول ـ ص٣٩.

(٢) التصحيف: قراءة الكلمة بخلاف المراد منها، أو نقل نقطة حرف إلى حرف آخر.

(٣) الإعجام: تنقيط الحروف المتشابهة في الشكل للتمييز بينها.

(٤) سلامة اللغة العربية ـ ص٥٥ ـ ٥٦.

رفع المسهم

يبعث على البلبلة والحيرة، والصعوبة في القراءة الصحيحة مع الخشية من التحريف، حتى هيأ الله للغة العربية العالم الكبير الخليل بن أحمد الفراهيدي، الذي وضع الركائز الأساسية لعلم النحو، فكانت آراؤه وأفكاره في مجال النحو واضحة جلية في كتاب تلميذه، النحوي الكبير، سيبويه.

لقد فتح الله على هذا العالم فأوجد الحركات التي نعتمدها في كتاباتنا منذ ذلك الحين حتى يومنا هذا، فأكمل مسيرة أبي الأسود ومن جاء بعده.

ولقد كان إصلاح الخليل بن أحمد هو الذي ضمن للغة العربية السلامة والدقة، وقيد الشكل في الكلمة بحركات من جنس الحروف نفسها، ووضع العلامات [الفتحة والضمة والكسرة والسكون والشدة والمدة] حتى أزال اللبس والغموض وسلمت العربية من التحريف والأخطاء الخطيرة(١).

وللخليل بن أحمد(٢) جهود وإصلاحات جليلة في علم اللغة، والأصوات والعروض، مما جعل منه عالمًا فذًا عبقريًا، يستحق كل تقدير.

وتمر السنوات، وتتعاقب الأجيال، وتستمر جهود العلماء الغيورين على اللغة، الراغبين في صيانة اللسان من الانحراف، وتتوالى الأعمال والمؤلفات التي ترشد الناس وتبين لهم الصحيح في اللغة، ومن هنا تنوعت المؤلفات، فأغنت المكتبة العربية بالكتب والدراسات اللغوية التي تضع للناس القواعد الضابطة، وترصد الانحرافات اللسانية، وتعمل على تصويب الأخطاء الكتابية، كل ذلك بدافع واحد لا يتغير ولا يتبدل وهو سلامة القرآن الكريم وحفظه(٣).

(١) سلامة اللغة العربية ـ ص٧٦ ـ ٧٨.

(٢) في الفصل الأخير ترجمة للعالم الخليل بن أحمد الفراهيدي.

(٣) سلامة اللغة العربية ـ ص٩٦.

والحقيقة الجلية التي لا مراء فيها هي أن الدراسات اللغوية بمختلف فروعها ما قامت وما تطورت إلا بفضل القرآن الكريم، إضافة إلى العلوم المختلفة التي نشأت وازدهرت في رحاب الدين واللغة. وقد بدأت هذه الدراسات في الظهور مع مطلع القرن الثاني الهجري، عندما اتسعت رقعة الفتوحات الإسلامية، وتطورت الدراسات وتركزت جهود العلماء في دراسة النحو، لذلك كان يسمى وحده (علم العربية) لأهميته في ضبط الحركات وسلامة اللغة.

وهكذا تتوالى الجهود، ويحفظ الله كتابه العزيز، وينسحب ذلك على اللغة العربية، فتبقى على مر الأيام والسنين مادة خصبة، ونبعًا لا ينضب للدراسة والنقد والتمحيص.

❑ ❑ ❑

[٨]

كيف يمكننا تجنب اللحن؟

لا شكّ في أننا جميعًا ندرك أن القرآن الكريم هو وثيقة النبوة الخاتمة، ولسان الدين الحنيف، وقانون الشريعة الإسلامية، وهو قاموس اللغة العربية، وهو القدوة لنا، والإمام في حياتنا، به نهتدي وإليه نحتكم؛ نعمل بأوامره ونواهيه، ونقف عند حدوده ونلتزم بها، وكما أننا نحبّ هذا الكتاب المبين المنزل من الله العليّ القدير، لا بدّ أن نحبّ لغته، واللسان الذي نزل به، وكما أن القرآن الكريم أشرف الكتب السماوية، فاللغة العربية أشرف اللغات وأسماها.

وإذا أحببنا لغتنا وعنوان حضارتنا وسبب عزنا بين الأمم، فينبغي حينها أن يظهر علينا شيء من علامات هذا الحب، وأبسط صوره أن نعرف لغتنا، ونحسن التعامل بها تحدثًا وكتابة وقراءة، وندرك قيمتها ووظيفتها في حياتنا، ودورها الكبير في التعامل مع الكتاب العظيم ـ القرآن ـ إذا كنا نتصدى لقراءته قراءة صحيحة، أو كنا نتطلع إلى تحسين قراءتنا له، وتجويد تلاوتنا لآياته.

وإذا عرف أحدنا أن اللحن في الحديث والقراءة والكتابة أمر مكروه ومستهجن، وهو في قراءة كتاب الله أمر حرام بالإجماع، حينئذٍ يصبح من

رفع
المسيار

الضروري أن يتفقه الفرد المسلم في لغته، ويعرف الكثير عنها، حتى لا يأتي اليوم الذي يزدري فيه نفسه حين يسمع أحد الجادين في تعلم القرآن ولغته ـ وهو ليس من أبناء العربية ـ يقرأ معه جنبًا إلى جنب قراءة فيها الكثير من الإتقان والصحة والسلامة تفوق ما عنده وهو من أبناء العربية.. يا له من موقف مخجل!

ومن أجل أن يبدأ طالب التجويد في دراسة التلاوة الصحيحة: أصولها وقواعدها، ومن ثم يتطلع إلى الإبحار في علم التجويد، والغوص لاكتشاف أسراره وفنونه.. أقترح أن يعمل جادًا مخلصًا من أجل صون لسانه من اللحن في كتاب الله أوَّلاً، **وذلك عن طريق اتباع الخطوات التالية:**

أوَّلاً: دراسة قواعد اللغة العربية الأساسية منها، ولا أقول التبحر فيها، أو الغوص في أسرارها؛ فاللغة العربية بحر عميق، وأسرارها وغرائبها كثيرة، ولكن الراغب في تجويد القرآن الكريم، وتحسين قراءته لا بد له من معرفة شيء من قواعد النحو، فهو مقياس لصحة الكلام، وهو الأداة التي توصله لفهم الجمل والتراكيب، والوسيلة التي تمكنه من الحصول على الفائدة والمقصد والدلالة.

والنحو أساس علوم العربية رغم أهميتها كلها، إلا أنها مبنية عليه، ولا يمكن لأحد الحكم على صحة كلام أو كتابة أو وصف إلا أن يكون مرجعه في الحكم بالصحة أو الفساد هو معاني النحو وأحكامه وقضاياه؛ ولذلك سارع العلماء من السلف الصالح إلى ابتكاره قبل غيره من العلوم اللغوية؛ لأنه يحفظ اللغة، ويصون كتاب الله من اللحن القبيح. يُروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: (تعلموا النحو كما تعلمون السنن والفرائض).

ثانيًا: بذل الجهد، والمثابرة، والصبر على الصعاب في أثناء التعلم، والعمل بنية خالصة، لا يبتغي صاحبها إلا الأجر والثواب، ولا يهدف من ورائها إلا لفهم القرآن والإجادة فيه. ويأتي ضمن هذا الجهد ضرورة العمل الجاد، الذي لا يقبل التساهل في الخطأ، أو تمريره دون تصويب، أو السكوت عليه دون السؤال عنه، والاستفسار عن وجه الصواب فيه.

وليس من المقبول أن يحتقر المتعلم قواعد النحو، ويقلل من شأنها، ظنًّا منه عدم نفعها، وذهاب مكانتها؛ لأنَّ مغاليق الألفاظ وأسرار المعاني لن تنكشف أمامه إلا بمفتاح النحو والإعراب، فلا ينكرن أحد فضل النحو والحاجة إليه؛ لأنه بهذا الإنكار يعرض قراءته للنقصان، وأداءه للخطأ، وجهده للضياع.

ثالثًا: دراسة قواعد التجويد والعمل بهذه القواعد في تلاوة كتاب الله العزيز. ذلك أنَّ الله سبحانه وتعالى أوجب على كل من يقرأ القرآن تجويده والعمل بما فيه، وقد وعدهم بجزيل الثواب. فإنَّ أفضل المزايا بين العباد، وأفضل الأعمال التي توصل صاحبها لدخول الجنة: قراءة كتاب الله المجيد مع التدبر في معانيه ومقاصده، والعمل بأوامره ونواهيه.

وعند الرغبة في تحصيل ذلك كله لا بدّ مِن تلاوته على الوجه الذي نزل به الروح الأمين على الرسول الكريم ﷺ، ولذلك فإن أهم ما ينبغي على الراغب في تجويد الأداء أن يحصل قبل التلاوة قواعد علم التجويد، حتى يتمكن من تجويد حروفه، وتصحيح قراءته.

ولا ننسى أن علم التجويد من أولى العلوم ذكرًا وفكرًا، وأشرفها منزلة وقدرًا لكونه متعلقًا بكلام الله تعالى، وهو الأولى بالاشتغال به،

والاستزادة من قواعده، والاستفادة من مسائله وفوائده[١].

يقول الكاتب أحمد أمين في حديثه عن اللغة العربية وأهمِّيَّتها: إنَّ القرآن الكريم والحديث الشَّريف عربيان، ومن حسن الإسلام تعلم لغتهما[٢].

أمَّا أنا فأزيد على قول الكاتب قائلة: ومن حسن إتقان التلاوة وتجويد القرآن تعلم اللغة العربية.

لقد كان التجويد في كل شيء شعار المسلمين الأوائل، الذين تعلموا في مدرسة الرسول محمد ﷺ، الذي علمه جبريل عن ربه إتقان تلاوة القرآن، وتجويد النطق به، وحسن الأداء في قراءته، فصار الإتقان منهج حياتهم؛ لأنهم نقلوا القرآن كما علمهم الرسول، وكما أنزل من رب العالمين، وعملوا بما فيه، وما حادوا عنه ولا تركوا سبل تجويده، ولا زاغوا عن آدابه.

ليتنا نسير على نهجهم، ونهتدي بهديهم، فنفوز فوزًا عظيمًا.

❑❑❑

---

(١) نهاية القول المفيد ـ ص٨.

(٢) ضحى الإسلام، الجزء الأول ـ ص٣١٠.

[٩]
من طرائف اللحن[١]

* دخل أعرابي السوق، فسمعهم يلحنون في كلامهم، فقال: سبحان الله! يلحنون ويربحون، ونحن لا نلحن ولا نربح.

* قرع رجل الباب على الحسن البصري قائلاً: يا أبو سعيد. فلم يجبه الحسن البصري، فقال: يا أبي سعيد. فقال الحسن: قل الثالثة وادخل. (المقصود: أن يقول: يا أبا سعيد. وهو الصواب).

* سمع أعرابي إمامًا يقرأ قوله تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟﴾[٢] بفتح تاء (تنكحوا) فقال: سبحان الله! هذا قبل الإسلام قبيح فكيف بعده!؟ فقيل له: إنه لحن والقراءة (ولا تُنكحوا) بضم التاء. فقال الأعرابي: قبحه الله، لا تجعلوه بعدها إمامًا فإنه يُحل ما حرَّم الله[٣].

* كان بشر بن مروان (وهو أخو الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان) جالسًا وعنده عمر بن عبد العزيز، فقال بشر لغلام له: ادع لنا

---

(١) ذكرت هذه الطرائف ترفيهًا عن نفس القارىء، وتأكيدًا لقباحة اللحن في اللغة.

(٢) سورة البقرة ــ الآية: ٢٢١.

(٣) سلامة اللغة العربية ــ ص٣١.

صالحًا. فقال الغلام: يا صالحًا. فقال له بشر: ألق منها ألف. قال عمر: وأنت زد في ألفك ألفًا[١].

* قيل للوليد بن عبد الملك يومًا: إنَّ العرب لا تحب أن يتولى عليها إلا من يحسن كلامها (وكان الوليد هذا كثير اللحن). فجمع أهل النحو ودخل بيتًا ليتعلم فيه، فأقام ستة أشهر ثم خرج أجهل من يوم دخل، ومما يذكر من لحنه أنه خطب الناس يوم عيد، فقرأ في خطبته قوله تعالى: ﴿يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ٢٧﴾ [الحاقة] بضم التاء في (ليتها)، فقال عمر بن عبد العزيز: (عليك وأراحنا منك!)[٢].

* قال بعضهم: ارتفع إلى زياد رجل وأخوه في الميراث فقال: إن أبونا مات، وإن أخينا وثب على مال أبانا فأكله. فأما زياد فقال له: الذي أضعت من لسانك أضر عليك مما أضعت من مالك. وأما القاضي فقال له: فلا رحم الله أباك، ولا نيّح عظم أخيك، قم في لعنة الله[٣].

* دخل خالد أبو صفوان الحمام، وفيه رجل مع ابنه، فأراد الرجل أن يعرّف خالدًا ما عنده من البيان ــ وكان خالد هذا من فصحاء العرب ــ فقال الرجل: يا بني ابدأ بيداك ورجلاك. ثم التفت إلى خالد قائلاً: يا أبا صفوان هذا كلام قد ذهب أهله. فقال خالد: هذا كلام لم يخلق الله له أهلاً قط[٤].

* عن عبد الله بن صالح العجلي قال: أخبرني أبو زيد النحوي قال: قال رجل للحسن البصري: ما تقول في رجل ترك أبيه وأخيه؟ فقال الحسن:

---

(١) البيان والتبيين، الجزء الثاني ــ ص١٤٦.

(٢) تاريخ آداب العرب، الجزء الأول ــ ص٢٤١.

(٣) البيان والتبيين، الجزء الثاني ــ ص١٥٢.

(٤) أخبار الحمقى والمغفلين ــ ص١١٩.

رفع المسهم

ترك أباه وأخاه. فقال الرجل: فما لأباه وأخاه؟ فقال الحسن: فما لأبيه وأخيه، فقال الرجل للحسن: أراني كلما كلمتك خالفتني[١].

* لقي رجل رجلاً من أهل الأدب وأراد أن يسأله عن أخيه، ولكنه خاف أن يلحن، فقال: أخاك أخوك أخيك ها هنا؟ فقال الرجل: لا، لي، لو، ما هو حضر[٢].

* روى أحدهم قال: مررت بشيخ في حجره مصحف وهو يقرأ (ولله ميزاب السموات والأرض)، فقلت: يا شيخ، ما معنى (ولله ميزاب السموات والأرض؟) قال: هذا المطر الذي تراه. فقلت: يا هذا، ما يكون التصحيف إلا إذا كان بتفسير!! يا هذا إنما هو: ﴿مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، فقال الشيخ: اللهم اغفر لي، أنا منذ أربعين سنة أقرؤها وهي في مصحفي هكذا[٣].

❑ ❑ ❑

(١) أخبار الحمقى والمغفلين ـ ص١٢٠.

(٢) المصدر السابق ـ ص١٢٣.

(٣) المصدر نفسه ـ ص٧٤.

رفع
المساهم

الفصل الثالث

قضايا ومسائل بين علم اللغة وعلم التجويد

[١] الصوت الإنساني وأعضاء النطق، وكيف يحدث الصوت الإنساني؟

[٢] رحلة الحرف (كيف يتكون الحرف؟). مخارج الحروف والاختلاف في ترتيبها.

[٣] الحروف العربية (عددها وأنواعها)، وترتيبها.

وصف بعض الأصوات اللغوية بين القدماء والمحدثين.

[٤] عيوب النطق وأثرها في أداء الصوت اللغوي.

[٥] وقفة عند الغنَّة. (مراتب الغُنَّة وأمثلة عليها).

[٦] فصل عن الهمزة.

(همزتا الوصل والقطع، مواضع همزتي الوصل والقطع، حركة البدء بهمزة الوصل).

وقفة عند (أل) التعريف.

التقاء الهمزتين.

[٧] الألف وصورها في اللغة.

[٨] التقاء الساكنين.

[٩] الوقف والابتداء.

(أنواع الوقف، حكم الوقف بشكل عام).

رفع المسهم

الفصل الثالث
قضايا ومسائل بين علم اللغة وعلم التجويد

تمهيد:

كلّنا يعرف أنَّ تلاوة القرآن الكريم من أجلّ العبادات، وأعظم القُرُبات إلى الله سبحانه وتعالى.

ولقد شرع الله لقراءة القرآن صفة معيَّنة وكيفية ثابتة، أمَر بها نبيّه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ليقرأه على الناس بتؤدة واطمئنان وترسُّل وتمهُّل.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء].

ولا شكّ أنَّ الترسُّل والتمهُّل يجعل القرآن أقرب إلى الفهم، وأسهل للحفظ، وهذه الصفة تتحقق بالمحافظة على أحكام التجويد المستمدة من قراءة الرسول الكريم ﷺ، والتي ثبتت عنه بالتواتر والأحاديث الصحيحة.

ولقد اهتمّت الأمة الإسلامية بعلم التجويد اهتمامًا بالغًا، فتولى علماء السلف خدمة القرآن الكريم والعناية بعلم التجويد بالتأليف والتحقيق، والقراءة والإقراء، وبذلك ظلّ كتاب الله محفوظًا في الصدور، منزَّهًا عن كل تبديل وتحريف، مجوَّدًا متقنًا برعاية من الله سبحانه وتعالى.

رفع المسـهم

وبهذا يكون من واجبنا نحن المسلمين تجاه القرآن الذي هو دستور حياتنا، ومن حق هذا الكتاب العزيز أن نتقن تلاوته، ونحسن قراءته، ونعمل على ترتيله كما أَمَرَنا الله ورسوله؛ حتى يكون لنا عونًا على التدبُّر والتفهُّم لمعانيه وأحكامه. ولا يتأتّى ذلك الإتقان وذلك التجويد، ولا يمكن بلوغ الإتقان المراد إلاَّ بالاهتمام بدراسة علم التجويد، ومعرفة أحكامه، وقضاياه، ومسائله.

وقد وجدت أن كثيرًا من هذه القضايا والمسائل التي تنضوي تحت أحكام التجويد، تشكِّل أبوابًا أساسيّة في النحو وفي مجال اللغة وقواعدها، وأحسب أنها ذات أهمية كبيرة بالنسبة للقارىء الذي ينبري لدراسة علم التجويد، ويوطن العزم على تعلُّم أحكامه، من أجل تحسين قراءته وتجويد تلاوته.

لذلك رغبتُ في عرضها خلال هذا الفصل من الكتاب، بطريقة ميسَّرة؛ لأنها من وجهة نظري أساسية، وتُعدّ من أبرز الصعوبات التي تواجه طالب التجويد غير المتخصص في اللغة العربية، أو الدارس الذي ليس لديه أي إلمام بقواعد اللغة؛ فالحاجة إلى تناول هذه القضايا والمسائل المشتركة ظاهرة وضرورية؛ لأنها تدخل في مجال التجويد، وفي مجال اللغة.

ولا شكّ أنَّ هناك مسائل كثيرة غيرها جديرة بالعناية والتقديم. ولكني هنا أعرض مسائل على سبيل الذكر وليست من قبيل الحصر، والله وحده المستعان.

وتتلخَّص هذه الموضوعات في المحاور الآتية :

١ ـ الصوت الإنساني وأعضاء النطق ووظائفها .

٢ ـ حروف العربية (بين القدماء والمُحْدَثين) .

٣ ـ عيوب النطق .

٤ ـ وقفة عند الغُنَّة .

٥ ـ الهمزة .

٦ ـ أل التعريف .

٧ ـ التقاء همزتين .

٨ ـ التقاء ساكنين .

٩ ـ الوقف والابتداء .

❑ ❑ ❑

[١]

الصوت الإنساني وأعضاء النطق

الصوت المنطوق هو مادة اللغة الإنسانية، وكل لغة من لغات العالم لها نظام صوتي معيَّن يتكوَّن من عدد من الوحدات الصوتية، وهذه الأصوات اللغوية تتآلف فيما بينها لتكوِّن الكلمات، ثم تتآلف هذه الكلمات لتكوِّن الجملة.

إن الصوت الإنساني هو موضوع علم الأصوات اللغوية، والذي يبحث فيه علماء الأصوات، وذلك بوصف أعضاء النطق وتوضيح الدور الذي يقوم به كل عضو في إنتاج الصوت.

ثم تصنف هذه الأصوات وفق عدد من الاعتبارات لتوضيح الخصائص الصوتية لكل صوت في حال نطقه منفردًا، ويدرسون كذلك أثر انتظام هذا الصوت اللغوي في سلسلة الكلام المنطوق وفي صفات الأصوات والظواهر التي تنشأ عن اتحاد هذه الأصوات أو تجاورها[١].

وقد درس علماء التجويد ـ كما درس علماء اللغة ـ أصوات اللغة العربية، وكان اهتمام علماء التجويد بالأصوات نابعًا من أنَّ تجويد القراءة لا يتحقق إلاَّ بمراعاة أربعة أمور:

١ ـ معرفة مخارج الحروف.

٢ ـ معرفة صفات الحروف.

---

(١) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ـ ص٩٠.

رفع المسيّ همل

٣ ـ معرفة ما يتجدد للحروف من أحكام بسبب التركيب فيما بينها.
٤ ـ رياضة اللسان، وكثرة التكرار.

ولذلك كان من الضروري أن يتعرَّف القارىء طالب التجويد على كيفية حدوث الصوت وخروجه، وما هي الأعضاء التي تعتبر مسؤولة عن إنتاج الصوت المنطوق، وهي ما يسميه العلماء (أعضاء النطق).

وليس يعني هذا الكلام أن طالب التجويد ينبغي أت يعرف تفصيلات وظائف الأعضاء، أو أن يدخل ضمن مسائل علم التشريح أو غيره، ولكن من الأجدر به أن يعرف القدر اليسير والمناسب عن هذه الأعضاء، وعملها في مجال إخراج الصوت من مخرجه؛ وذلك لتحقيق ما يجب عليه في التجويد من إتقان مخارج الحروف والصفات لينطق بأفصح اللغات، وهي العربية التي نزل بها القرآن، لغة قريش، لغة النبي ﷺ، ولغة أهل الجنة كما أُثر عنه صلوات الله وسلامه عليه.

قال الشيخ الحافظ ابن الجزري:

إذ واجب عليهُم محتم ... قبل الشروع أولاً أن يعلموا
مخارج الحروف والصفات ... ليلفظوا بأفصح اللغات

أعضاء النطق لدى الإنسان ووظائفها:

ويسميها بعض اللغويين الجهاز الصوتي، وهو مجموعة الأعضاء التي تشترك في عملية إحداث الأصوات اللغوية(١)، وهي على النحو التالي:

١ ـ الرئتان: الرئة التي تقوم بدفع الهواء الذي يعتبر مادة الصوت الأساسيّة(٢)، أي أن الرئتين ينحصر عملهما في إمداد الجهاز الصوتي بالهواء

---

(١) المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، الجزء الأول ـ ص١١.
(٢) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ـ ص٩٧.

رفع المسيَّهما

اللازم لإحداث الصوت. ويصفها بعض الأقدمين أنها خلقت محيطة بالقلب كالفراش للترويح عليه بالهواء المستنشق من القصبة[١].

٢ ـ **القصبة الهوائيّة أو قصبة الرئة**: وهي قناة غضروفية تصل ما بين الرئتين والحنجرة[٢].

٣ ـ **الحَنجرة**: وهي من أهم أعضاء النطق، وتضم الوترين الصوتيين اللذين لهما القدرة على إنتاج النغمة الصوتية التي تسمى بالجهر.

وقد التفت علماء العربية وعلماء التجويد إلى أثر هذين الوترين في نطق الأصوات وفي إعطائها صفاتها. ولعلَّ صفة الترعيد وهي من القراءة المعيبة والمبتدعة في بعض القراءات لها دخل في مجال عمل الوترين الصوتيين؛ إذ يعرض الترعيد للألف بخاصة وهو اضطراب في الصوت كأن صاحبه يرتعد من برد أو غيره، وهذا من صفات الجهر الذي ينشأ من النغمة الصوتية الناتجة عن اهتزاز الوترين الصوتيين في الحنجرة، وهي النغمة التي تشكل جوهر أصوات المد[٣].

والجدير بالذكر أن الوترين الصوتيين في الحنجرة عبارة عن غشاءين، كل واحد منهما نصف دائرة حين يمتد، وإذا امتد الوتران أغلقا فتحة الحنجرة ومنعا الهواء الرئوي من المرور، فهما إذن من الأعضاء المتحركة، ولهما القدرة على اتخاذ أوضاع متعددة[٤]، وهذه الأوضاع هي:

* وضع الارتخاء التام ← في التنفس العادي.

---

(١) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ـ ص٩٧.

(٢) المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، الجزء الأول ـ ص١٢.

(٣) الدراسات الصوتية ـ ص٩٨.

(٤) المدخل إلى علم اللغة ـ ص٢٧.

* وضع الذبذبة ← ينتج عنه نوع معين من الأصوات، تسمى الأصوات المجهورة أو الجهرية.

* وضع الامتداد وقفل مجرى الهواء تمامًا ← وينتج عنه صوت الهمزة في اللغة العربية.

٤ ـ **الحلق**: وهو الفراغ أو الجزء الواقع بين الحنجرة وأقصى اللسان، أو الجزء الواقع بين الحنجرة والفم. وعلماء التجويد يقسمون الحلق إلى ثلاثة أقسام: أقصاه، ووسطه، وأدناه[١].

٥ ـ **الحنك (الغار) الأعلى واللِّثة**: الحنك أو سقف الفم، أو كما يقول بعض اللغويين المحدثين إنه سقف الحنك الذي يتصل به اللسان في أوضاعه المختلفة في الفم. ومع كل وضع بالنسبة لجزء من أجزاء الحنك تتكوَّن عدد من الأصوات[٢].

وللحنك أربعة أقسام وهي: **الأوَّل**: **هو اللثة**، أو كما تسمَّى أصول الأسنان العليا. **والثاني**: **الغار**، وهو الجزء الصلب من سقف الحنك، وهو محدب ومحزز. **والثالث**: **الطبق**، وهو الجزء الرخو من سقف الحنك، وهو متحرك. **والرابع**: **اللهاة**، وهي الزَّائدة اللحمية التي ينتهي بها الجزء الخلفي الرخو من الحنك الأعلى[٣].

٦ ـ **اللسان**: وهو أهم عضو في عملية النطق، ويحتوي على عدد كبير من العضلات التي تمكنه من التحرك والامتداد والانكماش والتلوي إلى

(١) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ـ ص٩٨.

(٢) المدخل إلى علم اللغة ـ ص٢٥.

(٣) المصدر السابق ـ ص٢٧، وانظر أيضًا: المحيط ـ ص١٣.

أعلى أو إلى الخلف، وهذه السهولة في التحرُّك مكَّنت اللسان من الاتِّصال بأي نقطة في الفم، فنتج عن تحركاته عدد كبير من الإمكانات الصوتية في جهاز النطق[١].

وبعد هذا ندرك بديع صنع الله تعالى، ولا نعجب إذا كان اسم (اللسان) يرادف كلمة (اللغة) عند كثير من الشعوب.

وقد اختلف علماء اللغة وعلماء التجويد بعض الاختلاف في تقسيم أجزاء اللسان، فمنهم من قسمه إلى ثلاثة أقسام: أول اللسان أي طرفه، ووسط اللسان، والثالث: أقصاه. وهم يجعلون نهاية اللسان أو ذلقه داخلاً في طرف اللسان. وأضاف علماء التجويد حافة اللسان، أي: جانبه. ومنهم من يسوِّي بين طرف اللسان وأسلته وذلقه. وهناك من يخصص أسلة اللسان بمستدق طرفه[٢].

٧ ــ **الشفتان**: إن بروز الشفتين للعيان جعل العلماء من القدامى والمحدثين يكتفون بحديثهم عنهما ببيان الوظيفة التي تؤديانها بالنسبة لإنتاج الأصوات[٣].

ومن الممكن ملاحظة أوضاع الشفتين المختلفة في يسر وسهولة؛ إذ يمكن أن تنطبق الشفتان فلا تسمحان للهواء بالخروج مدة من الزمن، ثم تنفرجان فيندفع الهواء محدثًا صوتًا انفجاريًا كما في نطق الباء، وقد تستدير الشفتان كما يحدث عند نطق الضمة،

---

(١) المدخل إلى علم اللغة ــ ص٢٦.

(٢) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ــ ص٩٩ ــ ١٠٠.

(٣) المصدر السابق ــ ص١٠٤.

وتنفرجان عند نطق الفتحة. . إلى غير ذلك من أوضاع وحركات[١].

٨ ـ **الأسنان**: للأسنان دور بارز في إنتاج عدد من الأصوات، واختلال الأسنان يؤثر في إنتاج تلك الأصوات، ولذلك اهتمَّ بها علماء العربية وعلماء التجويد في القديم وفي الحديث، وذكروا أقسامها، وأسماءها، فذكروا منها الأضراس والضاحك والناب والرَّباعية والثنية، وقالوا إنها اثنتان وثلاثون سنًّا[٢].

وقد تنبَّه علماء التجويد إلى أثر الخلل الذي قد يصيب الأسنان في سلامة النطق، واعتبروا صحة الأسنان من الأسباب التي تؤدي إلى الكمال وحُسن الأداء في القراءة.

والأسنان من أعضاء النطق الثابتة، وتستغل في النطق بمساعدة أحد أعضاء النطق المتحركة مثل: اللسان والشفة السفلى.

٩ ـ **الخياشيم**: أو التجويف الأنفي، أي الفراغ الذي يندفع خلاله النفَس أثناء انغلاق طريق الفم[٣].

وكان سيبويه أول من استخدم الخياشيم، ووضح أن الهواء يأخذ طريقه فيها عند نطق الميم والنون. وأخذ علماء التجويد عن سيبويه هذا الاستخدام، وقدَّموا له تعريفًا مناسبًا على أنه: (خرق الأنف المنجذب إلى داخل الفم)[٤].

(١) المدخل إلى علم اللغة ـ ص٢٥.
(٢) الدراسات الصوتية ـ ص١٠٤.
(٣) المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، الجزء الأول ـ ص١٣.
(٤) الدراسات الصوتية ـ ص١٠٣.

رفع المسابهم

أعضاء الجهاز النطقي عند الإنسان[١]:

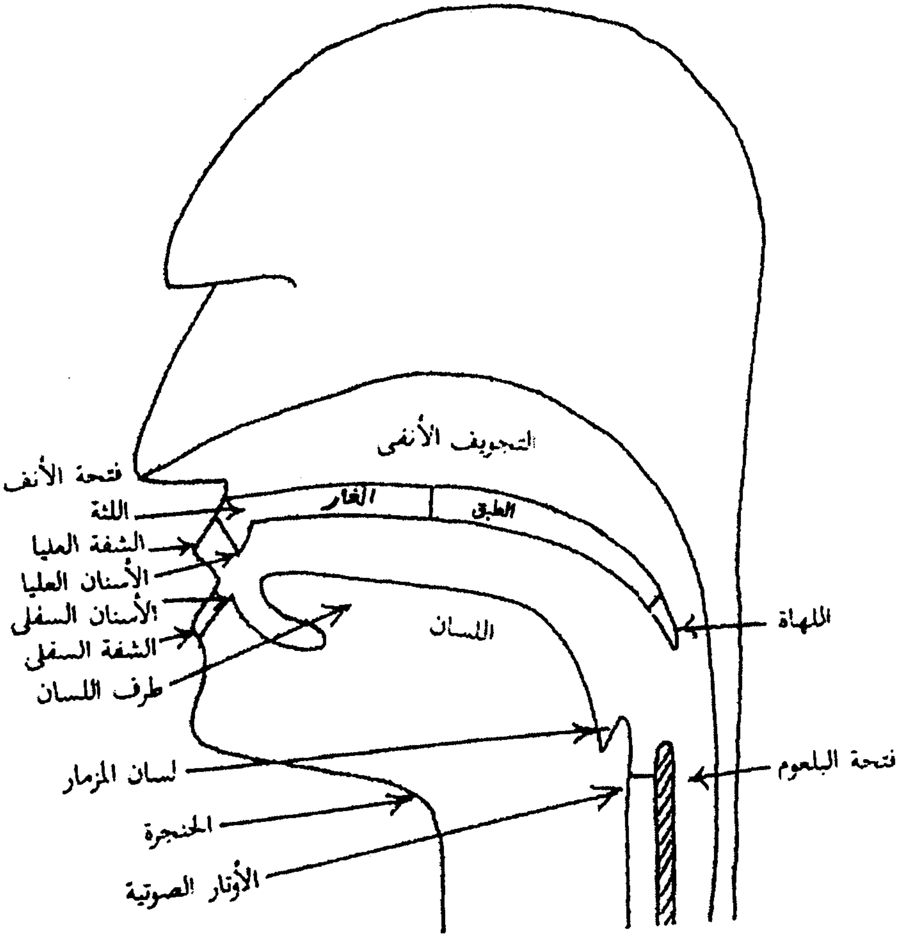

(١) المدخل إلى علم اللغة ـــ ص٢٤.

وبعد.. فإن القارىء إذا تتبّع تعريفات أعضاء النطق لدى الإنسان، وتأمل الرسم (أعضاء الجهاز النطقي عند الإنسان) لاحظ أنه يتكوّن من أجزاء ثابتة، وأجزاء متحركة.

فالأجزاء الثابتة: هي الأسنان العليا، واللِّثَة، والغار وهو الجزء الصلب من سقف الحنك، والجدار الخلفي للحنك.

أما الأجزاء الأخرى المتحركة فهي: اللسان، والشفتان، واللهاة، والطبق وهو الجزء الرخو من سقف الحنك[١].

والجدير بالذكر أن أعضاء الجهاز النطقي عند الإنسان تسمى بالجهاز النطقي، على الرغم من أن لهذه الأعضاء وظائف حيوية أخرى لا تقل أهمية عن إنتاج الأصوات اللغوية، وهذا ما أشار إليه بعض الكتّاب، وعدَّه إجحافًا بوظائفها الحيوية التي لا تقلّ أهمية عن إخراج الأصوات.

فالشفتان مثلاً يستخدمهما الإنسان لتلقّي الطعام عند دخوله في الفم، وهما صِمام يمنع خروج الطعام من الفم في أثناء المضغ ـ كما يستعملهما الإنسان في عملية المص. **أما الأسنان والأضراس** فهي لتقطيع الطعام ومضغه، واللسان لتقليب الطعام في الفم وتذوُّقه. **أما الأنف والتجويف الأنفي** فهما حجرة يتكيّف فيها الهواء قبل نزوله إلى الرئتين. **والحلق** ما هو إلاَّ ممرّ للطعام والهواء. كذلك **فإنَّ الأوتار الصوتية** تؤدي وظيفة الصِّمام للرئتين لحفظهما، وحبس الهواء فيهما عند الحاجة إليه. **والرئتان** تقومان بعملية تنقية الدم الموجود في الجسم بإعطائه الأكسجين، وتخليصه من ثاني أكسيد الكربون (الفحم)، ثم توزيع الدم الصالح على أعضاء الجسم[٢].

---

(١) المدخل إلى علم اللغة ـ ص٢٤ ـ ٢٦.

(٢) المصدر السابق ـ ص٢٢.

تلك هي الوظائف الرئيسية للأعضاء التي سبق ذكرها. أما عملية النطق فهي وظيفة ثانوية، ولهذا فإنَّ عَجْزَ الإنسان عن الكلام وإصابته بالبكم لا يعني عجز أعضائه تلك عن القيام بوظائفها الأخرى، والتي تحفظ لصاحبها الحياة.

كيف يحدث الصوت الإنساني؟ (إنتاج الصوت اللغوي):

الصوت اللغوي هو الأثر السمعي الحاصل من احتكاك الهواء بنقطة ما من نقاط الجهاز الصوتي، عندما يحدث في هذه النقطة انسداد كامل أو ناقص ليمنع الهواء الخارج من الجوف من حرية المرور، مثل الباء التي هي نتيجة انسداد كامل في الشفتين، ومثل السين التي هي نتيجة انسداد ناقص في أطراف الأسنان[١].

ولقد أدرك علماء التجويد منذ القديم أن الهواء هو المادة التي تنتج الأصوات اللغوية، فذكروا أن الصوت هو الحاصل من دفع الرئة للهواء المحتبس بالقوة الدافعة فيتموج، فيصدم الهواء الساكن، فيحدث الصوت من قرع الهواء بالهواء المندفع من الرئة[٢].

إن هواء الزفير المندفع من الرئتين هو الذي تتشكل منه الأصوات اللغوية.

وعلى الرغم من أن هذه القضية تبدو بديهية، إلا أن تقريرها يدل على إدراك صحيح لعملية إنتاج الصوت من العلماء الأقدمين؛ لأن إنتاج الأصوات لا يمكن أن يعتمد على عملية الشهيق مطلقًا، إلا في حالات

(١) المحيط في أصوات العربية، الجزء الأول ـ ص١٣.

(٢) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ـ ص١١٤.

استثنائية مثل الأصوات المسموعة من الأطفال، أو المستعملة في حالات النشيج والانتحاب[١].

ويوضح لنا بعض اللغويين المحدثين كيفية حدوث الصوت بقوله: إن الهواء الخارج من الرئتين إما أن يصادف مجرى مسدودًا سدًّا تامًّا، عند أي نقطة في الجهاز النطقي ما بين الحنجرة والشفتين، وإما أن يصادف في طريقه تضييقًا في المجرى لا انسداد فيه، بحيث يسمح هذا التضييق للهواء بالمرور، ولكن هذا الهواء يحتك بنقطة التضييق هذه. أي أنَّ الكلام يحدث عند عملية الزفير عندما تعترض الأعضاء الصوتية ممر الهواء.

وتقتضي عملية الكلام إطالة الزمن الذي تتم فيه عملية الزفير، بالنسبة لعملية الشهيق، لتصبح الفترة المستغرقة في الزفير من ثلاثة إلى عشرة أمثال فترة الشهيق، هذا في الكلام العادي، أما عندما يسترسل المتكلم في حديث فيه سرعة وطول، فقد يصبح طول فترة الزفير ثلاثين مثلاً لطول فترة الشهيق، وبالمشاهدة والملاحظة يمكن معرفة هذه النسبة، عندما يحاول أحد المقرئين قراءة سورة قصيرة أو أكثر في نفس واحد[٢].

ويمكن القول أيضًا: إنَّ أي جزء من أجزاء الجهاز النطقي يمكنه أن يحدث لنا صوتًا ما، وذلك إما بسد هذا الجزء سدًّا محكمًا؛ حتى لا يتسرب الهواء الخارج، ثم نزيل هذا السد بسرعة فينطلق الهواء بانفجار، وحينذاك نسمع صوتًا معينًا، وإما أن يضيق الجهاز النطقي في إحدى نقطه تضييقًا يسمح بمرور الهواء مع الاحتكاك بهذا الجزء المضيق.

---

(١) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ــ ص١١٤.

(٢) المدخل إلى علم اللغة ــ ص٢٨.

ومن هنا يخرج لنا من كل جزء عدد لا حصر له من الأصوات[١].

إن معرفة دور الهواء المندفع من الرئة في إنتاج الصوت اللغوي لا يكفي وحده في تفسير تعدد الأصوات وتباينها، فلا بد أن تكون هناك عمليات أخرى تحدث في بعض أجزاء النطق، تعترض الهواء فتكيفه بكيفيات خاصة تؤدي إلى تمايز صوت عن آخر[٢].

إن الذي يفصل بين الحروف التي يتألف منها الكلام سبعة أشياء: الجهر، والهمس، والشدَّة، والارتخاء، والإطباق، والمد، واللين؛ فأنت إذا جهرت أو همست أو أطبقت أو شدَّدت أو مددت أو ليَّنت، اختلفت أصوات الحروف التي من مخرج واحد، وعندها يأتلف الكلام ويُفهم المراد، ولو كانت المخارج واحدة والصفات واحدة لكان الكلام بمنزلة أصوات البهائم التي لها مخرج واحد وصفة واحدة لا تفهم[٣].

❑ ❑ ❑

(١) المدخل إلى علم اللغة ــ ص٢٩.

(٢) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ــ ص١١٥.

(٣) المصدر السابق ــ ص١١٦.

[٢]
رحلة الحرف (كيف يتكون الحرف؟)

الحرف في اللغة: الطرف أو الجانب، ويقال: فلان على حرف من أمره، أي على ناحية منه فقط، فإذا رأى شيئًا لا يعجبه عدل عنه، وفي القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٍۖ ﴾ [الحج: ١١]، بمعنى أن يعبده في السراء فقط، لا في الضراء.

والحرف: كل واحد من حروف المباني (أي حروف الهجاء)، وكل واحد من حروف المعاني (أي الحروف التي تدل على معانٍ في غيرها، وتربط بين أجزاء الكلام، وتتركب من حرف أو أكثر من حروف المباني مثل: حروف العطف، وحروف الجر. . . الخ).

ومن معاني كلمة (الحرف) أيضًا: الكلمة، أو اللغة، واللهجة، ومنه حديث الرسول ﷺ: **«أنزل القرآن على سبعة أحرف»**.

والحرف أيضًا هو: الوجه أو الطريقة[١].

والحرف اصطلاحًا (في اصطلاح علم التجويد): صوت اعتمد على مقطع أو مخرج محقق، وهو جزء معين من أجزاء الحلق واللسان والشفتين،

---

(١) المعجم الوسيط، الجزء الأول ــ ص١٦٧.

أو مقطع أي مخرج مقدر، وهو هواء الفم؛ لأن الألف لا معتمد له في شيء من أجزاء الفم بحيث أنه ينقطع في ذلك الجزء، ولذلك يقبل الزيادة والنقصان.

والمراد بالحرف هنا حرف المبنى (أي حرف الهجاء) لا حرف المعنى في اللغة العربية، وإنما سُمِّي حرفًا لأنه غاية الطرف، وغاية كل شيء حرفه أي طرفه[١].

عناصر خروج الحرف:

وإذا أراد أحدنا معرفة كيفية خروج الحرف، عليه أن يتعرف أولاً هذه العناصر، وهي:

١ ــ النَّفَس، والصوت.

٢ ــ الحرف، والمقطع، والمخرج.

٣ ــ المخرج المحقق، والمخرج المقدر.

وأوضح هذه العناصر فيما يلي:

أوّلاً: النَّفَس: هو الهواء الخارج من داخل الإنسان بدفع أو بدافع الطبع. والطبع هنا يقصد به عملية التنفس المشتملة على شهيق وزفير، ويقوم به الإنسان بفطرته لا بإرادته، وإن كان يمكنه التحكم فيه إلى حد ما.

ثانيًا: الصّوت: هو الهواء الخارج من داخل الإنسان بدافع الإرادة أي بإرادته، ويعرض له في مجراه تموج بسبب تضييق مجراه أو غلقه كلِّيًا ثم إطلاقه[٢].

---

(١) نهاية القول المفيد ــ ص٣٣ ــ ٣٤.

(٢) الدراسات الصوتية ــ ص١٢٠.

رفع المسيّهم

ويذهب أغلب علماء التجويد إلى أن النَّفَس الذي هو الهواء الخارج من داخل فم الإنسان إن كان مسموعًا فهو صوت، وإلاَّ فلا[١]. ويتَّضح للقارىء بعد هذا كله أن النفس ركن الصوت، وأن الصوت اللغوي هو الأثر السمعي الذي يصدر طواعية واختيارًا عن تلك الأعضاء التي تسمى أعضاء النطق تجاوزًا.

والصوت هو مادة الحرف، وهو هواء متموج يحدث بتصادم جسمين، ولذلك اتخذ صفة العمومية ولم يختص به الإنسان، بخلاف الحرف الذي يختص به الإنسان وضعًا[٢].

ثالثًا: المقطع: هو المخرج، لأن الصوت ينقطع في المخرج.

رابعًا: المخرج: هو الموضع الذي ينشأ منه الحرف، أو هو الحيز المولد للحرف، أو الموضع الذي يظهر منه الحرف ويتميز عن غيره.

* **والصوت**: الذي هو مادة الحرف، إما أن يعتمد على مخرج محقق، **أو مخرج مقدر**.

والصوت ينقطع في المخرج، وسبب انقطاع الصوت في المخرج المحقق انضغاط الصوت فيه، ولجميع الحروف مخرج محقق، إلا حروف المد، فهي لا تنضغط أصواتها في موضع ما انضغاطًا

(١) نهاية القول المفيد ــ ص٣٣، الدراسات الصوتية ــ ص١٢٠.

(٢) نهاية القول المفيد ــ ص٣٤.

ينقطع به الصوت، بل يمتد في لين وبلا تكلف إلى أن يقطعه صاحبه بإرادته[١].

ويتفق علماء التجويد وعلماء النحو في تعيين مخرج الحرف باتباعهم طريقة ذوق الحروف، وذلك بتسكين الحرف وإدخال همزة الوصل عليه؛ ليتوصل إلى النطق به، فيستقر اللسان بذلك في موضعه فيتبين مخرجه[٢].

تأمل معي أيها القارىء هذه الطريقة لمعرفة المخرج معرفة صحيحة، وذلك فيما أورده الدكتور قدوري عن بعض علماء التجويد قوله: (إذا أردت معرفة مخرج حرف صريحًا بعد تلفظك به صحيحًا، فسكِّنه، أو شدِّده، وهو الأظهر، وأدخل عليه همزة الوصل بأي حركة، وأصغ إليه السمع، فحيث انقطع الصوت كان مخرجه المحقق، وحيث يمكن انقطاع الصوت في الجملة كان مخرجه المقدر، فتدبر)[٣].

وقد وضح بعض علماء التجويد أيضًا أن القول بالتسكين أو التشديد وأن التشديد هو الأظهر، إنما يدل على أن ضغط المخرج في السكون أقوى منه في الحركة، وفي التشديد أقوى منه في السكون، والأنسب لمعرفة المخرج اختيار السكون أو التشديد؛ لأن المخرج موضع الانضغاط.

ولمزيد من الاستيضاح انظر شكل (رحلة الحرف).

(١) الدراسات الصوتية ــ ص١٢٣.

(٢) المصدر السابق ــ ص١٢٣.

(٣) المصدر السابق ــ ص١٢٤، انظر أيضًا: نهاية القول المفيد ــ ص٣٧.

رفع المسيّهما

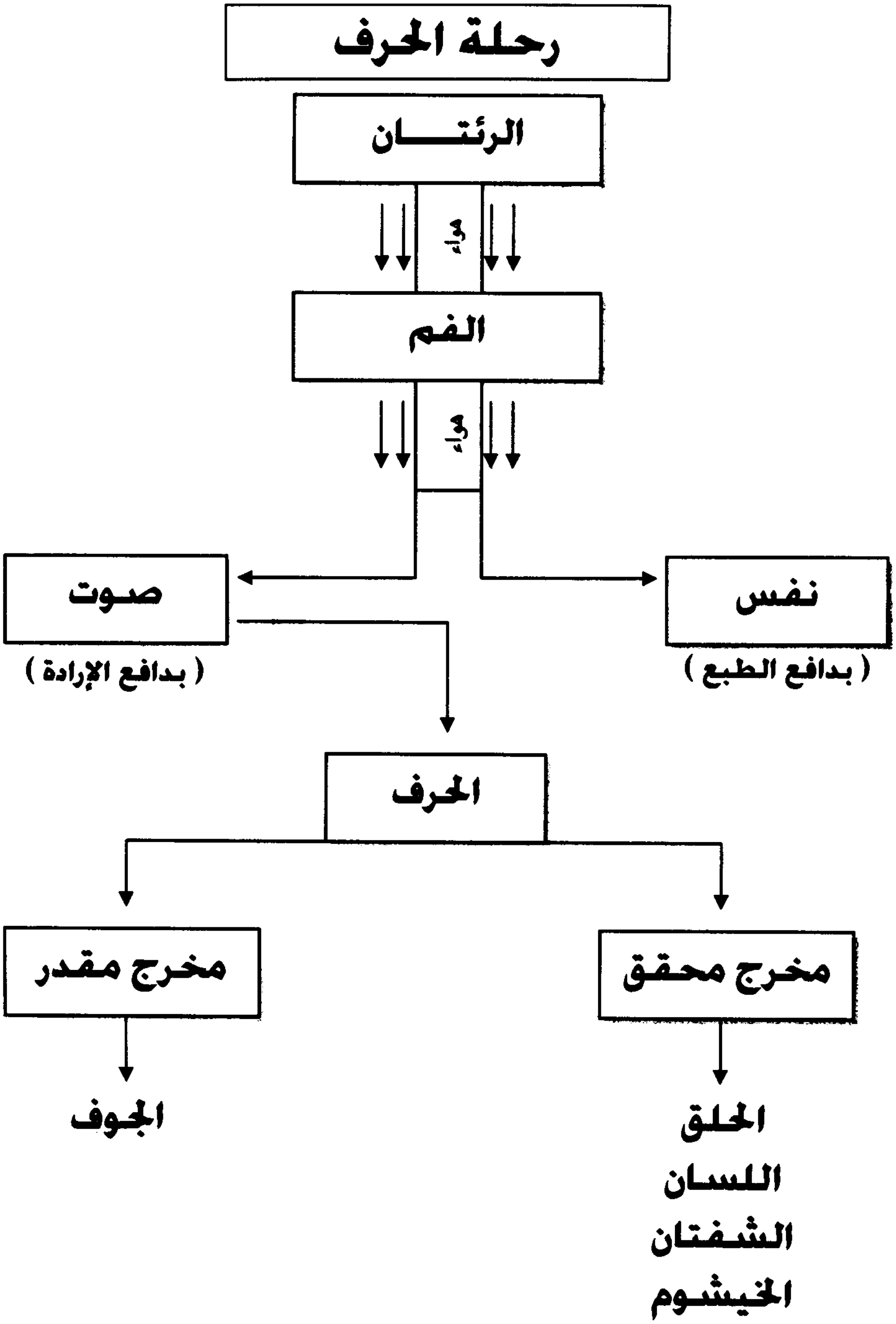
رحلة الحرف
الرئتـــــان
هواء
الفم
هواء
صوت
(بدافع الإرادة)
نفس
(بدافع الطبع)
الحرف
مخرج مقدر
الجوف
مخرج محقق
الحلق
اللسان
الشفتان
الخيشوم

مخارج الحروف والاختلاف في عددها وترتيبها:

اختلف علماء اللغة وعلماء التجويد في عدد المخارج.

والصحيح المختار عند ابن الجزري هو ما ذهب إليه الخليل بن أحمد، وهو القول المختار كما هو معروف: **أنَّ المخارج سبعة عشر مخرجًا**.

وذهب عدد من النحويين والقراء إلى أنها ستة عشر، أشهرهم سيبويه الذي قال: إنَّ لحروف العربية ستة عشر مخرجًا. وجرى على رأيه أكثر علماء العربية وكثير من علماء التجويد.

إلى جانب ذلك هناك من جعل المخارج أربعة عشر مخرجًا، وعلى رأسهم الفراء وآخرون.

وتلك مذاهب العلماء في عدد المخارج معروفة لدى دارسي التجويد ولا مجال هنا للتفصيل فيها.

والاختلاف انسحب أيضًا إلى ترتيب تلك المخارج بشكل عام، أي هل ترتب تصاعديًّا ابتداء من أقصى نقطة في آلة النطق، وهي أقصى الحلق، حتى تنتهي إلى الشفتين، أم العكس؟ وكيف ترتب الحروف التي تشترك في مخرج واحد؟ ولهذه المسائل والقضايا جدل طويل فصل فيه صاحب كتاب الدراسات الصوتية لمن أراد الاستزادة[١].

وقد قام بعض الباحثين بدراسة فيها شيء كثير من المقارنة في الأصوات والمخارج بين المحدثين والأقدمين، وهي دراسة حديثة الإعداد والطبع لمن أراد تفصيلاً وفائدة[٢].

❑ ❑ ❑

(١) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ــ ص١٨١ ــ ١٩١.

(٢) البيان السديد في أحكام القراءة والتجويد ــ ص٤٦ ــ ٤٩.

رفع المسيّهم

[٣]

الحروف العربية (عددها وأنواعها)

يقسم علماء العربية وعلماء التجويد الحروف العربية إلى أصلية وفرعية، وهذا التقسيم يرجع إلى عالم اللغة الكبير سيبويه، الذي ذكر أن أصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفًا: الهمزة والألف والهاء والعين والحاء.. الخ. وتصل إلى خمسة وثلاثين حرفًا بحروف فرعية لها أصل من الحروف الأصلية، والحروف الفرعية كثيرة، منها المستحسن، ومنها غير المستحسن في لغة العرب[١].

وحروف الهجاء أو حروف المباني تسعة وعشرون حرفًا، وكل واحد من هذه الحروف رمز مجرد، لا يدل إلا على نفسه، ما دام مستقلاً بذاته لا يتصل بحرف آخر، فإذا اتصل بحرف أو أكثر نشأ من هذا الاتصال ما يسمى (الكلمة).. ومن هنا تنشأ الكلمات الثنائية والثلاثية والرباعية وغيرها من انضمام بعض الحروف الهجائية إلى بعض.

ولا تزيد أحرف الاسم على سبعة مثل: (استغفار)، ولا تزيد أحرف الفعل على ستة مثل: (استغفر)، ولا تزيد أحرف الحرف على خمسة مثل: (لكنّ) أو على قول البعض (حيثما)[٢].

---

(١) الدراسات الصوتية ـ ص١٦٨.

(٢) النحو الوافي، الجزء الأول ـ ص١٣.

رفع المستهم

والحروف الهجائية هذه تسمى حروف المباني؛ لأن الكلمة تبنى منها، أي: تتكون منها، فهي أساس بنية الكلمة.

أمّا حروف المعاني فهي حروف الربط أو أدوات الربط، وهي تتضمن أقسامًا متعددة: منها ما يفيد معنى جديدًا، ومنها ما هو زائد أو مكرر، وهذه الأحرف الزائدة لتوكيد معنى موجود مثل (ما) الزائدة، و (الباء) الزائدة، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٧٩﴾ [النساء]، أي (كفى الله شهيدًا).

ولقد كان تقسيم سيبويه حروف العربية إلى تسعة وعشرين حرفًا، أساسًا اعتمد عليه معظم علماء العربية، وخالفه بعضهم باعتبار أن الألف هي الهمزة، وأن الحروف بذلك تكون ثمانية وعشرين حرفًا؛ لأن الألف في نظرهم غير مستقرة وليس لها صورة ثابتة، ولذلك يدعونها ولا يعدُّونها من الحروف، بل إنها تحمل الهمزة فوقها، حتى تظهر بارزة ولا تختفي، ولا تختلط بغيرها.

وهناك من اللغويين من يعد الحروف واحدًا وثلاثين حرفًا، وذلك بسبب أنهم يعدون الواو المدية والياء المدية، تمامًا كما يعدون الألف المدية، وهي غير الهمزة؛ لذلك فالحروف العربية عندهم واحد وثلاثون حرفًا.

والأرجح والمشهور والموافق لرأي الخليل بن أحمد أن الحروف العربية الأصلية تسعة وعشرون حرفًا: (الهمزة والألف والهاء والعين والحاء..).

وأعجبني ما أورده صاحب نهاية القول المفيد، قوله: (.. الحروف الهجائية قسمان: **أصلية وفرعية**.

أمَّا الأصلية: فهي تسعة وعشرون حرفًا على ما هو المشهور، ولم يكمل عددها إلا في لغة العرب؛ إذ لا همزة في لغة العجم إلا في الابتداء، ولا ضاد إلا في العربية. .)، واستشهد هنا بأبيات من منظومة الطيبي بقوله:

وعـــدة الحـــروف للهجـــاء ... تســع وعشــرون بــلا امتــراء
أولهـــا الهمـــزة لكـــن سميـــت ... بـــألـــف مجازًا إذ قـــد صـــورت
بهـــا فـــي الابتـــداء حتمًـــا وهـــي فـــي ... ســـواه بـــالـــواو ويـــا وألـــف
ودون صـــورة فمـــا للهمـــز مـــا ... مـــر لتخفيـــف إليـــه علمـــا[1]

وهذه الحروف الأصلية في اللغة شهرتها تغني عن ذكرها، وهي التي يفهم بها كتاب الله، وبها يعرف التوحيد ويفهم، وبها افتتح الله عامة السور، وبها أقسم، وبها نزلت أسماؤه وصفاته، وبها قامت حجة الله على خلقه، وبها تعقل الأشياء، وتفهم الفرائض والأحكام، وغير ذلك، وبالجملة فشرفها كثير لا يحصى[2].

أما الحروف الفرعية: فهي التي تخرج من مخرجين، وتتردد بين حرفين، وهي كما تذكر بعض المراجع لا تدرك إلا بالمشافهة؛ لأنها لا صـورة لهـا فـي الكتـابـة. وهـذا مـا قـرره سيبـويـه مـن أنهـا لا تتبيـن إلا بالمشافهة، ويظهر أن الصوت الفرعي هو صوت أصلي تغيرت صفة من صفاته، أو انتقل مخرجه إلى مخرج صوت مجاور له، وهذا التغير قد يرجع إلى المجاورة في المخرج مثل: نطق كلمة(مصدر) بالزاي بدلاً من الصاد؛ للمجاورة، أو قد يكون السبب راجعًا إلى لغات القبائل، أو اللكنة الأعجمية التي خالطت العربية.

---

(١) نهاية القول المفيد ــ ص٣٤.

(٢) المصدر السابق ــ ص٣٤.

ومن هنا عَدَّ بعض اللغويين هذه الحروف نوعين: مستحسنة ومستقبحة، وذلك بحسب ما ترتضيه العربية وتقبله(١).

ومن أمثلة الحروف الفرعية كما عددها صاحب نهاية القول المفيد(٢):

١ ــ الهمزة المسهلة.

٢ ــ الألف الممالة.

٣ ــ الصاد المشمة رائحة الزاي.

٤ ــ الياء المشمة صوت الواو.

٥ ــ الألف المفخمة.

٦ ــ اللام المفخمة.

٧ ــ النون المخفاة.

٨ ــ الميم المخفاة.

ترتيب الحروف العربية

ذكرت المراجع أنَّ الاتجاهات المعروفة في ترتيب الحروف العربية تتركز في ثلاثة ترتيبات(٣):

١ ــ ترتيب أهل اللغة، وهو: أ ب ت ث ج ح خ د ذ... ينتهي إلى ي. وهو ما يتم تعليمه للصبيان.

٢ ــ ترتيب أهل الأداء، أي علماء التجويد، وهو الترتيب بحسب المخارج.

---

(١) الدراسات الصوتية ــ ص١٧٢.

(٢) نهاية القول المفيد ــ ص٣٥ ــ ٣٦.

(٣) الدراسات الصوتية ــ ص٢٢٢.

المسهم

٣ ــ ترتيب أهل الحساب، وهو الذي يجعل الحروف إشارة إلى الأعداد، ويقصد به ترتيب (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ).

والحقيقة أنَّ الترتيب الصوتي للحروف بحسب المخارج والذي يأخذ به أهل الأداء علماء التجويد لا يعني أنهم أول من وضعه؛ لأن هذا الترتيب قديم يرجع إلى علماء اللغة وأوَّلهم الخليل بن أحمد الذي رتب معجمه (العين) على أساس ترتيبها الصوتي، وكذلك ترتيب تلميذه سيبويه الذي رتب حروف العربية ترتيبًا صوتيًا مخرجيًا[١].

وفي مجال الحديث عن ترتيب الحروف العربية لا بدَّ لي من الإشارة إلى أنَّ التصنيف الأبجدي ما يزال مستعملاً إلى يومنا هذا، في الأقسام المدرسية، وترتيب مقدمات بعض الكتب، وذلك بدلاً من الأرقام.

أما الترتيب الهجائي الذي نجده في أغلب المعاجم والقواميس اللغوية فهو السائد في كثير من التصنيفات والقضايا.

ومنذ العصور الإسلامية التي شهدت تطورًا ملحوظًا وجهدًا جبارًا في تأليف الكتب والدراسات في رحاب القرآن الكريم وحتى العصر الحديث ظهرت الكثير من المعاجم والقواميس اللغوية، أذكر بعضًا منها، بغية النفع للقارىء:

١ ــ معجم العين للخليل بن أحمد. (مرتب بحسب المخارج).

---

(١) الدراسات الصوتية ــ ص٢٢٢.

رفع المسيهما

٢ ـ معاجم ترتب الحروف تبعًا للحرف الأخير منها أولاً ثم الأول ثم الوسط وأشهرها:

* لسان العرب لأبـي الفضل محمد بن منظور (ت ٧١١هـ).
* القاموس المحيط للفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ).
* تاج العروس للزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ).

٣ ـ معاجم ظهرت في العصر الحديث ابتداء من القرن التاسع عشر، وتعتمد الترتيب الهجائي، وأصول الكلمة، وأشهرها:

* المنجد في اللغة والأدب/ لويس معلوف/ صدر في لبنان.
* المعجم الوسيط/ إبراهيم أنيس وآخرون/ صدر في القاهرة (عن المجمع العلمي العربـي في مصر).

وصف بعض الأصوات اللغوية بين القدماء والمحدثين(١)

لاحظ اللغويُّون المحدثون اختلافًا بينهم وبين القدماء في وصف بعض الأصوات العربية، وذلك يرجع إلى أسباب منها:

* تطور النطق بالعربية، واختلاف نطق الأصوات في هذا الزمان عن زمان القدماء.
* وقد يكون السبب راجعًا إلى توصيف القدماء وما اعتقدوه من صفات.

والأغلب أنَّ التطور اللغوي الذي أصاب الأصوات في اللغة هو ما يبرر هذا الاختلاف.

---

(١) تم إعداد هذا الجزء بالاستعانة بما ورد في كتاب (المدخل إلى علم اللغة) ـ ص٦٢ ـ ٨٢.

والخلاف الواقع بين القدماء والمحدثين في عدد من الأصوات، أشهرها:

أوَّلاً: الضاد:

المُحْدَثون يرون أنها من الأصوات الأسنانيَّة اللثويَّة، مع الدال، والتاء، والطاء، والزاي، والسين، والصاد، ويصفون الضاد بأنه الصوت المفخم المقابل للدال، ينطق بنفس الطريقة التي تنطق بها الدال، مع فارق واحد هو الإطباق في الضاد.

أما القدماء من النحويين وعلماء القراءات، فالضاد عندهم مختلفة في أمرين وهما: أن الضاد مخرجها حافة اللسان وليس الأسنان واللثة، ثم إنها صوت احتكاكي رخو، وليس انفجاريًّا شديدًا؛ فقد ذكر سيبويه عن مخرج الضاد أنه من بين أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس.

وعلى ذلك فالضاد القديمة ليست هي الضاد الحديثة، فقد أصابها بعض التطور، حتى أن في بعض الأقطار يخلطون الضاد بصوت الظاء.

وقد يكون تسمية اللغة العربية بلغة الضاد أمرًا يتعلق بكون هذا الصوت من المشكلات العويصة التي تواجه الأعاجم ممن يريدون تعلم العربية، فالضاد من الحروف العصيَّة على أهالي الأقطار التي فتحها المسلمون، والنطق القديم بالضاد يشكل إحدى خصائص لهجة قريش، وينفرد هذا الحرف بالاستطالة، وهو عسير على اللسان، ولذلك فألسنة الناس فيه مختلفة. وقلَّ منهم من يتقنه، فمنهم من يخرجه ظاء، ومنهم من يمزجه بالذال، أو يجعله لامًا مفخمة.. وكل ذلك غير جائز كما بيَّن الحافظ ابن الجزري.

والضـاد بـاستطـالـة ومخـرج ميـز مـن الظـاء وكلهـا تجـي

ثانيًا: القاف:

يرى المُحْدَثون أنها صوت لهوي شديد مهموس.

بينما كان القدماء يصفون هذا الصوت بأنه مجهور، والاختلاف هنا يأتي بسبب تطور النطق بالحروف في اللهجات الحضرية المدنية، كذلك هذا التطور أدى إلى النطق بالقاف غينًا في بعض المناطق العربية.

ثالثًا: الطاء:

الطاء عند المُحْدَثين صوت شديد مهموس مفخم، ولا فرق بينه وبين التاء إلا في ارتفاع مؤخرة اللسان باتجاه الطبق عند نطق الطاء، وعدم ارتفاعه عند النطق بالتاء.

أمَّا القدماء، فالطاء عندهم صوت شديد مجهور مفخم، وقال عنه سيبويه: إنه لولا الإطباق لصارت الطاء دالاً، أي أنها نظير الدال، بينما عند المحدثين نظير التاء.

ويرجع ذلك التطور في نطق الطاء إلى ما أصاب الضاد القديمة، حيث تتطور بعض الحروف ويضيع منها الجهر، في حين أن بعض اللغويين لا يأخذون بتوصيف القراء والنحاة القدماء، ويُصِرُّون على الصفات التي يرونها نتيجة تحليلاتهم ودراساتهم للحروف.

❑ ❑ ❑

رفع المسلم

[٤]

عيوب النطق وأثرها في أداء الصوت اللغوي

قد يعجز بعض الناس عن نطق صوت معين أو أكثر من صوت من أصوات اللغة، فيبدل بالصوت الذي يعجز عن نطقه صوتًا آخر، وقد تتفاوت درجة العجز عند الإنسان، ومن فرد إلى آخر، وقد تجدي بعض الأساليب المتبعة في تجاوز هذا العجز بالمران والعلاج، وهذه الظاهرة في مجال اللسانيات تسمى أمراض الكلام أو عيوب النطق.

وكثير من الدارسين المعاصرين يعدون البحث في عيوب النطق وأمراض الكلام من اختصاص علماء النفس ويدخل في حقل الطب، وليس له علاقة باختصاص علماء الأصوات اللغوية، ولكن الحقيقة أن الدراسات الصوتية تبقى ضرورية لهذا النوع من البحث؛ بسبب أن تشخيص عيوب النطق، ومحاولة علاجها يتطلَّب معرفة تامّة بطبيعة الصوت اللغوي، وكيفية إنتاجه، وتكوينه، وفهم خواصه.. إنه أمر ضروري مثله في ذلك مثل المعرفة بوسائل العلاج الطبي والنفسي[١].

وعلماء العربية وعلماء التجويد أيضًا تنبهوا إلى هذه الظاهرة وإلى هذا اللون من البحث منذ القديم؛ فقد درسوا موضوع عيوب النطق، وأشاروا إلى

(١) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ــ ص٥٧٠.

بعض الأساليب لعلاجها، وألَّفوا في ذلك كتبًا مستقلة، ولكن هذه الجهود ظلت مجهولة لدى المعاصرين ومهملة تمامًا كما حدث بالنسبة لجهودهم في علم الأصوات بشكل عام[١].

ظواهر عيوب النطق:

وقد درس علماء التجويد عددًا من ظواهر عيوب النطق، وقام الدكتور قدوري بتصنيفها في أربعة أصناف، هي[٢]:

١ ــ أمراض الكلام:

وهي التي تنشأ عن خلل يصيب آلة النطق مثل: **التمتمة**، أي ترديد التاء. **والفأفأة**، أي ترديد الفاء. **والحُبسة**[٣]، وهي تعذُّر الكلام عند إرادته. **واللثغة**، وهي تغيير الحروف. **والغُنَّة**، وهي أن تُشرب الحرف صوت الخيشوم. **والخُنَّة**، وهي أشد من الغُنَّة.

٢ ــ عيوب النطق:

وهي التي يقع فيها المتكلّم بسبب عادات نطقية منحرفة، وليس بسبب خلل في آلة النطق. وهذه العيوب يمكن علاجها بالتنبيه عليها. **ومثالها**: **الترعيد في القراءة**، وهي من محاذير المدود. **واللكز**، الذي يخص الهمزة، ويُقصد به دفع الحرف بالنَّفَس عن شدَّة إخراج له؛ لأنَّ علماء التجويد يرون أنَّ الهمزة يجب أن يخرجها القارىء إخراجًا سهلاً على تؤدة من غير لكز ولا اعتماد عليها.

---

(١) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ــ ص٥٧١.

(٢) المصدر السابق ــ ص٥٧٢ ــ ٥٧٣.

(٣) الحبسة: ثقل في اللسان يمنع الإبانة.

٣ ـ عيوب الجوارح والهيئات :

ومثالها: تحريك الرأس عن يمين وشمال، أي الالتفات. أو تحريك الرأس بزعزعة من أسفل إلى علوّ، أو من علو إلى أسفل. ومن ذلك أيضًا عبوس الوجه وتقطيبه، ونحو ذلك من هيئات الجوارح.

٤ ـ انحرافات النطق اللهجية :

مثل الكشكشة، والعنعنة، وغيرهما.

دراسة لبعض الأمراض اللغوية :

بالعودة إلى بعض المراجع التي تبحث في الأمراض اللغوية، وجدتها تشير إلى مصطلحات متعددة، وبينها فروقات، ومن ذلك ما يُعرف بالتلعثم في الكلام، أو انعدام الطلاقة والفصاحة في اللسان، الذي لا يعد مرضًا لغويًّا؛ فالمرض اللغوي هو الزيغ والانحراف والتداخل في العملية اللغوية الاتصالية، وهو مرض قد يكون في النطق الكلامي، أو في الصوت الكلامي، أو في الاستعمال الكلامي(١).

ولست بصدد إدخال القارىء في متاهات هذا المجال، وإنما رغبت في توضيح بعض هذه الأمراض التي تدخل في عملية إنتاج الصوت اللغوي.

وبمراجعة تلك المصطلحات لغويًّا، وجدت من الأجدر الإشارة إليها؛ حتى يتبينها القارىء، ويدرك أثر هذه الاضطرابات في القراءة والأداء اللغوي، ويقف على بعض الأمور التي يتوجب عليه الالتفات إليها.

(١) قضايا أساسية في علم اللسانيات (مدخل) ـ ص٥٣٥.

التأتــأة:

تأتأ الرجل تأتأةً وتأتاءً: كرر التاء إذا تكلم؛ لعيب في نطقه. والتأتاء: من يكرر التاء في كلامه؛ لعيب في نطقه(١).

واللغويون يقصدون بالتأتأة: الاختلال والاضطراب الذي لا يصيب التاء فحسب، وإنما يصيب العملية اللغوية كلها أثناء الكلام. وذلك نتيجة الانسداد الحنجري المتقطع، أو نتيجة التطويل في الصوت وامتداده في المقطع اللغوي(٢).

والحقيقة أن هذا المرض اللغوي له عوامله وأسبابه، وسبل علاجه في مجال الطب وعلم النفس.

التمتمة:

وهي قريبة من التأتأة؛ لأنها تكرار لحرف التاء في الكلام. وتمتم الرجل في كلامه: رده إلى التاء والميم، أو سبقت كلمته إلى حنكه الأعلى(٣).

الرُّتَّــة:

رتَّ الرجل رتًا ورُتَّة: كان في لسانه عُجمة، فهو أرت، وهي رتّاء. والأرت: الألثغ. والرُّتة: العجمة في اللسان، وهي اللثغة والتردد في النطق. والمرأة الرتى: اللثغاء(٤).

---

(١) المعجم الوسيط، الجزء الأول ــ ص٨٠.

(٢) قضايا أساسية في علم اللسانيات (مدخل) ــ ص٥٣٦.

(٣) المعجم الوسيط، الجزء الأول ــ ص٨٨.

(٤) المصدر السابق، الجزء الأول ــ ص٣٢٧.

اللُّثغة:

لثِغَ فلان: يلثَغ لَثَغًا: تحوَّل لسانه من حرف إلى حرف آخر غيره، كأن يجعل السين ثاء، أو الراء غينًا، فهو رجل ألثغ، وهي امرأة لثغاء. واللُّثغة: تحوُّل اللسان من حرف إلى حرف كقلب السين ثاء والراء غينًا[١].

الفأفأة:

الإكثار من ترديد حرف الفاء في الكلام؛ فهو رجل فأفاء[٢].

الخُنَّة:

خنَّ الرجل خُنَّة، خرج كلامه من خياشيمه، فهو أخن، وهي خنَّاء. وتعني الكلمة أيضًا: أن يخرج بكاء الرجل أو ضحكه من أنفه، فهو يبكي دون الانتحاب[٣].

الغُنَّة:

غنَّ الرجل غنًّا وغُنَّة: كان في صوته غُنَّة، والغُنَّة: صوت يخرج من الخيشوم[٤]. والخُنَّة أشدّ مِن الغُنَّة، وقد ألَّف بعض علماء التجويد قديمًا في عيوب النطق وعيوب الأصوات أو عيوب اللسان كما كانوا يسمونها، وأشاروا إلى ما يسمى بالخنة.

والجدير بالذكر أن علماء اللغة عالجوا مثل هذه الموضوعات قديمًا، فهذا الجاحظ (٧٧٥ ــ ٨٦٨هـ) الكاتب الكبير واللغوي والأديب العربي

(١) المعجم الوسيط، الجزء الثاني ــ ص٨١٥.

(٢) المصدر السابق، الجزء الثاني ــ ص٦٧٠.

(٣) المصدر السابق، الجزء الأول ــ ص٢٦٠.

(٤) المصدر السابق، الجزء الثاني ــ ص٦٦٤.

الذي عالج موضوعات متعددة اجتماعية وثقافية وأدبية، ها هو يعالج مشكلة لغوية تعد من عيوب النطق اللغوي وهي: (اللثغة).

فقد عالج الجاحظ موضوع الأصوات التي تدخلها اللثغة معالجة علمية دقيقة في كتابه (البيان والتبيين)، وأشار إلى الحروف التي تدخلها اللثغة، وهي أربعة حروف: [القاف، والسين، واللام، والراء]، ومثال ذلك:

القاف تتحوّل إلى طاء: قلت له (طلت له).

الراء تتحول إلى غين: عمرو (عمغ).

الراء تتحول إلى ياء: مرة واحدة (مية واحدة).

السين تتحول إلى ثاء: أبو يكسوم (أبو يكثوم)(١).

والجاحظ في معالجته لعيوب الأصوات، تحدث أيضًا عن مراتب اللثغة، ومستوياتها الاجتماعية ووقعها وأثرها في آذان المستمعين، وبيّن أنّ الرَّاء ــ مثلاً ــ إذا تحولت لدى البعض إلى غين فهذا أيسر الأمور من حيث أثرها، والوقع الذي تُحدثه لدى المستمع، كما أنها من المشكلات التي يسهل علاجها، إذا جهد صاحبها نفسه، وأكثر من المران على إخراج الراء من مخرجها على حقها، فإنه حتمًا سيعمل على استقامة لسانه(٢).

❏ ❏ ❏

(١) قضايا أساسية في علم اللسانيات ــ ص٥٤٦ ــ ٥٤٧.

(٢) البيان والتبيين، الجزء الأول ــ ص٥١ ــ ٥٣.

[٥]
وقفة عند (الغُنَّة)

الغُنَّة لغة: صوتٌ يخرج من الخيشوم، والخيشوم لغة: أقصى الأنف[١].

أمَّا في الاصطلاح: فهو صوت أَغَنٌّ مجهور شديد لا عمل للسان فيه[٢].

وفي تعريف آخر: الغُنَّة صوت أغن يخرج من الخيشوم، مصاحبًا للميم الساكنة والنون والتنوين، وهو صوت يشبه صوت الغزالة إذا ضاع ولدها في الفلاة وحنَّت وأنَّت وقالت: إن، أم[٣].

وقد نصَّ العلماء على أنَّ الغُنَّة من الصفات اللازمة للنون والميم سواء أكانتا متحركتين أم ساكنتين، مُظهرَتين أم مدغمتين أم مخفاتين.

محل الغُنَّة:

في النون والميم لا في غيرهما من الحروف، والنون أغن من الميم، ويلحق بالنون التنوين.

ومخرج الغُنَّة الخيشوم: وهو خرق الأنف المنجذب إلى داخل الفم.

(١) المعجم الوسيط، الجزء الأول ــ ص٢٣٦.

(٢) نهاية القول المفيد ــ ص٦٤.

(٣) الفريد في فن التجويد، الجزء الأول ــ ص٢٢.

وصوت الغُنَّة في جميع أحواله لا يخرج إلا من الخيشوم، والدليل على ذلك أن الشخص لو أمسك بأنفه لانحبس خروجه مطلقًا حتى في حال ضعفه عند تحريك النون والميم بالتخفيف، أو سكونهما في حالة الإظهار، وهذا يلاحظ في النطق[١].

مراتب الغُنّة

اختلف العلماء في بيانهم لمراتب الغُنَّة، وقد قمت بتلخيص هذه الأقوال في الجدول التالي:

آراء العلماء في مراتب الغُنّة

مراتب الغنة / رأي العلماء	المرتبة الأولى	المرتبة الثانية	المرتبة الثالثة	المرتبة الرابعة	المرتبة الخامسة	التعليل	ملاحظات
الفريق الأول	المشدد	المدغم بالغنة (الناقص)	المخفي	-	-	الغنة كاملة في المراتب الثلاث، وموجودة في المرتبتين (٤، ٥) لكنها غير كاملة فيهما.	الخلاف لفظي فقط.
الفريق الثاني	المشدد	المدغم بالغنة (الناقص)	المخفي	الساكن المظهر	المتحرك المخفف	لأنها في الأصل موجودة وهي صفة لازمة.	الأشهر قول الفريق الثاني (جمهور العلماء)

(١) هداية القاري ــ ص١٧٧.

أمثلة على مراتب الغُنَّـة :

أوَّلاً : المشدد :

وقد يكون في كلمة، وهو النون والميم المشدَّدتان، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ٦]. وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا﴾ [البقرة: ٨]. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا﴾ [يوسف: ٢٤]. وقوله عز وجل: ﴿فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ [طه: ٣٩].

وقد يكون في كلمتين؛ حيث يشمل الإدغام التام في أنواع أربعة[1] :

١ ـ الإدغام التام مع الغُنَّة، وهو إدغام النون الساكنة والتنوين في النون والميم، مثل قوله تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ﴾ [الشعراء: ٤]. وقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٣].

٢ ـ إدغام المتجانسين الصغير، مع الغُنَّة، وهو إدغام الباء الساكنة في الميم، في قوله تعالى: ﴿يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا﴾ [هود: ٤٢]. على قراءة حفص بن عاصم عن الشاطبية.

٣ ـ إدغام الميم الساكنة في مثلها، كما في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٥]، وقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

٤ ـ إدغام اللام الشمسية في النون باتفاق القراء، كما في قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة].

(١) من كتاب هداية القاري ـ ص١٧٨ ـ ١٧٩ (بتصرف).

المسِتهم

وينبغي إظهار الغُنَّة في مثل هذا الموضع، والنون هنا ــ أو الميم ــ تسمَّى حرف غنة مشددًا. كما يجب الاحتراز من المد عند النطق بالغُـنَّة؛ حتى لا يتولد منها ياء، فيصير اللفظ في قوله تعالى مثلاً: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر] لفظًا آخر بالياء (إينا)، وهذا يعد من الخطأ القبيح والتحريف الصريح كما يشير الشيخ المرصفي(١).

وقد تمَّت الإشارة إلى هذا الجانب في جَزَرية الحافظ بقوله:

وأظهر الغُنَّة من نون ومن ميم إذا ما شددا...

ثانيًا: المدغم:

وهو الإدغام بالغُنَّة الناقص، أي إدغام النون الساكنة والتنوين في الواو والياء.

ثالثًا: المخفي:

ويشمل ثلاثة أنواع:

* إخفاء النون الساكنة والتنوين عند حروف الإخفاء.
* إخفاء الميم قبل الباء، ومثاله قوله تعالى: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم﴾ [المائدة: ٤٨].
* إخفاء الميم المقلوبة من النون الساكنة والتنوين عندما تسبقان الباء. مثل: ﴿يُنۢبِتُ﴾، ﴿عَلِيمٌۢ بِذَاتِ﴾، لأنَّ الحاصل أنه بعد القلب يكون إخفاء الميم المقلوبة.

(١) هداية القاري ــ ص١٧٩.

رابعًا: الساكن المُظهر:

وهو إظهار النون الساكنة والتنوين عند حروف الحلق، وإظهار الميم الساكنة إذا لم يأت بعدها باء أو ميم.

خامسًا: المتحرك المخفف:

ويشمل النون والميم المتحركتين بأي حركة كانت، وكذلك التنوين المتحرك لأي سبب.

مقدار الغُنَّة وكيفية أدائها:

مقدار الغُنَّة حركتان كالمد الطبيعي، والغُنَّة المطلوبة هنا تكون كاملة من غير تفاوت في المراتب الثلاث الأولى (المشدد، المدغم، المخفي)، أما في الساكن المُظهر والمتحرك المخفف، فإن الثابت فيهما أصل الغُنَّة ـ أي الصفة المركبة في جسم الميم والنون، وهي صفة لازمة لهما[١].

وبناء عليه فإن إظهار الغُنَّة يجب المحافظة عليها في النون والميم المشددتين مطلقًا مقدار ألف، أي حركتين، لا يزاد ولا ينقص عن ذلك؛ لأن ميزانها في النطق بها كميزان المد الطبيعي في النطق به، ثم تأتي المراتب الأخرى في الغُنَّة[٢].

أما كيفية أداء الغُنَّة فإنها ينبغي أن تؤدى سلسة في نطقها وإخراجها من غير تمطيط ولا لَوك، ومن غير زيادة ولا نقصان عن مقدارها الطبيعي المحدد لها[٣].

(١) هداية القاري ـ ص١٨٠.

(٢) نهاية القول المفيد ـ ص٦٤.

(٣) هداية القاري ـ ص١٨١.

المسبهم

ويدخل ضمن كيفية أدائها إتباعها لما بعدها من الحروف من ناحية التفخيم والترقيق، عكس ما هو معروف مع ألف المد التي تتبع ما قبلها تفخيمًا وترقيقًا. وتفخيم الغُنَّة يكون في المرتبة الثالثة وهي الإخفاء الحقيقي مع الحروف: (الصاد، الضاد، الطاء، الظاء، القاف) عند جميع القراء، وقد يزاد على ذلك حرفان هما: (الغين والخاء) في بعض القراءات[١].

وقد استشهد الشيخ المرصفي ببعض ما نظم في هذا الصدد بقول الناظم:

وفخِّم الغُنَّة إن تلاها حروف الاستعلاء لا سواها

إضافة إلى ذلك فإن تفخيم الغُنَّة يتبع مراتب التفخيم المعروفة، وذلك بحسب الحرف الذي يأتي بعدها.

خلاصة وفائدة

وفيها يطرح هذا السؤال: ما نوع الغُنَّة المطلوب أداؤها من القارىء لكتاب الله؟

لا شكّ أنها الغُنَّة التي سبق الحديث عنها وعن مراتبها وأدائها، وكونها صفة من الصفات اللازمة لحرفي النون والميم، لا تفارقهما بأي حال من الأحوال.

أما الغُنَّة التي تعني: إشراب الحروف بصوت الغُنَّة، أي غلبة الغُنَّة على جميع الحروف، في حين أنها ليست من صفاتها فهو المعيب، وهو ما عدّه علماء التجويد وعلماء الأصوات اللغوية من عيوب النطق في الكلام، ويقصد به أن يخرج القارىء حروفه مشربة بالغُنَّة، أي أن يغلب على كلامه استخدام مخرج الخيشوم.

(١) هداية القاري ــ ص١٨١.

أضف إلى ذلك من يبالغ في إظهار الغُنَّة من القراء، فيتولد منها ياء، ويتحول اللفظ إلى شيء آخر، وذلك عند التقاء الغُنَّة بالمد بعدها، حينئذٍ يجب التحفظ والاحتراز من عدم إعطاء هذين الحرفين: (النون والميم) صفتهما اللازمة كما ينبغي لها أن تكون، والله أعلم.

والحقيقة أنَّ ما أورده الشيخ المرصفي من خلاصة حول مسألة الغُنَّة في خاتمة الجزء المخصص لها يُعدّ ملخَّصًا حسنًا وكافيًا، أرى من الأجدر ذكره في هذا المقام، وهو على النحو الآتي(١):

* يخرج من الخيشوم صوت الغُنَّة، وليس حروفها.
* محل صوت الغُنَّة النون ولو تنوينًا، والميم مطلقًا.
* مراتب الغُنَّة خمس، وبعض العلماء عدها ثلاثًا فقط، والخلاف لفظي، والأشهر والمعمول به هو رأي جمهور العلماء وهو أنها خمس مراتب.
* مقدار الغُنَّة حركتان، وهي غنة كاملة، وهي في المراتب الثلاث الأولى، وفي الأخيرتين غنة أصلية لا بد منها.
* الغُنَّة صفة تابعة لموصوفها اللساني أو الشفوي (أي النون أو الميم) وهي ليست حرفًا، وإنما صفة لازمة؛ لأن الحرف يعمل فيه اللسان لإخراجه، والغُنَّة ليست كذلك، بل هي صفة تابعة لموصوفها، وهذا الأمر أوجب إلحاقها بالصفات اللازمة المشهورة التي لا ضد لها، وهي لا تقل أهمية عن صفة القلقلة.

❑ ❑ ❑

---

(١) هداية القاري ــ ص١٨٧.

[٦]
فصل عن الهمزة

الهمزة لغة:

همز الرجل رأسه يهمزه همزًا، أي: غمزه. والهمز مثل الغمز والضغط. ومنه الهمز في الكلام لأنه يضغط. والرجل الهمّاز: أي العيّاب، وكذلك الهُمَزَة. تقول: رجل هُمَزة وامرأة هُمَزة.

والهمَّاز هو الذي يخلف الناس من ورائهم ويأكل في لحومهم[1]، ومن ذلك قول الله عزَّ وجل: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ۝١١﴾ [القلم]، أو قوله أيضًا: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ [الهمزة]، والهمَّاز: الذي يهمز أخاه في قفاه من خلفه.

وهمز الشيطان الإنسان همزًا: همس في قلبه الوسواس. وهمزات الشياطين: خطراته التي يخطرها بقلب الإنسان. وفي حديث للرسول ﷺ أنه كان إذا استفتح الصلاة قال: «**اللهمَّ إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم، من هَمْزه ونفثه ونفخه**»، قيل: يا رسول الله ما همزه ونفثه ونفخه؟ قال:

(١) ابن منظور، لسان العرب، المجلد الخامس ــ ص٤٢٦.

«أما همزه فالموتة[١]، وأما نفثه فالشعر، وأما نفخه فالكِبْر»[٢].

وقد سُمِّيَت الهمزة بهذا الاسم لأنها تهمز فتُهَتّ[٣] وتنهمز عن مخرجها، وفي النطق بها همز أي عصر وضغط.

وتقول: همز الرجل الحرف: نَطَق به بالهمز، أو وضع عليه الهمزة.

فائدة لغوية [بين الهمز واللمز]:

الهمز مثل اللمز، همزه: دفعه وضربه، وهمزته ولمزته ونهرته إذا دفعته.

والفرق كما تشير المعاجم بين الهمز واللمز: أنَّ الرجل الهُمَزَة هو مَن يهمز أخاه في قفاه ومِن خلفه. أما اللمز فإن العيب يكون في الوجه، أو في الاستقبال؛ لأن اللمز هو الغمز في الوجه بتحريك الشدق أو العين أو الشفة بكلام خفي، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ أي يحرك شفتيه، ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ. . . ﴾.

إذن الهمز هو العيب بالغيب، واللمز هو العيب في الوجه[٤].

مخرج الهمزة:

يخرج حرف الهمزة من أقصى الحلق، أي أبعده مما يلي الصدر، وهو حرف متقارب في مخرجه الجزئي مع حرف الهاء (همز فهاء)

---

(١) الموتة: أي الجنون.

(٢) لسان العرب، المجلد الخامس ـ ص٤٢٦.

(٣) هتّ الحرف: أخرجه ونطق به واضحًا.

(٤) لسان العرب، المجلد الخامس ـ ص٤٠٦ ـ ٤٠٧.

أي الهمزة والهاء بالترتيب، ويرى بعض العلماء أنَّ الهمزة والهاء في مرتبة واحدة[١].

صفات الهمزة:

الهمزة صوت حبيس حنجري انفجاري، يحدث عند التحام الوترين الصوتيين، ثم انفصالهما فجأة؛ وهذه آلية تقتضي من المتكلم جهدًا أكبر من أي جهد يبذله في نطق أصوات أُخرى، ولهذا لا نجد الهمزة في أي لسان إلاَّ في العربية الشمالية، وإذا وجدت في لغات غير العربية فهي في ابتداء الكلام فقط، كذلك فإن اللهجات العربية مختلفة في نطق الهمزة في درج الكلام أي وصله، فمنهم من يسهلها، ومنهم من يخففها، وآخرون يحققون الهمزة[٢].

فالهمزة كما يعرف أهل اللغة وعلماء التجويد: **صوت مجهور شديد**، والجهر يعني إعلاء الصوت وإظهاره، فهي صفة قوية؛ لقوة اعتماد الحرف على المخرج، وامتناع جري النفس مع الصوت، وذلك بسبب أن الوترين الصوتيين التحما فضاق المزمار (الفراغ بين الوترين) ضيقًا شديدًا حتى لا يجد الهواء فرصة للخروج بل إنه ينحبس. أما الشدة فهي الانفجار كما يسميها اللغويون المُحْدَثون، وآلية الشدة تعني حدوث الصوت في ثلاث مراحل: الحبس، والإمساك، والانفجار[٣]. **ومن صفات الهمزة كذلك: الإِصمات، والانفتاح، والاستفال.**

(١) نهاية القول المفيد ــ ص٣٨.

(٢) المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، الجزء الأول ــ ص٨٤.

(٣) المصدر السابق ــ ص١٥.

وقد ذكر محمد مكي نصر عن الهمزة أنَّ لها من الصفات خمسًا: الجهر، والشدة، والإصمات، والانفتاح، والاستفال، وقد جمع هذه الصفات أحد الناظمين في هذا المجال في قوله:

للهمز جهر واستفال ثبتا فتح وشدة وصمت يا فتى[١]

وتشترك الهمزة والهاء مخرجًا وانفتاحًا واستفالاً، وتنفرد الهمزة بالجهر والشدة، فلولا الهمس والرخاوة اللذان في حرف الهاء مع شدة الخفاء لكانت همزة، ولولا الشدة والجهر اللذان في حرف الهمزة لكانت هاء[٢]. ونظرًا لكون المخرج واحدًا في الهمزة والهاء فقد أبدلت العرب من الهاء همزة، ومن الهمزة هاء، فقالوا: ماء وماه، وأرقت الماء، وهرقت الماء في بعض المواضع.

وعند النطق بحرف الهمزة نجد المتكلم يبذل جهدًا واضحًا في إخراجها أكثر من غيرها من الحروف؛ نظرًا لأنَّ مخرج الحرف من أقصى الحلق، وبخاصة إذا وجب تحقيقها أي نطقها كما هي من غير تغيير من تخفيف أو تسهيل. ويشير صاحب نهاية القول المفيد إلى أن الناس يتفاضلون في النطق بالهمزة، على مقدار غلظ طباعهم؛ فمنهم من يلفظ بها لفظًا تستبشعه الأسماع وتنبو عنه القلوب، وتنفر منه الطباع، وذلك مكروه ومعيب ممن أخذ به. ومنهم من يلفظ بها مفخمة وهو خطأ. ومنهم من يشددها في تلاوته بقصد تحقيقها، وبخاصة بعد المد، نحو قولهم: (يا أيها) وهذا حرام، ومنهم من يأتي بها مسهلة

(١) نهاية القول المفيد ــ ص٧٠.

(٢) المصدر السابق ــ ص٦٥.

وذلك غير جائز إلاَّ فيما اقتضته الرواية[١].

والذي ينبغي للقارىء مراعاته هو أنه إذا أتى بالهمزة أن تكون سلسة في النطق، سهلة في الذوق، من غير لَكْنٍ[٢] ولا انتبار[٣] لها، ولا خروج عن حدها، بحيث يألفها الطبع، ويستحسنها أهل العلم والقراءة.

إذن فالهمزة حقّها الترقيق في كل حال، وإذا أراد أحد ما إتقان التلاوة فعليه إخراج الهمزة من مخرجها الصحيح، وإعطاؤها صفتها.

ولهذا ينبغي التحفظ عند النطق بها:

- من تفخيمها عندما يأتي بعدها حرف مغلظ، أي: مفخم، مثل: ﴿ٱللَّهُ﴾، ﴿ٱللَّهُمَّ﴾، ﴿ٱلطَّلَٰقُ﴾، ﴿إِصْلَٰحٌ﴾، ﴿ٱصْطَفَىٰ﴾.
- من تسهيلها إذا أتى بعدها حرف مجانس أو مقارب لها، مثل: ﴿ٱهْدِنَا﴾، ﴿أَعُوذُ﴾، ﴿أَعْطَىٰ﴾، ﴿أَحَطتُ﴾.
- من تحولها إلى ياء إذا أتت بعد حرف المد، مثل: ﴿كَلَّآ إِنَّ﴾، ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ﴾[٤].

وجملة القول أن الهمزة من الحروف التي تتطلب من القارىء عناية وانتباهًا.

---

(١) نهاية القول المفيد ــ ص٧٠.

(٢) اللكْن: عجمة في اللسان، وميل إلى تبديل الحرف.

(٣) الانتبار: ارتفاع وعلوّ في الصوت عند النطق بها.

(٤) نهاية القول المفيد ــ ص٧١.

أصل الهمزة

اختلف علماء اللغة في الهمزة، هل هي الحرف الأول من حروف الهجاء أم الألف؟ وهل الهمزة هي الألف أم أن الهمزة حرف والألف حرف آخر؟

الأرجح ــ والله أعلم ــ: أنَّ الهمزة هي أول حروف الهجاء، وليس الألف التي تحمل الهمزة فوقها؛ لأن الألف شأنها في هذا شأن الواو والياء حين تستقر فوقهما الهمزة في كتابة كثير من الكلمات.

أمَّا الألف الأصلية من حروف الهجاء فيقال إنها في الترتيب الأبجدي تأتي بعد اللام مباشرة، حتى أنها اندمجت في اللام بسبب سكونها واستحالة النطق بها، وصارتا (لا) مع أنهما حرفان في الأصل[١].

ويذكر بعض اللغويين[٢] أن الهمزة لا هجاء لها؛ فمرة تُكتب ألفًا، ومرة ياء، ومرة واوًا.

كما تذكر بعض المراجع عن الهمزة أنها لا صورة لها في الخط تُعرف بها، وإنما يُستعار لها صورة غيرها؛ مرة يُستعار لها صورة الألف نحو: (رأس)، ومرة يُستعار لها صورة الواو نحو: (يؤمنون)، ومرة يُستعار لها صورة الياء نحو: (بئر) و (ذئب)، ومرة لا تكون لها صورة، ولكن تُعرف بالشكل والمشافهة، مثل: (ملء، دفء)[٣].

---

(١) النحو الوافي، الجزء الأول ــ ص١٣. وانظر: موسوعة النحو والصرف والإعراب ــ ص ٧.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، المجلد الأول ــ ص١٧.

(٣) نهاية القول المفيد ــ ص٧٠.

رفع المسبّحم

والهمزة من حيث كونها أحد الحروف الهجائية نوعان:

١ ـ حرف من حروف المباني:

وحرف المبنى هو الذي يدل على نفسه ما دام مستقلاً لا يتصل بحرف أخر، فإذا اتصل بحرف أو أكثر نشأ من ذلك ما يُسمى (الكلمة) سواء كانت ثنائية أم ثلاثية أم أكثر، أي من انضمام حروف الهجاء إلى بعض.

وتسمَّى حروف المباني لأن الكلمة تبنى منها وتتكون صيغتها منها، فهي أساس بنية الكلمة[١].

وعندما يقول أحدنا الهمزة أصلية في الكلمة، يعني أنها قد تكون فاء الفعل، أو عين الفعل، أو لام الفعل. ومثال ذلك: [أمن، سأل، بدأ].

وقد تأتي الهمزة في الكلمة ولكنها ليست من حروفها الأصلية، بل هي همزة المدة المبدلة من الياء أو الواو كما أشار ابن منظور؛ ومثال ذلك: همزة (السماء)، و (الدعاء)، و (الجزاء)، و (البكاء)... إلخ[٢].

وتأتي الهمزة في الأسماء كما تأتي في الأفعال وفي الحروف، ومثالها في الأسماء: [الداء، البأس، لؤلؤ، كأس، رأس... إلخ]، وقد تأتي لتدلّ على التأنيث، مثل: الحمراء، النفساء، الصحراء.. وغيره.

٢ ـ حرف من حروف المعاني:

وتسمَّى حروف المعاني: أدوات الربط، وهي إذا كانت منفردة بنفسها لا تدل على أي معنى، ولكن إذا وُضعت في كلام ظهر لها معنى لم يكن من قبل.

(١) النحو الوافي، الجزء الأول ـ ص١٣.

(٢) لسان العرب، الجزء الأول ـ ص١٧.

فالحرف هو الرابط الذي يربط بين كلمات معيَّنة، فهو إذن من أقسام الكلمة، ويختلف اختلافًا كاملاً عن الحرف الهجائي البنائي الذي تبنى منه صيغة الكلمة وهي أحرف البناء(١).

وحروف الربط هذه نوعان:

* نوع يفيد معنى جديدًا يجلبه معه في الجملة، ولهذا يُسمى من حروف المعاني، مثل: حروف الجر، وحروف العطف، والنواصب، والجوازم.. وغيرها.

* ونوع آخر زائد أو مكرر، ويفيد التوكيد لمعنى موجود أصلاً، مثل: (ما) الزائدة، ومثلها (الباء) الزائدة، و (من) الزائدة(٢).

* **ومثال ذلك: في الباء الزائدة التي تأتي في خبر المبتدأ مع** (ما) النافية، وفي خبر ليس، وفي فاعل كفى.

ومواضعها كثيرة في القرآن:

مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ [البقرة].

ومثل قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [الأنعام].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ ﴾ [هود].

وقوله تعالى: ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [النساء].

---

(١) النحو الوافي، الجزء الأول ـ ص٦٦.

(٢) المصدر السابق ـ ص٦٦.

رفع المسهم

وقوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [النساء].

وقوله عزَّ وجل: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ﴾ [العنكبوت: ٥٢].

* **والأمثلة على الحرف (مِنْ) الزائدة كثيرة أيضًا في القرآن الكريم،** أذكر منها قوله عزَّ وجل: ﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ﴾ [التوبة: ٩١].

وقوله عزَّ وجل: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ﴾ [المؤمنون: ٩١].

وقوله تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ [الأحزاب: ٤].

وقوله الحق: ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [ص: ٦٥].

* **ومن الأمثلة على (ما) الزائدة، قوله تعالى:** ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا ﴾ [التوبة: ١٢٤].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ﴾ [التوبة: ١٢٧].

* **والهمزة من حيث كونها حرف بناء في الكلام:** نوعان: همزة وصل، وهمزة قطع.

أمَّا من حيث كونها من حروف المعاني فلها استخدامات كثيرة، مثل: همزة النداء، وهمزة الاستفهام، ومنه الاستفهام الحقيقي، والاستفهام الأدبي ويأتي لأغراض متعددة.

وسوف أعطي توضيحًا وأمثلة لهذه الاستخدامات مع حرف الهمزة لاحقًا في هذا الفصل.

همزتا الوصل والقطع

* الحديث هنا عن الهمزة عندما تقع في أول الكلمة.

* والقاعدة العامة المعروفة عند أهل التجويد وأهل العربية هي: ألاَّ يُبتدأ بساكن، وألاَّ يُوقف على متحرك. أي لا يبدأ القارىء إلاَّ بمتحرك، ولا يقف إلاَّ على ساكن.

ومن هذه المقدمة يكون الحديث عن الهمزة، حيث إنها نوعان:

- همزة وصل.
- همزة قطع.

تعريف همزة الوصل:

هي همزة ابتدائية، ينطق بها إذا وقعت في أول الكلام، ولا تقرأ في وسطه، وتكتب على صورة ألف بدون همزة، وعلامتها في القرآن الكريم صاد صغيرة فوق الألف(١).

وفي تعريف آخر: هي الهمزة المتحركة تضاف إلى الكلمات الساكنات الأوائل للتوصل إلى النطق بالساكن الذي يليها(٢).

وفي تعريف ثالث: إنها الهمزة الزائدة في أول الكلمة، الثابتة في الابتداء، الساقطة في الدرج ــ أي الوصل ــ في نحو قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ [النمل: ٥٩]، حيث نجد همزة

(١) موسوعة النحو والصرف والإعراب ــ ص١٣.

(٢) المحيط في أصوات العربية، الجزء الأول ــ ص٥٨.

الكلمات: (الحمد، الذين، اصطفى) همزة وصل لسقوطها في درج الكلام، وثبوتها إذا ابتُدئ بها[١].

وجدير بالانتباه أنَّ همزة الوصل في أغلب الكتابات لا تظهر، والبعض يثبتها بصورة صاد صغيرة، دلالة على أنها وصلية، وإذا تأمَّلنا الرسم القرآني وجدنا أنها مثبتة بصورة صاد صغيرة ابتداءً ووصلاً.

وهذه الهمزة المتحركة الزائدة التي تُزاد في أول الكلمات الساكنة أوائلها سمَّاها الخليل بن أحمد: سلّم اللسان؛ لأنها يُتوصل بها إلى النطق بالساكن، وهو ما لا يجوز الابتداء به.

وإثبات همزة الوصل في درج الكلام لحن، وما ورد من هذا القبيل إنما هو ضرورة شعرية، فهو من الشاذ في اللغة، كقول الشاعر:

إذا جاوز الإثنين سرٌّ فإنه ببثّ وتكثير الوشاة قمين[٢]

تعريف همزة القطع:

هي الهمزة التي تظهر في النطق دائمًا كما تظهر خطًّا، سواء أكانت في بدء الكلام أم في وصله.

وفي تعريف آخر: إنها الهمزة التي تثبت في حالتي الوصل والبدء، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ﴾ [الأحقاف: ١٥].

---

(١) هداية القارئ ــ ص٤٨٣.

(٢) المحيط في أصوات العربية، الجزء الأول ــ ص٥٩. وقمين يعني: جدير.

وقوله تعالى: ﴿ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ۝٥٤ مِن دُونِهِۦۖ ﴾ [هود: ٥٤ ــ ٥٥][١].

وفي تعريف ثالث: إنها الهمزة التي تثبت وصلاً وخطًّا وابتداء، إلاَّ ما ورد عن بعض القرَّاء، كقراءة ورش؛ لأنه يقرأ بنقل حركة همزة القطع إلى الساكن قبلها، ما لم يكن هذا الساكن حرف مد أو لين، فيحرك ذلك الساكن بحركتها، ويسقط الهمزة من اللفظ، شريطة أن يكون ذلك الساكن آخر الكلمة.

وقد أشار محمد مكي إلى تعريف العلاَّمة الطيبي في منظومته لكل من همزتي الوصل والقطع بقوله:

وهمـــزة تثبـــت فـــي الحـــاليـــن
همـــزة قطـــع نحـــو أبيضيـــن
وهمـــزة تثبـــت فـــي البـــدء فقـــط
همزة وصل نحو قولك: النمط[٢]

وقد سُمِّيت بهمزة القطع لثبوتها في الدرج، فعند التلفظ بها ينقطع الحرف الذي قبلها عن الحرف الذي بعدها[٣].

وهمزة القطع من بنية الكلمة وليست زائدة، وحكمها الإثبات في الابتداء والوصل.

---

(١) هداية القارىء ــ ص٤٩٧.

(٢) نهاية القول المفيد ــ ص١٨٨.

(٣) هداية القارىء ــ ص٤٩٧.

مواضع همزتي الوصل والقطع

تمهـيد :

إذا رجع القارىء بذاكرته إلى الكلمة في اللغة العربية، وتأمل في تكوينها، وجدها تتكوَّن من عدة حروف متصلة ببعضها، وهذه الكلمة وحدها تدل على معنى، ولكنه معنى جزئي مفرد لا يمكن أن تحصل منه الفائدة إلاَّ إذا اتصلت هذه الكلمة بغيرها من الكلمات؛ حتى يفهم السامع أو القارىء فائدة ومعنى وافيًا وهو ما يسميه أهل اللغة: (الجملة) أو الكلام.

وهذه الجملة أو الكلام في اللغة العربية له أقسام ثلاثة: الاسم، والفعل، والحرف.

وإذا تعرَّفنا مواضع همزتي الوصل والقطع من خلال هذا التقسيم، فسيكون الأمر سهلاً أمام القارىء ليحفظ في ذهنه قاعدة هاتين الهمزتين، مضيفًا إليها بعض التفصيلات التي لا مناص منها لتحصل الفائدة المرجوَّة.

وأقسام الكلمة في اللغة ثلاثة(١):

* **الاسم: كل كلمة تدل بذاتها على شيء محسوس**، مثل: (بيت، نخلة، عصفورة، محمد...)، أو شيء غير محسوس مثل: (شجاعة، مروءة، شرف، خلق).

والاسم لا يقترن بزمن، وله علامات، ولا يشترط وجودها جميعًا، وإنما إذا وجدت واحدة منها كانت دليلاً على أنَّ الكلمة (اسم).

وهذه العلامات هي:

١ ــ **الجر**، أي يسبق الكلام داع من دواعي الجر مثل: حرف الجر أو الإضافة أو النعت.

---

(١) باختصار وتصرف من كتاب (النحو الوافي) الجزء الأول ــ ص٢٦ ــ ٤٦ ــ ٦٦.

٢ ـ **التنوين**، وهو الفتحتان، أو الضمتان، أو الكسرتان، ويُعرف بأنه نون ساكنة زائدة، أي ليست من حروف الكلمة الأصلية، تلحق بآخر الاسم لفظًا ووصلاً، لا خطًّا ولا وقفًا.

٣ ـ **النداء**، مثل: يا فاطمة أكرمي جارتك، يا محمد ساعد الضعيف، فكل كلمة نناديها هي اسم.

٤ ـ **التعريف بـ (أل)**، أي أن تكون الكلمة مبدوءة بـ(أل) مثل: العدل، الشجاعة، الملك.

٥ ـ **الإسناد**، أي أن ننسب إلى الكلمة ـ الاسم ـ حصول شيء معيَّن أو عدم حصوله، أو مطلوب منه إحداثه، مثل: (محمودٌ مُسافِرٌ)، (محمودٌ لم يسافِرْ)، (سافِرْ يا محمود).

* **الفعل**: **كل كلمة تدلّ بنفسها مباشرة على أمرين**: **أوَّلهما**: معنى ندركه بالعقل وهو ما يسمَّى (الحدث). **وثانيهما**: زمن حصول ذلك الحدث. فالفعل كلمة تدل على أمرين معًا: **معنى** (أي حدث وقع)، **وزمن** يقترن به.

والزمن قد يكون في الماضي الذي انتهى، أي انتهاء الحدث قبل النطق بالكلمة (الفعل الماضي)، **أو قد يكون في زمن يصلح للحال أو الاستقبال** (المضارع)، وهو الفعل الذي لا بد أن يبدأ بالهمزة (أقول) أو النون (نقول) أو الياء (يقول) أو التاء (تقول)، وهذه الحروف هي حروف المضارعة، وهي لا بد أن تُفتح وجوبًا إلاَّ في المضارع الرباعي مثل: (أعطى، يُعطى)، وفي المبني للمجهول (يُعْطى).

وأخيرًا قد تكون الكلمة تدل بنفسها على أمرين مجتمعين هما: معنًى، ومطلوب تحقيقه في المستقبل، نحو قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥].

وقد اجتمعت الأفعال الثلاثة (الماضي، والمضارع، والأمر) في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [الأحزاب]، وفي قول الشاعر:

أحسِنْ إلى الناس تستعبدْ قلوبهمُو   فطالما استعبدَ الإنسانَ إحسانُ

الحرف: كل كلمة لا تدل على أي معنى ما دامت منفردة بنفسها، ولكنها إذا وضعت في كلام، ظهر لها معنى لم يكن لها من قبل. والحرف هنا لا يعني الحرف الذي تبنى منه الكلمة، أي حرف المبنى، وإنما المقصود به حرف المعنى، أو أداة الربط كما ذكرت سابقًا في موضع من هذا الفصل.

فائدة لغويّة في أسماء الأفعال:

يعتبر بعض النحاة اسم الفعل قسمًا رابعًا للكلمة، والأرجح أنه داخل في قسم الاسم، واسم الفعل: اسم يقوم مقام الفعل في المعنى، والزمن، والعمل، ولكنه لا يقبل علاماته ولا يتأثر بالعوامل، ولهذا لا يمكن تسميته فعلاً. **وأسماء الأفعال ثلاثة أقسام:**

- اسم فعل ماض: مثل: (هيهاتَ) بمعنى بَعُدَ، و (شتانَ) بمعنى افترق.
- اسم فعل مضارع: مثل: (أفٍ) بمعنى أتضجر، و (آهٍ) بمعنى أتوجع.
- اسم فعل أمر: مثل: (آمين) بمعنى استجب، و (حيْ) بمعنى أقبل، و (صَهْ) بمعنى اسكت، و (مَهْ) بمعنى كُفّ.

وأسماء الأفعال سماعية مأخوذة عن العرب، ولا يقاس منها إلاّ القليل، وهي كلها مبنية وليست معربة.

مواضع همزتي القطع والوصل وفق أقسام الكلمة

خلاصة الكلام

إنَّ الكلمة في اللغة العربية، إمَّا أن تدل على ذات (وهي الاسم)، وإما أن تدل على معنى مجرد أي حدث معين (وهي الفعل)، وإما أن تربط بين الذات والمعنى (وهي الحرف).

وإذا عدنا إلى الهمزة بنوعيها: الوصلية والقطعية؛ لنبحث عنها في أوائل الكلمة ــ أيّ كلمة ــ مما مرَّ في الحديث السابق، وجدنا القاعدة تتلخص في الآتي:

أوّلًا: همزة الوصل تكون في الأسماء، والأفعال، والحروف. وهمزة القطع تكون في الأسماء، والأفعال، والحروف.

ثانيًا: **الأسماء**: كل اسم همزته همزة قطع، ما عدا الأسماء العشرة الساكنة الأوائل وهي سماعية، وقد ورد في القرآن الكريم سبعة منها وهي: بْن، بْنة، سْم، ثْنان، ثْنتان، مْرؤ، مْرأة.. وأما الثلاثة الباقية فهي: بْنم، (وهي بمعنى ابن في بعض اللهجات العربية)، و يْمُن (وهو لفظ للقسَم، يقال: ايمن الله لأفعلن كذا..)، وقد تُحذف منها النون ويقال: (ايم)، والثالث: سْتُ (بمعنى العَجُز أو الدبر).

وقد أوردتها كما هي دون الهمزة؛ لبيان أن الهمزة إنما هي زائدة للنطق بالساكن.

فالأسماء الوارد ذكرها سابقًا همزتها وصلية: وهي سماعية[١].

وهناك أسماء قياسية[٢] همزتها وصل، وهي نوعان:

* مصدر الفعل الماضي الخماسي نحو: (افتراء، ابتغاء، انتقام).
* مصدر الفعل الماضي السداسي نحو: (استغفار، استكبار).

ثالثًا: **الحروف**، كلها همزتها همزة قطع ما عدا (ال) التعريف[٣]، والحروف نحو: [إنَّ، أنَّ، إنْ، كأنَّ، إلى، أيّان].

رابعًا: **الأفعال**: منها ما همزته همزة وصل، ومنها ما همزته همزة قطع.

---

(١) سماعية: أي سُمعت عن العرب.

(٢) قياسية: أي تقاس وفق قاعدة لغوية.

(٣) يرى بعض النحاة، وكذلك مذهب الخليل بن أحمد أنها قطعية وتحولت إلى وصلية لكثرة الاستعمال.

فالأفعال التي همزتها همزة وصل هي:

* الماضي الخماسي مثل: اعتدى، اقترب، اشترى.
* الماضي السداسي مثل: استسقى، استنصر، استطعم.
* الأمر من الثلاثي مثل: اضرب (من ضرب)، اخرج (من خرج)، اتلُ (من تلا)، ادعُ (من دعا).
* الأمر من الخماسي مثل: انتظر، انطلق، انتبه.
* الأمر من السداسي مثل: استغفر، استأجر، استهزىء.

أما الأفعال التي همزتها همزة قطع فهي:

* الماضي الثلاثي: أمر، أذن، أخذ.
* الماضي الرباعي: ألهى، أوحى، أحسن.
* الفعل المضارع: أذبح، أرى، أسمع.
* الأمر الرباعي: أَكْرِم، أَحْسِن، أَخْرِج، أَصْلِح.
* مصدر الثلاثي: أمْر، أمْن، إثْم، إفْك.
* مصدر الماضي الرباعي: إطعام، إخراج، إحسان.
* الأفعال المبنية للمجهول من الأفعال السابقة.

وقد آثرت أن أحصي مواضع همزتي القطع والوصل في شكلين: أحدهما: طبقًا لأقسام الكلمة في اللغة العربية. والثاني وفق الهمزتين كلتيهما؛ وذلك زيادة في التوضيح والبيان.

وإليك عزيزي القارىء ــ أمثلة من القرآن الكريم على مواضع الهمزتين:

رفع المسهم

أولاً: أمثلة على مواضع همزة الوصل

في الأفعال:

١ ــ الماضي الخماسي (المكون من خمسة أحرف ومعها الهمزة):

نحو: اتخذ، اشترى، ارتاب، وذلك في الأمثلة التالية:

* في قوله تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١].
* وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٦].
* وقوله تعالى: ﴿أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ﴾ [النور: ٥٠].

٢ ــ الأمر من الفعل الخماسي:

نحو: اتَّبِعْ، انتظر، انطلق، وذلك في الأمثلة التالية:

* قوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ﴾ [الأنعام: ١٠٦].
* وقوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [السجدة].
* وقوله تعالى: ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [المرسلات].

٣ ــ الماضي السداسي (المكون من ستة أحرف ومعها الهمزة):

نحو: استغفر، استكبر، استسقى، وذلك في الأمثلة التالية:

* قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ [النساء: ٦٤].
* وقوله تعالى: ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].
* وقوله تعالى: ﴿۞وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ﴾ [البقرة: ٦٠].

رفع المسهم

٤ ـ الأمر من السداسي:

مثل: استغفرْ، استأجر، استفزز، وذلك في الأمثلة التالية:

* قوله تعالى: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ [التوبة: ٨٠].

* وقوله تعالى: ﴿قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ﴾ [القصص: ٢٦].

* وقوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم﴾ [الإسراء: ٦٤].

٥ ـ الأمر من الفعل الماضي الثلاثي:

مثل: اضرب، ادعُ، ارجع، وذلك في الأمثلة التالية:

* قوله تعالى: ﴿فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ﴾ [البقرة: ٦٠].

* وقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ [النحل: ١٢٥].

* وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ﴾ [يوسف: ٥٠].

في الأسماء:

الأسماء السماعية:

١ ـ (ابن)، للتذكير، في نحو قوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ﴾ [المائدة: ١١٠].

وقوله تعالى: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي﴾ [هود: ٤٥].

٢ ـ (ابنت)[١]، للتأنيث. في نحو قوله تعالى: ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ

(١) يختلف رسم كلمة (ابنت) في الكتابة العادية عن الرسم القرآني؛ حيث تكتب هكذا (ابنة)، كما أن لفظتي (ابن، وابنة) تحذف همزة الوصل منهما في الدرج، كما =

أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [التحريم: ١٢].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ﴾ [القصص: ٢٧].

٣ ـ (اسم)، في نحو قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [العلق].

وقوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى].

وقوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

٤ ـ (امرؤ)، للتذكير، ويأتي معربًا في حالات مختلفة كما في قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ﴾ [النساء: ١٧٦].

وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ﴾ [مريم: ٢٨].

٥ ـ (امرأة)، للتأنيث، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾ [النساء: ١٢٨].

وقوله تعالى: ﴿فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

٦ ـ (اثنان)، للمذكر، ويعرب هذا اللفظ إعراب المثنى (يرفع بالألف وينصب بالياء، ويجر بالياء)، كما في نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ [التوبة: ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [النحل: ٥١].

٧ ـ (اثنتان)، للتأنيث، ويعرب هذا اللفظ إعراب المثنى أيضًا، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة: ٦٠].

وقوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٦٠].

= تحذف الألف منهما في الكتابة إذا وقعت بين عَلَمين، أو بعد حرف نداء، أو بعد حرف الاستفهام (الهمزة)؛ بسبب حذف الهمزة أصلاً.

رفع المسهم

والأسماء السماعية السابق ذكرها وردت في القرآن الكريم.

أمّا الأسماء الثلاثة الباقية فقد سُمِعَت عن العرب، وهي واردة في اللغة، وبيانها على النحو التالي:

١ ــ است (بمعنى العجُز أو الدبر).

٢ ــ ابنم (أو ابن) بزيادة الميم كما يرى بعض اللغويين.

٣ ــ ايمن، للقسم، والبعض يقول إنها: ايم.

الأسماء القياسيّة:

* مصدر الماضي الخماسي مثل: (ابتغاء، اختلاف) في نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [يونس: ٦].

وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [الليل].

* مصدر الفعل الماضي السداسي مثل: (استكبار، استغفار) في نحو قوله تعالى: ﴿ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾﴾ [نوح].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ﴾ [التوبة: ١١٤].

في الحروف:

ليس من الحروف ما همزته همزة وصل إلا (أل) التعريف؛ فكل الحروف في اللغة العربية همزتها قطعية ما عدا (أل) التعريف. وسوف يأتي الكلام مفصلاً حول (أل) هذه، زيادة في البيان، وذلك في جزء لاحق من هذا الفصل.

ومثال على همزة (أل) التعريف قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ [الرحمن].

رفع المسيَّهم

وذكر بعض اللغويين أن (ايمن) للقسم أو (ايم) بحذف النون، همزته همزة قطع، والأرجح أنها همزة وصل، وهو أمر سماعي.

ثانيًا: أمثلة على مواضع همزة القطع

في الأفعال:

١ ــ الفعل الماضي الثلاثي المبني للمعلوم، وهو المبدوء بهمزة نحو: أخذ، أمر، أذن. . .

كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾ [البقرة: ٨٤].

وقوله تعالى: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠].

٢ ــ الفعل الماضي الرباعي المبني للمعلوم نحو: أوحى، ألهاكم. . .

كما في قول الله عز وجل: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى﴾ [النحل: ٦٨].

وفي قوله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾﴾ [التكاثر].

٣ ــ الفعل المضارع الرباعي المبدوء بهمزة (حرف المضارعة) مثل: أعمل، أسمع، أرى. . .

كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ [الأحقاف: ١٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه].

٤ ــ فعل الأمر من الرباعي نحو: أصلحْ، أخرجْ، ألحِقْ. . .

كما في قوله تعالى: ﴿وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ﴾ [الأحقاف: ١٥].

وقوله تعالى: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف: ١٠١].

رفع المستهم

٥ ـ الفعل المضارع من الثلاثي المزيد والمضعف، نحو: أبرىء، أحيي، أميت. . .

كما في قوله تعالى: ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩].

وقوله تعالى: ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ﴾ [يوسف: ٥٣].

٦ ـ الماضي الثلاثي المبني للمجهول، نحو: أُذِن، أُمِر. . .

كما في قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ۚ﴾ [الحج: ٣٩].

وقوله تعالى: ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ١٦٣﴾ [الأنعام].

٧ ـ الماضي الرباعي المبني للمجهول، نحو: أُخرَج، أُوتي، أوحي. . .

كما في قوله تعالى: ﴿أَتَعِدَانِنِيٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ﴾ [الأحقاف: ١٧].

وقوله تعالى: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ﴾ [هود: ٣٦].

في الأسماء، ومنها الأعلام:

١ ـ والاسم العلم وهو في أصله عربي، نحو: (أحمد) وهو عَلَم على وزن يختص بالفعل المضارع، ويمنع من الصرف[١] بسبب أنه عَلَم، وأنه على وزن الفعل، فلا ينون أبدًا.

والأعلام التي همزتها قطعية كثيرة في العربية منها عَلَم إنسان مثل: أمينة، أسامة. ومنها علم حيوان مثل: أسد.

(١) يمنع من الصرف، أي: لا يقع فيه التنوين، وإعرابه الرفع بالضمة، والنصب بالفتحة، والجر بالفتحة نيابة عن الكسرة، وعِلل المنع من الصرف كثيرة لا مجال لتعدادها هنا.

رفع المسهم

٢ ــ العَلَم الأعجمي في أصله، ومنقول إلى لغة العرب، ويكون رباعيًّا فأكثر، مثل: إسماعيل، إبراهيم، إسحق، إلياس، إدريس. وهي أعلام ممنوعة من الصرف أيضًا.

٣ ــ واسم (إبليس) علم أعجمي الأصل، وهو ممنوع من الصرف أيضًا وقيل هو مشتق من (الإبلاس) ويعني الإبعاد، فمنع من الصرف بسبب أنه عَلَم، وشبه أعجمي، وقيل إنه شبه أعجمي بسبب أن العرب لم تسمّ به أصلاً، فكأنه في غير لغة العرب، على الرغم من أن الصيغة أو الوزن له نظائر في العربية مثل: إكليل، إقليم[١].

٤ ــ وتأتي همزة القطع أيضًا في الضمائر المنفصلة مثل: أنا، أنتَ، أنتِ، أنتما، أنتم، إيّاك، إيّاكم.

فائدة لغوية:

* أسماء الملائكة نحو: (جبريل، ميكائيل. . .) ممنوعة من الصرف (أي لا تنون) وذلك بسبب العَلَمية، والعُجمة، ما عدا: مالكًا، ومنكرًا، ونكيرًا، فهي ثلاثة أعلام مصروفة، أي تأتي بالتنوين. وأما (رضوان) فهو ممنوع من الصرف بسبب العَلَمية، وزيادة الألف والنون.

* أسماء الأنبياء ممنوعة من الصرف مثل: إبراهيم، إسماعيل، إسحق، إدريس، إلياس. . . وذلك بسبب العَلَمية والعُجمة، أما محمد، وصالح، وشعيب، وهود، ولوط، ونوح فهي لا تمنع من الصرف؛ لأنها إما أن تكون عربية مثل: محمد وصالح. . ، وإما أن تكون أعجمية ولكنها ثلاثية ساكنة الوسط مثل: نوح، لوط[٢].

---

(١) النحو الوافي، الجزء الرابع ــ ص٢٤٥.

(٢) المصدر السابق ــ ص٢٤٤، ٢٤٥.

في الأسماء القياسية:

* مصدر الفعل الماضي الثلاثي، سواء أكانت همزة القطع مفتوحة أم مكسورة، وذلك في الأمثلة التالية:

ـ مثال المفتوحة: (أمر، أمن)، كما في الأمثلة التالية:

قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ٦٩﴾ [الكهف].

وقوله تعالى: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ﴾ [النور: ٥٥].

ـ ومثال المكسورة: (إثم، إفك، إذن) كما في الأمثلة التالية:

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ١٢﴾ [النور].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨﴾ [النساء].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤﴾ [القدر].

* مصدر الفعل الماضي الرباعي، نحو: إطعام، إصلاح، إكرام، إسلام، كما في الأمثلة الآتية:

ـ قوله تعالى: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧﴾ [الرحمن].

وقوله تعالى: ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ﴾ [هود: ٨٨].

وقوله تعالى: ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾ [المائدة: ٨٩].

في الحروف:

توجد همزة القطع في الحروف كلها عدا (أل) التعريف، ومثال ذلك في الحروف: إنَّ، أنَّ، إنْ، كأنّ، كأنْ، إذ، إذا، إلى، ألا، إلا، والشواهد كثيرة في القرآن الكريم على ذلك.

رفع المسهم

مواضع أخرى لهمزة القطع :

همزة القطع تأتي في الأفعال والأسماء والحروف، وقد تكون في أول الكلمة، أو وسطها، أو متطرفة، وتأتي متحركة أو ساكنة، ولها استخدامات كثيرة مثل الاستفهام والنداء . .

* **ومثالها ساكنة في الوسط : (بئر، ذئب، رئي) .**

ـ كقوله تعالى : ﴿ وَبِئۡرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصۡرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الحج] .

وقوله تعالى : ﴿ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ ﴾ [يوسف : ١٧] .

وقوله تعالى : ﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا ﴿٧٤﴾ ﴾ [مريم]، وكلمة ﴿ وَرِءۡيٗا ﴿٧٤﴾ ﴾ [مريم] تعني : منظرًا حسنًا .

الفرق بين الهمزتين :

من الواضح أن هناك بعض الفروق بين الهمزتين، وتتلخَّص في الجوانب التالية :

١ ـ تأتي همزة القطع ساكنة في الوسط، وفي الطرف، كما أنها تأتي متحركة في البدء، والوسط، والطرف، وتوجد في الأسماء، والأفعال، والحروف .

٢ ـ تأتي همزة الوصل في أول الكلمة فقط، فهي سُلَّم اللسان، والسبيل إلى النطق بالكلمات الساكنة الأوائل، ولذلك فهي لا تأتي ساكنة مطلقًا، ولا تجدها في وسط الكلمة أو في آخرها .

رفع المسيهم

٣ ـ حكم همزة القطع أنها تثبت في الابتداء والوصل كليهما، أما همزة الوصل فهي تثبت في الابتداء فقط، وتسقط في الوصل أو الدرج.

مواضع همزتي القطع والوصل وفق نوعَي الهمزة

مواضع همزتي الوصل والقطع

همزة الوصل

- الأسماء العشرة السماعية.
- الأسماء القياسية (المصادر).
- حرف (أل) للتعريف.
- الأفعال:
- الماضي الخماسي والسداسي.
- الأمر من الثلاثي، والخماسي والسداسي.

همزة القطع

- الأسماء كلها عدا ما ورد في همزة الوصل.
- الحروف كلها عدا (أل) للتعريف.
- الأفعال: الماضي الثلاثي المبني للمعلوم وللمجهول، الماضي الرباعي، المضارع الرباعي والأمر منه، الماضي الرباعي المزيد والمضعف، الرباعي المبني للمجهول.
- المصادر، مصدر الماضي الثلاثي، مصدر الماضي الرباعي.

حركة البدء بهمزة الوصل

أوّلًا: في الأفعال:

(أ) البدء بحركة الكسر في همزة الوصل:

إذا وقعت همزة الوصل في كلمة، وهذه الكلمة فعل، فإن على القارىء حينئذ النظر إلى الحرف الثالث من الكلمة، باعتبار الهمزة أولها. فإن كان مفتوحًا، أو مكسورًا، فإن البدء فيه يكون بكسر الهمزة، أي أن تعطي هذه الهمزة حركة الكسر عند البدء بها مثل: [اِضْرِب، اِرْجِع، اِذْهَب، اِنْطَلَقَ، اِسْتَخْرَج].

وشرط الكسر في ثالث الفعل هنا أن يكون أصليًا وليس كسرًا عارضًا، والكسر العارض كما في قولهم: [اغزي يا هند] فهي بضم الهمزة، لأن الكسر ليس أصليًا، فالذي حصل هنا أن الأصل (اغْزُوي) بضم الزاي وكسر الواو، ولاتّصال الفعل بياء المخاطبة، وتقدير سلب حركة الواو، ونقلها إلى الزاي، نتج عن ذلك التقاء ساكن الواو وساكن ياء المخاطبة، فحذفت الواو لالتقاء الساكنين.

ويذكر علماء التجويد أن مثاله في القرآن كلمة (اضطر) حيث وردت في بعض القراءات بكسر الطاء؛ وذلك بسبب نقل حركة الراء الأولى من (اضطرر) إلى الطاء، فقرئت (اضطِرّ).

كذلك تكسر همزة الوصل عندما يكون ثالث الكلمة مضمومًا ضمًّا عارضًا وليس أصليًا، وذلك في الكلمات التالية الواردة في القرآن الكريم: [اقضوا، وامضوا، وامشوا، وائتوا، وابنوا].

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ ﴾ [يونس].

وقال تعالى: ﴿ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ ﴾ [الكهف: ٢١].

وقال عز وجل: ﴿ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الحجر].

وقال تعالى: ﴿ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ﴾ [ص: ٦٤].

وقال عز وجل: ﴿ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا ﴾ [طه: ٦٤].

توضيح لعروض الضمة في الأفعال السابقة:

اقضوا ← أصلها: اقضيوا.

ابنوا ← أصلها: ابنيوا.

امضوا ← أصلها: امضيوا.

امشوا ← أصلها: امشيوا.

ائتوا ← أصلها: ائتيوا.

لاحظ معي ـ عزيزي القارىء ـ أن كل فعل من الأفعال السابقة هو فعل أمر، من فعل ثلاثي معتل الآخر بالألف المنقلبة عن ياء؛ فالأصل فيها:

قضى ← يقضي ← اقضِ.

بنى ← يبني ← ابنِ.

مضى ← يمضي ← امضِ.

مشى ← يمشي ← امشِ.

أتى ← يأتي ← إيْتِ.

وفي حال الأمر الموجه إلى الاثنين نقول: (اقضيا، وابنيا، وامضيا، وامشيا، وأتيا).

كل ذلك بكسر عين الفعل؛ دلالة على حرف العلة المحذوف (وهو الياء) بسبب أن فعل الأمر معتل الآخر يبنى على حذف حرف العلة.

وحين اتصلت واو الجماعة بتلك الأفعال.. صارت: [اقضِيُوا، وابْنِيُوا، وامْضِيُوا، وامْشِيُوا، وائتيوا]. فالياء في الأفعال السابقة مضمومة،

رفع المسهم

ثم نقلت حركتها إلى الحرف الذي قبلها بعد تقدير سلب حركتها، فصار الحرف قبلها مضمومًا وبقيت الياء في تلك الأفعال ساكنة، ونتج عن ذلك التقاء هذا الساكن مع سكون الواو، وللتخلص من هذا الالتقاء حذفت الياء، ومن ذلك يتضح عروض الضمة وليس أصالتها في هذه الأفعال.

ومثال هذه الأفعال في غير القرآن الكريم قولنا: (ارمُوا) من الفعل الماضي (رمى) ومضارعه (يرمي)، فحركة الضمة في الميم حركة بناء عارضة؛ لاتصال الفعل بواو الجماعة، والأصل (ارميوا).

وإذا سأل سائل لماذا تكسر الهمزة الوصلية إذا كان ثالث الفعل مكسورًا، فإن الجواب هو أن الكسر إنما لمناسبة الثالث المكسور، وأما سبب كسر الهمزة في حال فتح الثالث من الكلمة، فإن ذلك قياسًا على الكسر، ومن ناحية أخرى لمنع الالتباس بالفعل المضارع في نحو قولك (أجعلُ) إذا وقفت عليه بالسكون، كذلك حتى لا يختلط الأمر بهمزة القطع التي تأتي غالبًا مفتوحة، فكان لا بد من التفريق بين الهمزتين.

(ب) البدء بحركة الضم في همزة الوصل:

إذا نظرنا إلى الكلمة فوجدنا ثالثها مضمومًا ضمًّا لازمًا، أي أصليًّا، فالبدء يكون بضم الهمزة الوصلية نحو: (أتْلُ) (انظُر) (اضطر) (استُهزِىء) (اجتثت).

كما تضم الهمزة الوصلية إذا كانت الكسرة في ثالث الكلمة عارضة وليست لازمة وأصلية، كما ورد في مثال: (اغزي يا هند).

والسبب في ضم الهمزة لمناسبتها للحرف الثالث المضموم وكراهة الانتقال من الكسر إلى الضم في الكلمة الواحدة.

رفع المسـاهم

ثانيًا: في الأسماء:

حركة همزة الوصل في الأسماء العشرة التي ورد سبعة منها في القرآن الكريم كما سبق توضيحه هي الكسر وجوبًا، وكما هو معروف فإن تلك الأسماء سماعية، وأما الأسماء القياسية وهي المصادر من الماضي الخماسي، والماضي السداسي، فحركتها الكسر وجوبًا كذلك.

وفيما يتعلق بالأسماء السماعية الأخرى، فإن حركتها الكسر سواء أكانت واردة في القرآن أم في غيره.

ثالثًا: في الحروف:

لا تأتي همزة الوصل في الحروف إلا في (أل) التعريف كما في الكلمات المعرّفة في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ ﴾ [الرحمن].

والهمزة الوصلية في (أل) التعريف قياسية، كذلك قد تأتي هذه الهمزة في (ايمن) أو (ايم) الله، حيث سمعت عن العرب فهي سماعية.

وحركة البدء بالكلمات المعرفة بـ (أل) الفتح وجوبًا، وعلى الأرجح في (ايم) الله كما أشرت سابقًا.

وقد عبر الإمام ابن الجزري عن أحوال حركة همزة الوصل في الأفعال والأسماء والحروف في جزريته بقوله:

وابدأ بهمز الوصل من فعل بضم ... إن كان ثالث من الفعل يُضمّ
واكسره حال الكسر والفتح وفي ... الأسماء غير اللام كسرها وفي
ابن مع ابنة امرىء واثنين ... وامرأة واسم مع اثنتين

رفع المسار

البدء بحركة همزة الوصل في الأفعال(١)

الكسر

شروطه

١- أن يكون الحرف الثالث من الكلمة مفتوحًا .

٢- أن يكون الحرف الثالث من الكلمة مكسورًا كسرًا أصليًا .

٣- أن يكون الحرف الثالث مضمومًا ضمًا عارضًا .

الضم

شروطه

١- أن يكون الحرف الثالث من الكلمة مضمومًا ضمًا لازمًا أو أصليًا .

٢- أن يكون الحرف الثالث من الكلمة مكسورًا كسرًا عارضًا.

وقفة عند (أل) التعريف

* إذا ذكرت (أل) مستقلة بنفسها كما في العنوان، حيث إنها لم تتصل باسم بعدها، فإن همزتها همزة قطع يجب أن تظهر نطقًا وكتابة، لماذا؟

لأن كلمة (أل) في هذه الحالة تكون علمًا على هذا اللفظ المعين المحدد، وهمزة العَلَم همزة قطع على الأرجح عند النحاة(٢).

وإذا ذكرت (أل) في كلامٍ مطلقةً دون تحديد نوعها، أهي للتعريف أم موصولة أم زائدة، فإن ذلك يعني أنها (أل) التي تفيد التعريف .

(١) ننظر إلى الحرف الثالث من الفعل باعتبار الهمزة أول حرف فيه .

(٢) النحو الوافي، الجزء الأول ــ ص٤٢١ .

وقد اختلف النحاة القدماء في (أل) هذه، أهي كلها التي تعرِّف؟ أم اللام وحدها؟ أم الهمزة وحدها؟

والرأي المشهور أنهما معًا، أي الهمزة واللام، فإن شئت قلت إن (أل) للتعريف مركبة من الهمزة واللام، أو يمكنك القول إن التعريف باللام، والهمزة للوصل[١].

* والحرف (أل) للتعريف: أنواع:

ـ (أل) العهدية.

ـ (أل) الجنسية.

ـ (أل) الزائدة.

والأولى (العهدية) ثلاثة أقسام:

١ ـ **العهد الذِّكري**، أي التعريف الذكري، ومعناه أن نذكر اسمًا ليس فيه (أل) ثم نذكره مرة ثانية معرفًا بـ (أل) كما في قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ [المزمل: ١٥ ـ ١٦]. فكلمة (الرسول) معرفة؛ لأنها صارت معهودة في الذكر السابق، أي معلومة الدلالة؛ لذكر لفظها سابقًا في الآية.

٢ ـ **العهد العِلمي أو الذهني**: وفيه يتم تعريف الكلمة التي تكون أساسًا في علم السامع سابقًا وفي زمن انتهى، وليس في ألفاظ مذكورة في الكلام الحالي، ومثال ذلك عندما تسأل أحد زملائك: ما أخبار الجامعة؟ أي الجامعة المعهودة والمعلومة لكما من قبل.

(١) النحو الوافي، الجزء الأول ـ ص٤٢٢.

رفع المسابهم

٣ ـ **العهد الحضوري**: ويعني تعريف كلمة نكرة حال حصول مدلولها، وأكثر ما يحدث هذا العهد الحضوري في صدر الكلمات بعد اسم الإشارة مثلاً، نحو: (جاءنا هذا الرجل)، أو بعد (أي) في أسلوب النداء نحو: (يأيها الرجل)، أو عندما نقول: اليوم يحضر والدي، أو نقول: البرد شديد الليلة.

والثانية (أل) الجنسية:

التي تدخل على نكرة فتفيد معنى الجنس المحض من غير أن تفيد العهد، ومثالها: (النجم مضيء بذاته) و (الكوكب يستمد الضوء من غيره).. فكلمة (النجم) وكلمة (الكوكب) معارف بسبب دخول (أل) عليها، وكانت قبل ذلك مبهمة غير واضحة، والنكرة هنا تشبه اسم الجنس(١) لا تدلّ على واحد معين، وليس في الكلام ما يدل على العهد بها من قبل، وإنما تدل على استغراق الأفراد أو خصائصهم أو ماهيتهم، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء]، أي خلق كل إنسان ضعيفًا.

وهناك نوع ثالث للحرف (أل) وهي (أل) الزائدة:

وهي زائدة تدخل على المعرفة أو النكرة، فلا تغير في التعريف أو التنكير شيئًا، ومثالها في المعرفة عند دخولها على العلم كقولك: (المأمون، الرشيد، العباس)؛ فهذه الأسماء معارف قبل دخول (أل) عليها، ولمّا دخلتْ عليها لم تضف إليها تعريفًا جديدًا، ومثال دخولها على النكرة ما يقال عند العرب: (ادخلوا الأول فالأول).. فكلمة (أول)

(١) اسم الجنس هو اسم للمعنى الذهني المجرد مثل: (شجرة، إنسان، معدن)، ويستغرق أفراد الجنس، ولا يدل على واحد دون غيره من أفراد جنسه.

نكرة لأنها حال، ولم تخرجها (أل) عن هذا التنكير[١].

و (أل) الزائدة قد تكون لازمة لا تفارق الكلمة بأي حال من الأحوال، ومن ذلك:

عندما تقترن ببعض الأعلام منذ استعماله عَلَمًا، فلم يوجد في اللغة خاليًا منها منذ استخدامه، وتستمر مقترنة به مطلقًا برغم أنها زائدة، نحو عدد من الأعلام المسموعة عن العرب: اللات، والعزى، واليسع، والسَّمَوْءَل.

٢ ــ في بعض الظروف المبدوءة بـ (أل) مثل: الآنَ، للزمن الحاضر.

٣ ــ بعض الأسماء الموصولة المصدرة بها، مثل: التي، الذي، الذين، اللاتي. [وهي مما لا يصح تجريد الكلمة منها]، بخلاف الكلمات المعرَّفة التي تأتي نكرة قبل دخول (أل) عليها.

ويرى بعض النحْويين أنَّ همزة (أل) كانت همزة قطع، ومع الاستعمال صارت همزة وصل.

والخلاصة التي يمكن للقارىء أن يتوصل إليها بعد الحديث عن (أل) التعريف أنها تتكوَّن من:

(١) همزة وصل.

(٢) لام ساكنة زائدة عن بنية الكلمة.

والقول بأن لام (أل) التعريف زائدة عن بنية الكلمة يلفت انتباهنا إلى تلك اللام التي تأتي في بنية الكلمة، وهي مسبوقة بهمزة قطع مفتوحة وصلاً وابتداءً، ولا يصحّ تجريد الكلمة منها؛ لأنها من أصول الكلمة، ومثالها: ألسنة، ألوان، ألفاف، ألهاكم، ألهمها.. وغيرها من أسماء وأفعال.

---

(١) النحو الوافي، الجزء الأول ــ ص٤٢٩.

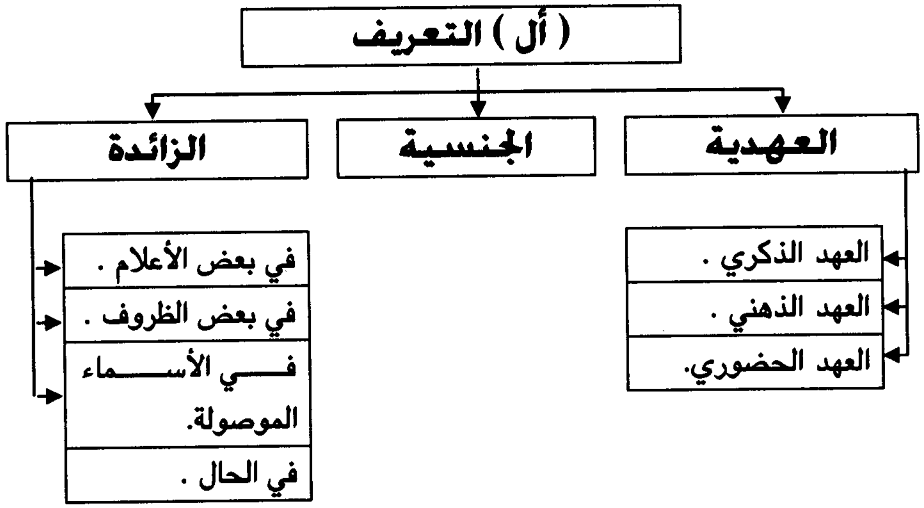

حكم لام التعريف في (أل) التعريفية :

علماء التجويد يسمونها لام (أل)، وهي تسبق الحروف الهجائية كلها بشكل عام، إلاَّ حروف المد فلا تقع اللام قبلها بحال من الأحوال لأن في ذلك التقاء الساكنين على غير حده[(١)].

ولهذه اللام حالتان :

(١) الإظهار .

(٢) الإدغام .

حالة الإظهار :

وإظهار اللام يعني النطق بها واضحة، وذلك إذا جاء بعدها أحد الحروف التالية[(٢)]: [الهمزة والباء والغين والحاء والجيم والكاف والواو

(١) هداية القاري ــ ص٢٠٢ .

(٢) وتسمى الحروف القمرية .

والخاء والفاء والعين والقاف والياء والميم والهاء]، ويجمعها قول علماء التجويد: (ابغِ حجّك وخفْ عقيمه).

وهذا الإظهار يسمى إظهارًا قمريًا، وتسمى هذه اللام في هذه المواضع لامًا قمرية، قياسًا على ظهورها في لفظ كلمة (القمر)، ومن ثَمَّ غلبت هذه التسمية على كل اسم يماثله في ذلك[١].

وقد أحصى الشيخ المرصفي أمثلة من الحروف القمرية جميعها، وجاءت كلها من أسماء الله الحسنى الواردة في القرآن الكريم. ويمكن للقارىء أن يتأمل الآيتين (٢٣ ــ ٢٤) من سورة الحشر ليجد فيهما هذه الأسماء التي تبدأ بلام قمرية وهي: الملك، القدوس، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارىء، المصور، الحكيم.

وإذا قيل: لماذا الإظهار؟ فإن السبب أو الوجه هو التباعد، أي بُعد مخرج اللام عن مخرج الحروف القمرية كما يسميها بعض اللغويين.

حالة الإدغام:

وذلك مع حروف الهجاء الباقية بعد حروف الإظهار التي ذكرت سابقًا: [الطاء، والثاء، والصاد، والراء، والتاء، والضاد، والذال، والنون، والدال، والسين، والظاء، والزاي، والشين، واللام][٢]، وهي مجموعة في أوائل كلمات هذا البيت:

طِبْ ثم صِلْ رحمًا تفزْ ضِفْ ذا نِعم ... دعْ سوءَ ظن زُرْ شريفًا للكرم

(١) هداية القاري ــ ص٢٠٢.

(٢) وتسمى الحروف الشمسية.

ويسمَّى الإدغام إدغامًا شمسيًا، كما تسمَّى اللام حينئذ لامًا شمسية: لأنها لا تظهر عند النطق بها في كلمة (الشمس)، وغلبت هذه الشمسية على كل اسم يماثله في الإدغام هذا[١].

والسبب في هذا الإدغام أو وجه الإدغام كما يقول علماء التجويد، التماثل أو التجانس أو التقارب، وذلك حسب مذاهب العلماء في المخارج.

والأمثلة على اللام الشمسية في تلك الحروف كثيرة لا يمكن حصرها، ويكفي أن تنظر في آيات سورة الفاتحة، لتجد فيها سبع كلمات وهي: (الله، الرحمن، الرحيم، الدين، الصراط، الذين، الضالين)، كلها مما يجب فيها إدغام اللام في الحرف الهجائي الذي يليها.

فـوائـد:

١ ــ علامة اللام القمرية السكون على اللام نفسها، وعلامة اللام الشمسية الشدّة على الحرف الذي يليها، وهو الحرف الذي أدغمت فيه اللام.

٢ ــ عند إدغام اللام الشمسية في الحروف بعدها فليس في الإدغام غنة إلاَّ مع حرف النون فقط، مثل: النعيم، النجم، النار، وبقية الحروف ليس فيها غنة. ومقدار الغنة حركتان كما هو معروف[٢].

٣ ــ لام (أل) ساكنة كما هو معروف، وهي على هذا لا تأتي قبل الألف؛ لأن الألف ساكنة وما قبلها مفتوح دائمًا، وإذا التقى ساكنان فلا بد من التخلص بتحريك أحدهما، ولا يمكن هذا في هذا الموضع، وعليه فإنه إذا دخلت (أل) على اسم مبدوء بهمزة وصل كُسرت لالتقاء الساكنين.

---

(١) هداية القاري ــ ص٢٠٣.

(٢) بغية المريد من أحكام التجويد ــ ص١٧٣.

رفع المسيهم

ومثال ذلك كلمة (اسم)، تقول فيه: الِاسم، ومثله: استغفار، انطلاق.. وغيره، قال الطيبي في منظومته:

ولم تقع ذي اللام من قبل الألف   وقبل همز الوصل كسرها عرف[١]

٤ ـ لفظ الجلالة (الله) اللام فيه شمسية، وهي لا يمكن تجريد الاسم منها بأي حال، وتذكر المراجع أن الأصل في لفظ الجلالة (إله) فأُسقطت الهمزة، وأُدخلت عليه لام التعريف، ومن ثم التقت لام التعريف باللام بعدها، فأُدغمت الأولى في الثانية لتماثلهما. فصارت الكلمة (الله)، كما حدث في كلمة (الليل)، وقد أشار أحدهم إلى هذا التصريف قائلاً:

والاسم ذو التقديس هو الله   على الأصح أصله إله
أسقط منه الهمز ثم أبدلا   بأل التعريفِ لذاك جعلا[٢]

التقاء الهمزتين

الهمزتان هما: همزة القطع وهمزة الوصل.

ولا يخلو الكلام من التقاء الهمزتين في كلمة أو كلمتين.

وقبل الدخول في الكلام عن التقاء هاتين الهمزتين، أرى من الأهمية الإشارة إلى بعض المصطلحات باعتبارها مدخلاً لهذا الجزء من الحديث.

(١) بغية المريد من أحكام التجويد ـ ص١٧٥.

(٢) هداية القاري ـ ص٢٠٥.

المسـهم

والمصطلحات التي تهمّ القارىء على النحو التالي:

١ ــ **تحقيق الهمزة**: ويسمَّى أيضًا النبر[١]، أي نطق الهمزة كما هي من غير تغيير فيها.

٢ ــ **تخفيف الهمزة**: **وقد يشمل حذفها كما في قولهم**: مسألة← مَسَلَة.

أو قلبها إلى حرف آخر كما في قولهم:

مؤمن ← مومن[٢]، وهو من باب التسهيل في النطق.

٣ ــ تسهيل الهمزة: ويعني نطقها بين بين، أي بين الهمزة والألف مع القصر، أي عدم المد مطلقًا.

٤ ــ **إبدال الهمزة** حرفًا من جنس حركة ما قبلها مع المد الطويل أو المشبع حتى لا يلتقي ساكنان، وهذا أيضًا من باب التسهيل.

أحكام في اجتماع الهمزتين

يعلم الجميع أنَّ الهمزة مفردة في ابتداء الكلام حكمها التحقيق باتفاق اللغويين وعلماء التجويد، وهذه قاعدة عامة ومعروفة.

وفي حدود ما أُتيح لي الاطِّلاع عليه مِن مراجع استطعت الإلمام بهذا الموضوع، وحاولت جاهدة تقديمه مبلورًا في شكل مخطط يلخص أحكام التقاء الهمزتين، وصور هذا الالتقاء، (انظر شكل التقاء الهمزتين الآتي ص ٢١٢)، ويتلخَّص في الجوانب التالية:

---

(١) النبر يعني أيضًا في موضع آخر النشاط الفجائي الذي يعتري أعضاء النطق في أثناء التلفظ بمقطعٍ من المقاطع الكلامية، والذي يؤدي إلى زيادة في مقطع من الشدة، أو المدة مثلاً.

(٢) المحيط في أصوات العربية، الجزء الأول ــ ص٨٤ ــ ٨٥.

رفع المسهم

الهمزتان المجتمعتان في كلمتين

وهما نوعان: متفقتان أو مختلفتان.

* المتفقتان:

تتّفقان في الفتح أو في الكسر أو في الضم، وقد أشار إلى هذا الجانب ابن الجزري في تقريب النشر، في باب الهمزتين المجتمعتين من كلمتين(١).

ومثال على اتّفاق الهمزتين في الفتح: ﴿جَآءَ أَحَدَكُمُ﴾، و﴿جَآءَ ءَالَ لُوطٍ﴾، و ﴿ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾.

ومثال على اتّفاقهما في الكسر: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ﴾، و ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن﴾، و ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ﴾.

ومثال على اتّفاقهما في الضم: ﴿أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ﴾.

وحكم هذا الاجتماع عند حفص التحقيق.

* المختلفتان:

كأن تكون الأولى مفتوحة والثانية مكسورة، نحو: ﴿ٱلدُّعَآءَ إِذَا﴾، و ﴿ٱلْمَآءَ إِلَى﴾، أو تكون الأولى مفتوحة والثانية مضمومة ﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً﴾، أو مكسورة ومفتوحة، مثل: ﴿مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ﴾، و﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ﴾.

والحكم هنا التحقيق أيضًا عند حفص.

والملاحظ فيما سبق أن الهمزتين المجتمعتين في كلمتين إنما هما قطعيتان.

---

(١) تقريب النشر في القراءات العشر ــ ص٢٨ ــ ٢٩.

رفع المسهم

الهمزتان المجتمعتان في كلمة

أوّلاً: اجتماع همزتين قطعيتين في كلمة:

الهمزة الأولى لا تكون إلاَّ مفتوحة، أما الثانية فقد تكون مفتوحة أو مكسورة أو مضمومة. ويشير ابن الجزري في تقريب النشر إلى ثلاثة أنواع من هذا الالتقاء بين همزتين قطعيتين في كلمة واحدة، وهذه الأنواع هي:

١ ــ المفتوحتان، نحو: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾، ﴿ءَأَنتُمْ﴾، ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾، ﴿ءَأَسْجُدُ﴾، وحكمهما التحقيق عند حفص، وعند آخرين تسهيل الثانية.

٢ ــ الأولى مفتوحة والثانية مكسورة، نحو: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ﴾، ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾، ﴿أَءِذَا مِتْنَا﴾، ﴿أَئِنَّا﴾، ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً﴾.

والحكم التحقيق عند حفص، والتسهيل عند آخرين.

٣ ــ الأولى مفتوحة والثانية مضمومة، نحو: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم﴾، ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾، ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ﴾. وحكمهما التحقيق أيضًا عند حفص(١).

والملاحظة الجديرة بالتذكير والعناية: أنَّ همزة القطع حكمها التحقيق دائمًا حيث وقعت، وإذا اجتمعت قطعيتان، فالأولى لا تكون إلا همزة استفهام، نحو قوله تعالى: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ [البقرة: ٦]، وقوله تعالى: ﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾ [يوسف: ٩٠].

(١) تقريب النشر ــ ص٢٣ ــ ٢٧.

رفع المسهم

وقفة عند كلمة ﴿ءَاْعْجَمِيٌّ﴾:

كلمة ﴿ءَاْعْجَمِيٌّ﴾، في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ [فصلت: ٤٤]، همزتها الأولى قطعية استفهامية مفتوحة، والثانية قطعية مفتوحة من أصول الكلمة، قرأها حفص بتسهيل الهمزة الثانية بين بين، أي بين الهمزة والألف وجهًا واحدًا بجميع طرقه، وعلامة هذا التسهيل في المصحف الشريف وضع نقطة مطموسة الوسط فوق الهمزة الثانية كما قرره علماء الضبط.

وكيفية أداء هذا التسهيل يعتمد على المشافهة والسماع من أفواه الشيوخ المتقنين الآخذين ذلك عن أمثالهم[1].

وهذا يذكرنا بالركن الأساسي من أركان التجويد وهو الأخذ من أفواه المشايخ والتعلم منهم، وبخاصة في مثل هذه الأحكام التي لا يمكن ضبطها وإتقانها إلاّ بالسماع والمران على أيدي المقرئين المتقنين، ومهما يقرأ طالب التجويد في بطون الكتب ويحفظ من قواعد، فإنه يبقى أبدًا بحاجة إلى الرجوع إلى الشيوخ المتقنين والسماع منهم؛ حتى يتحقق له الإتقان المطلوب.

وقد يكون السبب في قراءة ﴿ءَاْعْجَمِيٌّ﴾ بالتسهيل في الهمزة الثانية: صعوبة النطق بهمزتين محققتين مع وجود حرف ثالث بعدهما مباشرة، وهو (ع) مقارب للهمزة في المخرج، وذلك بالنظر إلى كون الهمزة من الحروف التي تتطلب من القارىء عناية في إخراجها، وإعطائها صفاتها.

---

(١) هداية القاري ــ ص٥٨٣.

وقد وردت همزتان مجتمعتان في كلمة واحدة، وهما قطعيتان، ولكن الأولى ليست استفهامية كما هي دائمًا، وإنما هي من أصول الكلمة، وهي ﴿أَئِمَّةَ﴾ جمع (إمام) بمعنى إمام الصلاة، أو القائد أو الخليفة ـ أو بمعنى القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس].

والهمزتان في هذه الكلمة حكمهما التحقيق بالطبع، وقد وردت في خمسة مواضع في القرآن الكريم وهي:

* في قوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾﴾ [التوبة].
* وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٣].
* وقوله تعالى: ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾﴾ [القصص: ٥].
* وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [القصص: ٤١].
* وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ﴾ [السجدة: ٢٤].

ثانيًا: اجتماع همزة قطع وهمزة وصل في كلمة:

الحالة الأولى: في الأفعال:

الهمزة الأولى لن تكون إلا استفهامية، وإذا اجتمعت مع همزة وصل في كلمة وجب حذف همزة الوصل؛ لعدم الحاجة إليها، لانتفاء الغرض منها

رفع المسهم

وهو التوصل إلى النطق بالحرف الساكن، والذي تحقق بدخول همزة الاستفهام على الكلمة[١].

وعليه تحذف همزة الوصل وتبقى همزة القطع مفتوحة، وذلك إذا كانت همزة الوصل مكسورة عند الابتداء بها، وفي ذلك سبعة مواضع في القرآن الكريم وهي:

* ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ﴾ [البقرة: ٨٠].
* ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾ [مريم].
* ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ [سبأ: ٨].
* ﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الصافات].
* ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾﴾ [ص].
* ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [ص: ٧٥].
* ﴿أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [المنافقون: ٦].

وتفسير حذف همزة الوصل في تلك الأفعال: أنَّ الأصل فيها: (أاِتخذتم، أاِطلع، أاِفترى، أاِصطفى، أاِتخذناهم، أاِستغفرت)، وفيها همزتان: الأولى قطعية استفهامية مفتوحة، والثانية وصلية مكسورة، فحذفت همزة الوصل لعدم الحاجة إليها، لأنها إنما أُتي بها للتوصل إلى النطق بالساكن من الأفعال السابقة، وقد انتفت الحاجة هذه عند دخول همزة الاستفهام المفتوحة. كذلك فإنها إنما حذفت لأنها تحذف في الوصل كما هو معلوم، وتثبت في الابتداء، وقد جاءت هنا في الوصل، كما أن حذفها

(١) بهجة النفوس في تجويد كلام القدوس، الجزء الثاني ــ ص٣٨٣.

لا يترتب عليه التباس بين الاستفهام والخبر عند القارىء، لاختلاف حركة الهمزتين، فالهمزة الأولى القطعية مفتوحة، والثانية الوصلية مكسورة عند الابتداء بها.

الحالة الثانية: في الأسماء:

عندما تكون الهمزة الأولى القطعية الاستفهامية مفتوحة، والهمزة الثانية وصلية ولكنها مفتوحة عند البدء بها، ولا تأتي كذلك إلا في (أل) للتعريف، أي في الاسم المحلى بأل التعريف.

وفي هذه الحالة لا يجوز حذفها؛ حتى لا يلتبس الاستفهام بالخبر فيتغير المعنى، ولذلك جاز فيها وجهان، وكلاهما من باب التسهيل.

الأول: إبدال همزة الوصل ألفًا مع المد الطويل.. وذلك حتى لا يلتقي ساكنان: (سكون اللام، وسكون الألف).

الثاني: تسهيل الهمزة الثانية الوصلية، أي النطق بها بين بين، أي بين الهمزة والألف مع القصر، أي عدم المد مطلقًا، وذلك باتفاق القراء. يقول ابن الجزري: «وإذا دخلت همزة الاستفهام على همزة وصل مفتوحة فإن القراء اتفقوا على تسهيل همزة الوصل، وذلك في ثلاث كلمات أتت في ستة مواضع...»[(١)].

وقد اختلف القراء في كيفية التسهيل، فمنهم من أبدلها ألفًا مع المد الطويل لالتقاء الساكنين، وآخرون جعلوها بين بين.

---

(١) تقريب النشر ــ ص٢٧.

والوجهان صحيحان ومقروء بهما، ولكن وجه الإبدال هو المقدم في الأداء[١].

والمواضع الستة المتفق عليها وقعت في ثلاث كلمات، وهي على النحو التالي:

١ ـ كلمة ﴿ءَآلذَّكَرَيۡنِ﴾ في موضعي الأنعام:

في قوله تعالى: ﴿قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣].

٢ ـ ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ﴾ في موضعي يونس:

في قوله تعالى: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ۝٥١﴾ [يونس].

وقوله تعالى: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٩١﴾ [يونس].

٣ ـ ﴿ءَآللَّهُ﴾ وذلك في قوله تعالى: ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ ۝٥٩﴾ [يونس].

وقوله تعالى: ﴿ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٥٩﴾ [النمل].

وقد ذكرت المراجع ما نظمه الطيبي في مواضع همزة الوصل حذفًا وثبوتًا هذه الأبيات:

وهمزُ وصلٍ إنْ عليه دخلا ... همزةُ الاستفهام أَبْدل سهِّلا

إن كان همزُ ال وإلا فاحذفا ... كاتخذتم افترى واصطفى[٢]

---

(١) هداية القارئ ـ ص٥٠٩.

(٢) نهاية القول المفيد ـ ص١٨٩.

والسبب في إثبات همزة الوصل وعدم حذفها في الأسماء التي عُرِّفت بأل أن حذفها يؤدي إلى الالتباس بين الاستفهام والخبر؛ لاتفاق حركتهما، كذلك فإن إثباتها يؤدي إلى النطق بهمزة الوصل في الدرج أو الوصل وهذا من اللحن، ولذلك اتفق على الإبدال أو التسهيل.

والإبدال أولى ومقدم في الأداء.. لماذا؟ لأنَّ التسهيل فيه شيء من التحقيق، أمَّا الإبدال فهو أقرب إلى الحذف.

وقد نظم النحوي الكبير ابن مالك مواضع همزة الوصل وقواعدها في أبيات فيها كثير من الضبط والوضوح، لا بأس من ذكرها:

للوصل همزٌ سابقٌ لا يثبتُ ... إلا إذا ابتدي به كاستثبتوا
وهو لفعلٍ ماضٍ احتوى على ... أكثر من أربعةٍ نحو انجلى
والأمر والمصدر منه وكذا ... أمر الثلاثي كاخش وامضِ وانفُذا
وفي اسم است ابن ابنم سُمعْ ... واثنين وامرىء وتأنيث تبعْ
وايمن همز أل كذا ويبدلُ ... مدًّا في الاستفهام أو يسهَّلُ(١)

ملاحظة: الوقف على كلمة ﴿بِئۡسَ﴾ لاختبارٍ أو لاضطرارٍ:

قال الله تعالى في سورة الحجرات: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾ [الحجرات: ١١].

إذا وقف القارىء على لفظ ﴿بِئۡسَ﴾ في اختبارٍ، أو لاضطرارٍ، وأراد البدء بالكلمة بعدها وهي ﴿ٱلِٱسۡمُ﴾، فله وجهان:

(١) الفريد في فن التجويد، الجزء الثالث ــ ص٦١.

الأوَّل: الابتداء بهمزة الوصل مفتوحة وكسر اللام بعدها ﴿ٱلِاسْمُ﴾؛ وذلك بسبب أن الابتداء بهمزة الوصل في (أل) بالفتح، وتم تحريك اللام بالكسر للتخلص من التقاء الساكنين وهما: (اللام) و (السين)، فالهمزة في (اسم) وصلية تحذف في الدرج.

الثاني: الابتداء بلام مكسورة من غير همزة وصل قبلها؛ لأنَّ القارىء إذا نظر إلى حركة اللام بالكسر وهي التي أتى بها للتخلص من التقاء الساكنين واعتد بها، حينئذ لا داعي إلى البدء بالهمزة الوصلية لأنها إنما تأتي للتوصل إلى النطق بالحرف الساكن (وهو هنا اللام)، ولما تحركت اللام بالكسر فلا حاجة إذن لهمزة الوصل في البداية، فيقول القارىء: (لِاسم)(١).

وقد أشار الشيخ المرصفي إلى أن بعض القراء المبتدئين يخفى عليه هذا الحكم وصلاً أو ابتداء، فيقرأ بسكون اللام وبقطع همزة (اسم) همزة وصل. وهو خطأ كبير لم يقل به أحد من القراء؛ وذلك لأن همزة (اسم) همزة وصل(٢).

وأهم من ذلك كله أن الوجهين كليهما جائز ومقروء به، وهما وجهان صحيحان وردا عن القراء العشرة ابتداء، والوجه الأول هو الأولى والمقدم في الأداء، وذلك اتباعًا لرسم المصحف الشريف(٣).

---

(١) غاية المريد في علم التجويد ــ ص٢٨٧.

(٢) هداية القارىء ــ ص٥١١.

(٣) المصدر السابق ــ ص٥١٠.

رفع المسلم

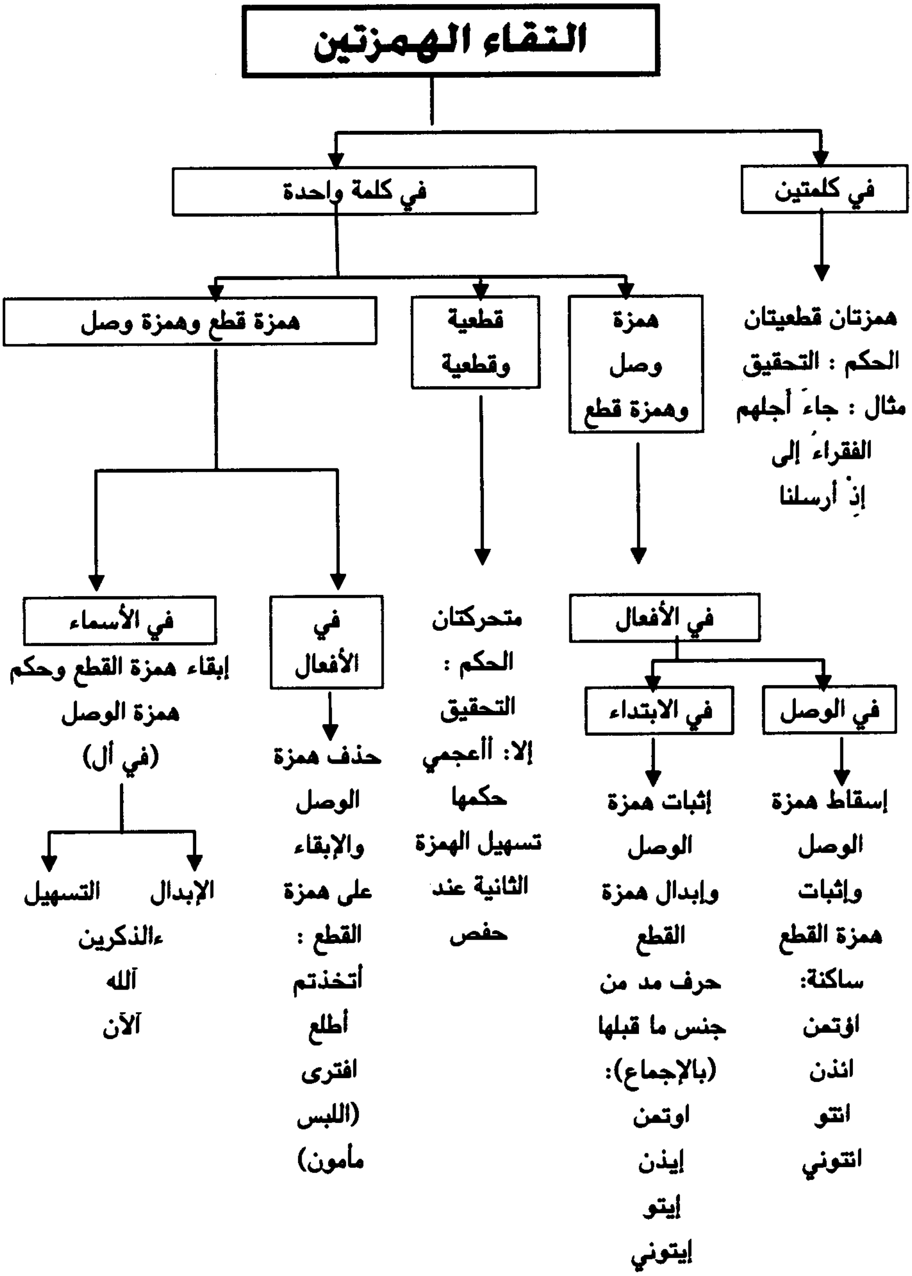
التقاء الهمزتين
في كلمتين
همزتان قطعيتان
الحكم : التحقيق
مثال : جاءَ أجلهم
الفقراءُ إلى
إذْ أرسلنا
في كلمة واحدة
همزة وصل وهمزة قطع
في الأفعال
في الوصل
إسقاط همزة الوصل وإثبات همزة القطع ساكنة:
اؤتمن
ائذن
ائتو
ائتوني
في الابتداء
إثبات همزة الوصل وإبدال همزة القطع حرف مد من جنس ما قبلها (بالإجماع):
اوتمن
إيذن
إيتو
إيتوني
قطعية وقطعية
متحركتان
الحكم : التحقيق
إلا: ءأعجمي حكمها تسهيل الهمزة الثانية عند حفص
همزة قطع وهمزة وصل
في الأفعال
حذف همزة الوصل والإبقاء على همزة القطع :
أتخذتم
أطلع
افترى
(اللبس مأمون)
في الأسماء
إبقاء همزة القطع وحكم همزة الوصل (في أل)
الإبدال
التسهيل
ءالذكرين
آلله
آلآن

ثالثًا: اجتماع همزة وصل وهمزة قطع:

وهذا لا يقع إلا في الأفعال، فتأمّل الآيات التالية:

* قال تعالى: ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٣].
* وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ﴾ [التوبة: ٤٩].
* وقال تعالى: ﴿ثُمَّ ائْتُوا۟ صَفًّا﴾ [طه: ٦٤].
* وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ [الأعراف: ٧٧].
* وقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى السَّمَٰوَٰتِ ائْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ﴾ [الأحقاف: ٤].

فالأفعال الواردة في الآيات السابقة هي:

[اؤتمن، ائذن، ائتوا، ائتنا، ائتوني].

* اؤتمن ← فعل ماض خماسي مبني للمجهول، (همزته همزة وصل).
* ائذن← فعل أمر من الفعل الماضي الثلاثي (أذِنَ) وهمزته همزة وصل.
* ائتوا ← فعل أمر من الفعل الماضي الثلاثي (أتى).
* ائتنا ← فعل أمر من الفعل الثلاثي (أتى).
* ائتوني ← فعل أمر من الفعل الماضي الثلاثي (أتى).

ومثل هذه الأفعال لها حالتان(١)، بسبب تقدم همزة الوصل على همزة القطع، والتفصيل على النحو التالي:

الحالة الأولى في الوصل:

عند وصل الكلمات السابقة بما قبلها تسقط همزة الوصل (وذلك

(١) هداية القاري ــ ص٥٠٥ ــ ٥٠٦.

بحسب القاعدة المعروفة أنها تسقط في الدرج)، وتثبت همزة القطع ساكنة، نحو: ﴿ٱلَّذِى ٱؤۡتُمِنَ﴾ عند وصل ﴿ٱلَّذِى﴾ بلفظ ﴿ٱؤۡتُمِنَ﴾. [وهنا يلاحظ القارىء حذف ياء ﴿ٱلَّذِى﴾ لالتقاء الساكنين].

الحالة الثانية في الابتداء:

عند الابتداء بكلمة من الكلمات السابقة، نحو الابتداء بكلمة (ائتنا) تثبت همزة الوصل، وتبدل همزة القطع الساكنة حرف مد من جنس حركة الحرف الذي قبلها، وذلك بالإجماع من جميع القراء. فتصبح ﴿ٱئۡتِنَا﴾ عند الابتداء بها (إيتنا)، ومثلها بقية الأفعال. أما الفعل (اؤتمن) فيكون البدء به بالضم (اوتمن) بإبدال الهمزة الوصلية (واوًا) من جنس الحركة قبلها.

ملاحظة:

حركة الابتداء بهمزة الوصل تتبع حركة الحرف الثالث من الفعل كما هو معروف، وعليه ينبغي الالتفات إلى الجوانب التالية:

١ ـ إذا كان ثالث الحرف مضمومًا ضمًّا لازمًا أصليًّا، فإن حركة الهمزة حينئذ تكون بالضم، كما في لفظ (اؤتمن)، وعليه تبدل همزة القطع الساكنة واوًا مدية من جنس الحركة التي قبلها وهي الضم.

٢ ـ إذا كان ثالث الفعل مفتوحًا كانت حركة الابتداء بهمزة الوصل بالكسر كما هو معروف، وعليه يكون الابتداء بكلمة (ائذن لي) بإبدال همزة القطع الساكنة ياء مدية لوقوعها بعد حركة الكسر.

٣ ـ إذا كان ثالث الفعل مضمومًا ضمًّا عارضًا، تأتي حركة الابتداء بهمزة الوصل مكسورة، على الأصل، لأن الضم عارض، كما سبق توضيح هذا الأمر في الحديث عن (ائتوا، ابنوا، امضوا...)، فالكلمة

(ائتوني) الضم في ثالثها عارض، ولذا لا تكون حركة الابتداء بالضم، وإنما تكون بالكسر، وعليه يتم إبدال همزة القطع الساكنة إلى ياء مدية لوقوعها بعد حركة الكسر وذلك باعتبار الأصل.

وقد لفت الشيخ المرصفي عناية القارىء إلى هذه الأمور؛ حتى لا يلجأ بعض القراء المبتدئين إلى تحقيق الهمزتين في تلك الأفعال في حالتي الوصل والابتداء؛ وذلك لأنه خطأ كبير وتحريف صريح وواضح لا يجوز في كتاب الله[1].

انتهى الكلام عن همزتي الوصل والقطع بحمد الله.

فصل عن الهمزة واستخداماتها في اللغة[2]

فائدة لغويّة:

ذكرت في الجزء السابق من هذا الفصل نوعين من أنواع الهمزة؛ ووقفت عندهما لأهميتهما بالنسبة لقارىء القرآن، وهما: همزتا الوصل والقطع.

أمّا هذا الجزء فقد رأيت أنه يمنح القارىء فائدة لغوية في بيان أنواع أخرى للهمزة، وأعني بها الهمزة الأصلية أو الفعلية وهي همزة القطع؛ ذلك أن همزة الوصل إنما هي سُلَّم اللسان كما سمَّاها الخليل بن أحمد، يتم التوصل عن طريقها للنطق بالحرف الساكن في أوائل الكلمات.

---

(١) هداية القاري ــ ص٥٠٦.

(٢) استعنت في إعداد هذا الجزء بعدة مراجع أهمها: «النحو الوافي» لعباس حسن، و «المحيط في أصوات العربية» للأنطاكي، و «موسوعة النحو والصرف والإعراب» (إميل يعقوب). مع الإتيان بأمثلة من القرآن ما أمكنني ذلك.

رفع المسيهم

فمن أنواع الهمزة التي يجدر بالقارىء معرفتها ما يلي:

أوَّلاً: الهمزة حرف استفهام:

حرف مبني على الفتح لا محلَّ له من الإعراب، وهي أصل أدوات الاستفهام، وقد انفردت بأحكام خُصَّت بها، كما أن لها الكثير من المعاني التي ينبغي تعرفها.

من معاني همزة الاستفهام:

١ ــ الاستفهام الحقيقي الذي يتطلب الإجابة عنه بجواب، نحو: (أجاء أبوك؟).

وينبغي ملاحظة أن الهمزة يمكن الاستفهام ــ أي: السؤال ــ بها عن واحد من شيئين أو أكثر، كما يستفهم بها عن مضمون جملة ما.

فنقول عند الاستفهام عن واحد من شيئين أو أكثر: (أبالشعر تعجبُ أم بالنثر؟) فالمسئول عنه يلي الهمزة، وتأتي بعدها (أم) المعادلة.

وإذا سألنا بالهمزة عن مضمون جملة فمثاله قولنا: (أتقدمُ شوقي على غيره من الشعراء؟)، وهذه جملة مثبتة.

أو تقول: (ألم تزرْ المتحف الوطني؟)، وهذه جملة منفية بـ (لم).

و: (أما زرتَ المتحف الوطني؟)، وهي جملة منفية بـ (ما).

أما الجواب على الاستفهام بالهمزة فيكون على النحو التالي:

* إذا كان السؤال لطلب تعيين أحد شيئين أو أكثر، فالجواب يكون بتعيين ذلك الشيء المستفهم عنه، فنقول في الإجابة: (أُعجَبُ بالشعر).

* إذا كان السؤال بالهمزة عن مضمون جملة مثبتة، فالجواب يكون بالحرف (نعم) للإثبات، وبالحرف (لا) للنفي، فنقول:

نعم، أقدم شوقي على غيره من الشعراء. (إثبات).

لا، لا أقدم شوقي على غيره من الشعراء. (نفي).

* وإذا كان السؤال عن مضمون جملة منفية، فإن الجواب يكون بالحرف (بلى) في حالة الإثبات، وبالحرف (نعم) في حالة النفي، فنقول:

بلى، زرتُ المتحف الوطني. (الإثبات).

نعم، لم أزر المتحف الوطني. (النفي).

بلى، زرت بيت القرآن. (إثبات).

نعم، ما زرت بيت القرآن. (نفي).

ومثال استخدام الحرف (بلى) للإثبات: قوله تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ [الحديد: ١٤].

فالسؤال: ألم نكن معكم؟ **والجواب:** بلى (والتقدير: كنتم معنا).

وقوله تعالى: ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾ [الملك].

وفي الآيات السابقة نجد السؤال والإجابة عنه.

٢ ـ وتخرج الهمزة عن الاستفهام الحقيقي إلى معان أخرى وهي:

(أ) التسوية: وذلك بعد كلمة (سواء) أو (ما أبالي) أو (سيان) أو (ليت شعري)، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ [البقرة]. والتقدير في هذه الآية: إنذارك وعدم إنذارك سواء. وهنا تبيَّن لنا أنه يجب تأويل ما بعدها بمصدر وهو (إنذارك).

ومثال آخر في قوله تعالى: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ [المنافقون: ٦].

(ب) **الإنكار الإبطالي**: وتفيد أن ما بعدها غير واقع، أي باطل، وذلك إذا حذف أو أزيل الاستفهام، نحو قوله تعالى: ﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ﴾ [الإسراء: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ [الصافات].

(ج) **الإنكار التوبيخي**: وهذه عكس السابقة، حيث تفيد أن ما بعدها واقع، وفاعله ملوم عليه ويستحق التوبيخ، نحو قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [الصافات].

وقوله تعالى: ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٤].

(د) **التقرير**: ويعني حمل المخاطب على الاعتراف والإقرار بأمر قد اتضح عند السائل وقوعه وثبوته أو عدم ثبوته، نحو قولك: (أضربت أخاك؟)، أو (أأخاك ضربت؟). حيث تقدم الشيء الذي تقرره بعد الهمزة مباشرة.

ومثاله قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ ﴾ [الشرح].

(هـ) **التهكم والسخرية**: نحو قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ ﴾ [هود: ٨٧].

(و) **الأمر**: نحو قوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ﴾ [آل عمران: ٢٠]. والهمزة هنا بمعنى أسلموا.

رفع المسهم

(ز) **التعجب**: نحو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١﴾ [الفيل].

(ح) **الاستبطاء**: نحو قوله تعالى: ﴿۞أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦].

ويلاحظ القارىء أن الاستفهام فيما سبق إنما هو لأغراض بلاغية أو أدبية، ولا يتطلَّب الإجابة عن السؤال، وإنما تفيد المعاني الموضحة سابقًا.

ثانيًا: الهمزة حرف نداء:

الهمزة حرف لنداء القريب، مبني على الفتح لا محل له من الإعراب، نحو قولك: (أزيدُ أسرعْ..).

ونحو قول الشاعر امرىء القيس:

أفاطمُ مهلاً بعض هذا التدلل   وإن كنتِ قد أزمعتِ صرمي فأجملي

بعض الأحكام التي تختص بها الهمزة

١ ـ **يجوز حذف الهمزة**:

سواء أتقدَّمت على (أم) أم لم تتقدَّم عليها، نحو قول الشاعر:

فوالله ما أدري وإن كنت داريًا   بسبعٍ رمين الجمر أم بثمان؟

أي: (أبسبع).

وقول الشاعر:

طربت وما شوقًا إلى البيض أطربُ   ولا لعبًا مني وذو الشيب يلعب؟

أي: (أذو الشيب يلعب؟).

٢ ـ الهمزة تدخل على الإثبات وعلى النفي:

ومثالها في النفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾ [الشرح]، والاستفهام هنا بمعنى التقرير، أي: قد شرحنا لك صدرك يا محمد بالهدى والإيمان.

٣ ـ الهمزة من بين أدوات الاستفهام الأخرى تتميز بأنها تتصدَّر الجملة، وتتقدَّم على حرف العطف: وذلك في الأمثلة التالية:

في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [يوسف: ١٠٩].

وقوله تعالى: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ﴾ [يونس: ٥١].

فالملاحظ أنها تقدمت على حروف العطف: الواو، والفاء، وثم.

أما غيرها من أدوات الاستفهام فهي تتأخر عن حروف العطف في نحو الأمثلة التالية:

قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٠١].

وقال تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [التكوير].

وقال تعالى: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ [الأنعام: ٨١].

فالملاحظ أن أدوات الاستفهام في الآيات السابقة: (كيف، أين، هل، أي)، تأخرت عن حروف العطف، في حين أن الهمزة كما سبق القول تتميز بأنها تتقدم على حروف العطف لأن لها الصدارة في الجملة.

❑ ❑ ❑

[٧]
الألف وصورها في اللغة

الألف حرف من الحروف المدِّيَّة، وهي مع أختيها الواو المدية والياء المدِّيَّة تسمَّى: الجوفيَّة أو الهوائيَّة.

يقول الإمام ابن الجزري:

فألف الجوف وأختاها وهي   حروف مد للهواء تنتهي

وتتميز الألف بأن ما قبلها مفتوح دائمًا.

وقد اختلف النحويون في الهمزة والألف كما أشرت في جزء سابق من هذا الفصل عند الحديث عن الهمزة، والمشهور أن الهمزة هي الحرف الأول من الحروف الهجائية، وأن الألف رمز إليها بالعلامة (ا)، ونظرًا لاستحالة البدء بها، أو نطقها منفردة ألصقت باللام وأصبحت (لا).

مواضع الألف:

والألف لها مواضع كثيرة في اللغة العربية، وهي على النحو التالي:

١ ــ **تأتي ضميرًا متصلاً في الأفعال**: مبنيًا على السكون في محل رفع فاعل في نحو قولك: (محمد وعلي حضرا)، وفي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾ [الكهف].

رفع المسيهم

وقوله تعالى: ﴿ وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ ﴾ [الأحقاف: ١٧].

وتأتي في محل رفع نائب فاعل في حال كون الفعل مبنيًا للمجهول، نحو قولك: (الفائزان كوفِئا).

٢ ـ **تأتي الألف علامة رفع في المثنى والملحق به.** نحو قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ ﴾ [المائدة: ٢٣].

٣ ـ **الألف علامة نصب في الأسماء الخمسة.** في نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ﴾ [يوسف]. وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [يوسف: ٨٠].

٤ ـ **تأتي حرفًا لا يعرب،** وهو في مواضع متعددة، منها:

(أ) تفصل بين نون النسوة ونون التوكيد في نحو قولك:

ـ لا تنصرْنانِّ الظّالم.

(ب) في الاسم المنون المنصوب في حالة الوقف، والذي يبدل فيه التنوين ألفًا، عوضًا عنه في حالة الوقف فقط، نحو: (إنه كان توابا) فنقول: (توابًا). وهو ما يسمى بـ (مد العوض).

(ج) يؤتى بها في الشعر لإطلاق حرف القافية المفتوح، وذلك لمد الصوت بها، أي إشباع الحرف بحركة طويلة، في نحو قول الشاعر الكبير أبـي الطيب المتنبـي:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

(د) في الندبة، والاستغاثة، والتعجب: وهي التي تلي المنادى المندوب، أو المستغاث أو المتعجب منه مثل: وا ولدا، يا زيدا، يا روعتا، وامعتصماه.

(هـ) تأتي الألف أيضًا بدلاً من نون التوكيد الخفيفة كتابةً لا لفظًا، وذلك في نحو قول الله تعالى: ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [يوسف: ٣٢].

الألف في (ليكونًا) بدلاً من نون التوكيد المحذوفة كتابةً لا لفظًا، ويمكن كتابتها (ليكونن) كما كتبت (ليسجنن).

(و) الألف للتفريق، أو الألف الفارقة، وهي التي يؤتي بها بعد واو الجماعة في الفعل الماضي في نحو قوله تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ [هود: ٢٧].

وتأتي كذلك في الفعل المضارع المنصوب أو المجزوم في نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ﴾ [الأعراف: ١٢٣].

كما تأتي في الفعل الأمر المتصل بواو الجماعة أيضًا في نحو قول الله عز وجل: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وذلك لتفريق واو الجماعة هذه عن الواو الواردة في مواضع أخرى من الأسماء وبعض الأفعال.

وهنا على القارىء أن يميز الألف الفارقة هذه، وأن يلتفت إلى المواضع التالية التي لا ترد فيها هذه الألف وهي:

١ ــ الفعل المضارع الذي يتضمن واو العلة، في نحو قولنا: (الحق يعلو) فهي واو من أصول الكلمة وليست واو الجماعة، فلا تحتاج إلى وضع

ألف بعدها. وما ورد في القرآن من هذه الأفعال كثير، ورسمها يختلف عن الرسم الذي تسير عليه الكتابات العربية، فالملاحظ أن الألف في كلمة (ندعوا) في قوله تعالى: ﴿لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًاۖ﴾ [الكهف: ١٤]، إنما تخضع للرسم العثماني الذي يجب اتباعه شرعًا، ومثلها كلمة (تدعو) و (يدعو) في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمْۖ﴾ [الإسراء: ٧١].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥].

وقوله تعالى: ﴿ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦۚ﴾ [الحج: ١٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾﴾ [الانشقاق].

وعلامة ضبطه في المصحف وضع دائرة أو صفر مدور فوق الألف دلالة على زيادته وعدم النطق به مطلقًا.

٢ ــ الاسم الوارد بصيغة جمع المذكر السالم مثل: (مسلمو الهند) حيث الأصل فيها (مسلمون) وحذفت نون الجمع بسبب الإضافة، والواو هنا واو جمع المذكر السالم وليست واو الجماعة الواردة في الأفعال، فلا توضع بعدها ألف. ومثال على ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

لاحظ أن الرسم العثماني يقتضي وضع الألف، في حين أن القاعدة النحوية لا تنص على ذلك. ولذلك ترسم السكون أو الصفر المدور فوق هذه الألف دلالة على عدم النطق بها.

رفع المسيهما

٣ ـ الأسماء الخمسة المرفوعة (أي في حالة الرفع)، نحو قوله تعالى: ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القصص: ٢٣].

أو نحو قولك: (جاء أبو محمد).

٤ ـ واو (أولو) بمعنى أصحاب، وقد وردت بألف في المصحف العثماني ويجب اتباعه، إلا أنها من قبيل الزيادة في الرسم؛ وفوقها توضع السكون دلالة عدم النطق به، وزيادته رسمًا.

ومن أمثلتها في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ [النمل: ٣٣].

ويلاحظ القارىء أن الفعل (قالوا) فيه الألف الفارقة بعد واو الجماعة وفق قواعد اللغة، أما كلمة (أولو) فقد وضعت بعدها ألف رسمًا فقط لا نطقًا، مع الاختلاف الواضح بين الكلمتين.

تلك هي الصور المختلفة للألف، رغبت في تنبيه القارىء إليها دون ادعاء مني بأني استطعت حصر الصور المختلفة للألف في اللغة العربية، وإنما هي فائدة في اللغة على هامش الحديث عن الهمزة والألف.. والله أعلم.

❑❑❑

رفع المسبهم

[٨]

الْتِقاء السّاكنين

تمهيد:

إنَّ المبدأ العام في الصوتيات العربية هو أنه لا يجوز التقاء الساكنين، والكلمات العربية في أصل وضعها لا يوجد في إحداها ساكنان متجاوران، إلا أن طبيعة اللغة وأصواتها لا تثبت على حال، بل يقع فيها التبديل مما يقتضيه التصريف والاشتقاق، والكلمات لم توضع لتستعمل مفردة، بل لتكون أجزاء تتكامل من أجل تأليف الجمل والعبارات، وكل ذلك يؤدي إلى التقاء السواكن في كثير من الأحايين[١].

حينئذ كيف يكون الأمر؟ وماذا يفعل القارىء؟

وكيف يكون الفرار من التقاء الساكنين؟

يلاحظ أن أغلب العلماء في كتب التجويد وبخاصة القدامى منهم لا يتطرقون إلى هذا الموضوع، وذلك باعتباره مختصًّا بعلم النحو أكثر ما هو مختص بعلم التجويد، إلا أن الأوجب على القارىء الذي يتطلع إلى الإلمام بالقراءة الصحيحة أن يكون ملمًّا بهذا الموضوع لأهميته.

(١) المحيط في أصوات العربية، الجزء الأول ــ ص٧٤.

رفع المسيَّر

ما معنى الْتِقاء السَّاكنين؟

الحرف الساكن هو الحرف الذي فيه سكون، أي عدم وجود حركة، ويقابله الحرف المتحرك.

ولا ننسى أن حروف المد الثلاثة (الألف، الواو، الياء) ساكنة أيضًا، أي معدومة الحركة.

والتقاء الساكنين يعني التقاء حرفين عاريين أو مجردين عن الحركة، وقيل: التقاء ساكن بساكن آخر.

فهل يلتقي ساكنان في كلمة؟ وهل يلتقيان في كلمتين؟ وكيف يتم التخلص من هذا الالتقاء طبقًا لقواعد لغتنا العربية؟

حكم التقاء الساكنين في كلمة واحدة:

يلتقي ساكنان في كلمة واحدة، وله حالتان:

١ ـ حالة الوقف فقط:

وهو جائز ومغتفر على حدّه، أي هيئته، أو على بنيته، أو حسب ما ينبغي له، أو كما قيل من دون حذف أو تغيير.

وفي هذه الحالة قد يكون الساكن الأول حرف مد، أو حرف لين، أو ساكن صحيح.

ومثال حرف المد: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣﴾ [الانفطار].

وقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة].

ومثال حرف اللين: قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣﴾ [قريش].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ [السجدة: ٦].

ومثال الحرف الصحيح: قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

وقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ [السجدة: ٤].

الحكم: يجوز الوقف بالإسكان (أو السكون) على الكلمات: (نعيم، المفلحون، البيت، الغيب، الأمر، العرش) لأنه جائز وعلى حده.

أما إذا وُصلت الكلمة الموقوف عليها بما بعدها فيحرك الساكن الثاني بحركته الأصلية؛ لأن السكون جاء لأجل الوقف فهو عارض.

٢ ــ حالتا الوقف والوصل:

يلتقي الساكنان في الكلمة الواحدة وصلاً ووقفًا في مثل قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٢﴾ [الحاقة].

وقوله تعالى: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ﴾ [في موضعي يونس (٥١ و ٩١)].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ٨٠].

وقوله تعالى في مستهل سورة البقرة: ﴿الٓمٓ ۝١﴾ [البقرة].

وكثير من الكلمات المشابهة لما سبق في القرآن الكريم، حيث يلتقي ساكنان وهما: حرف المد والساكن الأصلي في الكلمة، في حالتي الوصل والوقف، وهو ما يسمى بالمد اللازم ومقداره ست حركات، وهو نوع جائز ومغتفر، ولا إشكال في النطق بهما، وذلك وفق القاعدة أو الوجه المتفق عليه في علم التجويد.

حكم التقاء الساكنين في كلمتين وكيف يتمّ التخلُّص منه:

يلتقي الساكنان في كلمتين في حالة الوصل فقط، وفي هذه الحالة لا بد من الفرار من التقاء الساكنين، أو كما يقولون ينبغي التخلص من هذا الإشكال كما تقرره قواعد اللغة العربية، وقواعد التجويد أيضًا.

فكيف يتم التخلص من التقاء الساكنين في كلمتين؟

أوَّلاً: إذا كان السَّاكن الأوَّل حرف مد:

فالحكم حذف هذا الحرف في حالة الوصل، أمَّا إذا وقفنا عليه فلا يحذف، فهو من قبيل المد الأصلي، وحذفه إنما هو بسبب التقاء الساكنين: أحدهما في الكلمة الأولى، والآخر في الكلمة الثانية.

ومثال على ذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ [التكوير].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ﴾ [الأنفال: ٣٢].

وقوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾ [الذاريات: ٢٢].

وقد يحذف حرف المد وصلاً ووقفًا؛ بسبب حذفه في رسم المصحف وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠]. فكما يلاحظ القارىء أنه إذا وقف على كلمة (تحيـي)، فالوقف عليها بإسكان الياء وهي عين الكلمة[١]؛ لأن الياء الثانية وهي لام الكلمة محذوفة رسمًا لالتقاء الساكنين[٢].

---

(١) اعتبر علماء الصرف أصول الكلمة ثلاثة أحرف، وقابلوها عند الوزن بالفاء والعين واللام، فكلمة قَرَأ على وزن فَعَل، وكلمة ضَحِك على وزن فَعِل.

(٢) غاية المريد في علم التجويد ــ ص١٧٧.

ثانيًا: إذا كان السَّاكن الأوَّل حرفًا صحيحًا:

فإنَّ التخلُّص يكون بتحريك هذا الساكن الأول بالكسر، عند حفص ومن وافقه من القراء. والتحريك بالكسر هو الأصل في التخلص من التقاء الساكنين.

والساكن الأول هو أحد حروف كلمة (لتنود) والتنوين أيضًا(١).

مثال على اللام والدال قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَ﴾ [الإسراء: ١١٠]. حيث التقت اللام في (قل) ساكنة مع الدال في (ادعوا) وهي ساكنة أيضًا، فتم تحريك اللام بالكسر.

كذلك الواو في (أو) التقت بالدال في (ادعوا) فتم تحريك الواو بالكسر.

ومثال على التاء قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّ﴾ [يوسف: ٣١].

ومثال على النون قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ﴾ [النساء: ٦٦].

وفي الآية نفسها مثال على الواو أيضًا، حيث تم تحريكها بالكسر لالتقائها مع الخاء الساكنة في (اخرجوا).

ومثال مع الدال قوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ﴾ [الأنعام: ١٠]، حيث التقى حرف الدال في (لقد) بالسين وهي ساكنة في (استهزىء) فحركت الدال بالكسر.

ومثال على التنوين قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ﴾ [هود: ٤٢]. فالتنوين نون ساكنة زائدة التقت مع الباء في (ابنه) فحركت بالكسر.

---

(١) غاية المريد في علم التجويد ــ ص١٧٧.

كذلك في قوله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧]، حيث التقت نون التنوين في (رهبانية) بالساكن وهو (الباء) في (ابتدعوها) وحركت النون الزائدة بالكسر.

ثالثًا: تحريك الساكن الأول بحركة أخرى غير الكسر:

يتّضح للقارىء ممّا سبق أنَّ الأصل في تحريك الحرف الصحيح الساكن الأول هو الكسر. **إلاَّ أنَّ هذا الأصل له مستثنيات**، أو كما يقولون يُخرج عن هذا الأصل في بعض المواضع، فيتم تحريك الساكن الأول بالفتح، أو الضم.

متى يتم تحريك الساكن الأول بالفتح؟

يتمّ ذلك في ثلاث صور:

١ ـ في حرف الجر (مِنْ) أو كما يقال نون (مِنْ) الجارة، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا﴾ [البقرة: ٨].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأنبياء: ٥٦].

والمتأمّل في حرف الجر يجده حرفًا مبنيًّا على السكون، يجر الاسم الواقع بعده، ولكنه حين يلتقي ساكنًا آخر يتم التخلص من هذا بحركة الفتح بدلاً من الكسر؛ بسبب الثقل في الانتقال من الكسر إلى الفتح مباشرة.

هذا بخلاف الحال مع نون (مَنْ) أداة الشرط الجازمة، فهي تحرك بالكسر (على الأصل) حين تلتقي بساكن آخر، في نحو قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾﴾ [المؤمنون].

٢ ـ تاء التأنيث إذا اتصلت بها الألف الاثنين مثل: قالتا، كانتا، خانتا.

قال الله تعالى: ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فصلت].

وقال تعالى: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحريم: ١٠].

٣ ـ في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١﴾ [البقرة] ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢﴾ [آل عمران].

الميم حرف هجاء مبني على السكون، التقت باللام في لفظ الجلالة وهي ساكنة بعد حذف همزة الوصل ـ في حال الوصل ـ فحركت الميم بالفتح على قراءة حفص وصلاً. مع ضرورة مراعاة الوجهين في الياء المدية قبل الميم الساكنة (الطول أو القصر).

تحريك الساكن الأول بالضم:

ويأتي ذلك في حالتين:

١ ـ في واو اللين التي للجمع، نحو قوله تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ﴾ [النساء: ٤٢].

وقوله تعالى: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٩٤﴾ [البقرة: ٩٤]. فالواو هنا واو اللين حرف ساكن مفتوح ما قبله، ولكنه حرك بالضم تخلصًا من التقائه بالساكن بعده.

٢ ـ ميم الجمع، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ﴾ [غافر: ٦١].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦٤﴾ [غافر: ٦٤].

وقوله تعالى: ﴿مِّنۡهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنۡهُمۡ دُونَ ذَٰلِكَۖ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

رفع المسابهم

هنا ميم الجمع حرف مبني على السكون، التقت بالساكن بعدها (لام التعريف في الآيتين الأولين، والصاد في الآية الثالثة) فحركت الميم بالضم؛ لماذا بالضم؟ لأنها كما يقال أصل حركتها.

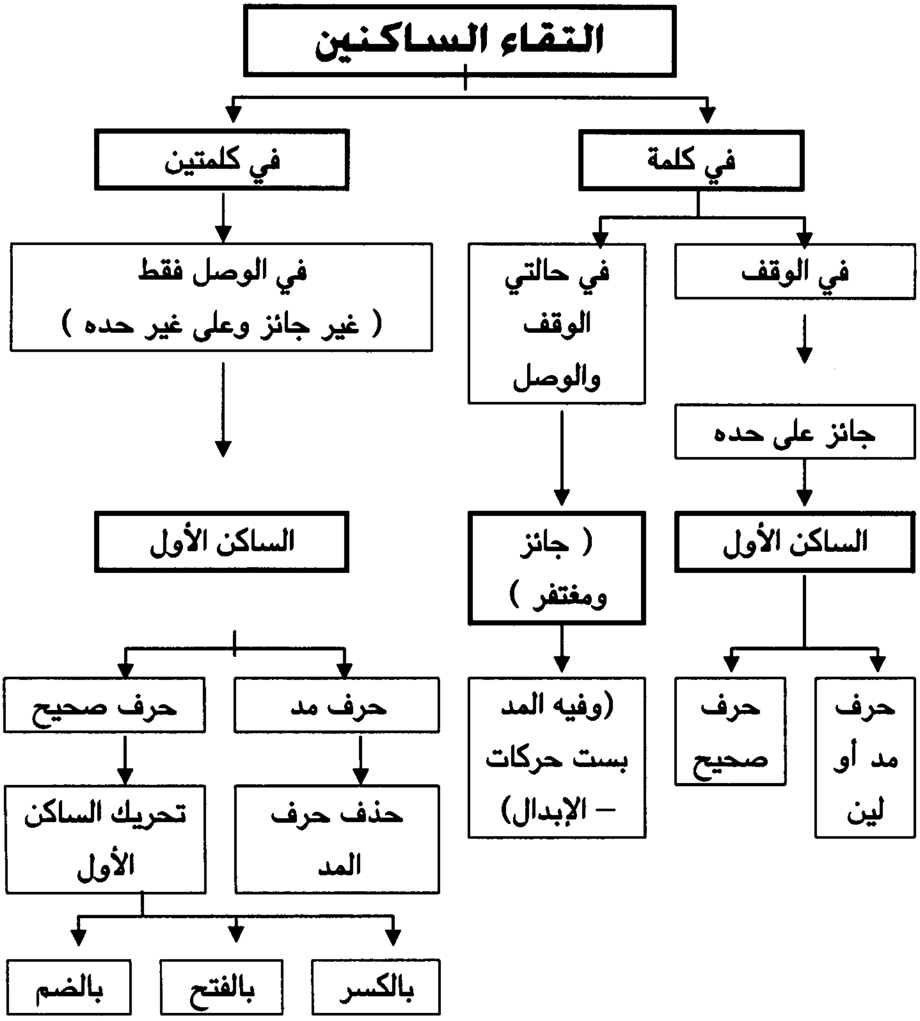

❑❑❑

[٩]
الوقف والابتداء

أهمية مبحث الوقف والابتداء:

يعدّ من الأبواب المهمة التي ينبغي معرفتها وإدراك مسائلها؛ وذلك للأسباب التالية:

أوّلاً: أنَّ الوقف والابتداء من المسائل المهمة في علم التجويد؛ فهو على جانب كبير من الأهمية في أداء تلاوة القرآن، لأنه يعين القارىء على استيضاح المواضع التي يجب أن يقف عليها بما يتفق مع وجوه التفسير واستقامة المعنى، وصحة اللغة، وما تقتضيه علومها من نحو وصرف ولغة، حتى يستكمل القارىء الغرض من قراءته، بحيث يأتي بالوجه المناسب من المعنى والتفسير من جهة، والمناسب لوجوه اللغة وسبل أدائها من ناحية أخرى[١].

ثانيًا: أنه من متطلبات تجويد القراءة وتحسين التلاوة؛ فإن من مهمات المسائل في علم التجويد معرفة الوقف والابتداء؛ لأنهما من مباحثه بمكان

---

(١) المكتفى في الوقف والابتدا، (مقدمة المحقق) ــ ص٧.

رفع المسيّهم

مكين بعد معرفة مسائل المخارج والصفات، وينبغي لكل معنيٍّ بتلاوة القرآن الكريم، مجتهدٍ في إيفائها حقّها ومستحقّها، أن يُقبل عليها ويصرف همته إليها؛ إذ لا يتحقق فهم كلام الله تعالى، ولا يتم إدراك معانيه إلا بذلك(١).

ذلك أنَّ القارىء قد يقف قبل تمام المعنى، ولا يصل ما وقف عليه بما بعده حتى ينتهي إلى ما يصح أن يقف عنده، وعندئذ لا يفهم هو ما يقول ولا يفهمه السامع، بل ربما يفهم من هذا الوقف معنى آخر غير المعنى المراد، وهذا فساد عظيم، وخطر جسيم، لا تصح به القراءة ولا توصف به التلاوة، هذا ما أكده الشيخ المرصفي في مستهل كلامه عن الوقف والابتداء(٢).

ثالثًا: أنه من الموضوعات التي لقيت عناية من الرسول ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم، والتابعين بعدهم كذلك، وقد ثبت أن أم المؤمنين أم سلمة قالت ـ حين سئلت عن صفة قراءة الرسول ﷺ ـ: إنه كان يقطّع قراءته، فيقول: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾، ثم يقف. . . وهكذا حتى يكمل الآيات. . . كذلك فإن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه ـ حين سئل عن معنى قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤﴾ [المزمل] ـ قال: (الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف). وقد ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: (لقد عشنا برهة من دهرنا، وإن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن. وتنزل السورة على النبي ﷺ فنتعلم حلالها

(١) هداية القاري ـ ص٣٦٧.

(٢) المصدر السابق ـ ص٣٦٧.

وحرامها، وأمرها وزجرها، وما ينبغي أن يوقف عنده منها). وهذه الأقوال فيها الدليل الواضح على وجوب تعلم الوقف والابتداء، ومعرفته، وفيه كذلك إجماع من الصحابة رضي الله عنهم على وجوب تعلمه والاعتناء به[١].

ولقد بلغ من عناية الصحابة والأئمة الخلف أن كثيرًا منهم اشترط على المجيز في القراءة ألا يجيز أحدًا إلا بعد معرفة الوقف والابتداء.

رابعًا: أن موضوع الوقف والابتداء من المباحث التي لقيت عناية كبيرة واهتمامًا واضحًا من الرعيل الأول أو المتقدمين من علماء القرآن والشيوخ والأئمة الأولين.

وتروى أقوال كثيرة تحمل في مضمونها دلالة كبيرة على أهمية هذا المبحث، فيروى عن أبي حاتم قوله: (من لم يعرف الوقف لم يعرف القرآن). وقال ابن الأنباري: (من تمام معرفة القرآن معرفة الوقف والابتداء؛ إذ لا يتأتى لأحد معرفة معاني القرآن إلا بمعرفة الفواصل)[٢]. وقد وصف الإمام الهذلي الوقف في كتابه الكامل قائلاً: (الوقف حلية التلاوة، وزينة القارىء، وبلاغ التالي، وفهم للمستمع، وفخر للعالم، وبه يعرف الفرق بين المعنيين المختلفين، والنقيضين المتباينين، والحُكمين المتغايرين)[٣].

وهكذا كان الوقف والابتداء موضع عناية واهتمام المتقدمين

---

(١) نهاية القول المفيد ــ ص١٥٥.

(٢) المصدر السابق ــ ص١٥٦.

(٣) هداية القاري ــ ص٣٦٩.

والمتأخرين من العلماء والأئمة، فأفردوا له مؤلفات خاصة، وأشهرهم أبو بكر ابن الأنباري، والحافظ أبو عمرو الداني، والحافظ محمد ابن الجزري، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، والأشموني، وغيرهم[١].

لقد كان السَّلف الصَّالح ـ قبل ذلك ـ من الصَّحابة والتَّابعين يتناقلون هذا العلم مشافهة، حتى جاء عصر التدوين والتأليف، فظهرت المؤلفات في هذا العلم.

ومما يلفت الانتباه أن كل من ألف في الوقف والابتداء كانوا من القراء والنحويين، وقلَّ أن نجد إمامًا في القراءة أو في اللغة إلا وله مشاركة في تصنيفات هذا العلم[٢]. وقد تتبع محقق كتاب (المكتفى في الوقف والابتدا) المؤلفات في هذا المجال، وذلك ليقف على تطور التأليف فيه، واستطاع أن يرصد ما يقارب الثمانين من المصنفات والمؤلفات امتدت من عام ١٢٩هـ حتى عام ١٢٩٠هـ تدور حول علم الوقف والابتداء، منها ما هو مخطوط، ومنها ما هو مطبوع، إضافة إلى ما ضمَّنه بعض العلماء من مسائل هذا العلم في كتبهم المعنية بالقراءة والتجويد[٣].

واهتمام علماء القراءات وعلماء اللغة بالتأليف في هذا المبحث على حد سواء يدل دلالة قاطعة على ارتباط اللغة بقواعد التجويد وارتباط التجويد بقواعد اللغة، كما يدل على عمق الصلة بين هذا كله وبين فهم معاني القرآن، وتفسير آياته ودلالاته.

(١) هداية القاري ـ ص٣٦٩.
(٢) المكتفى في الوقف والابتدا، (مقدمة المحقق) ـ ص٤٩.
(٣) انظر مقدمة (المكتفى في الوقف والابتدا)، لمحقق الكتاب ـ ص٧.

ومما يَلفت النظر كذلك أن المؤلفات التي ظهرت مختصة بالوقف والابتداء تعتمد ــ ضمن موضوعاتها ــ قضايا النحو وإعراب القرآن، حيث نجد أشهر هذه المؤلفات وأقدمها وهو (المكتفى في الوقف والابتدا) للإمام الداني قد تضمن مسائل كثيرة في النحو والإعراب المرتبط بالقرآن، إذ بلغت مسائل النحو وإعراب القرآن في هذا الكتاب (٦١٧) نصًّا، وهو عدد ضخم يدل على الصلة الوثيقة بين علم الوقف والابتداء وعلم النحو[١].

ومعرفة فن الوقف تحتاج إلى علوم كثيرة كما يقول علماء التجويد وأئمة القراءة، وأشهرهم وأقدمهم ابن مجاهد الذي يرى أن التمام في الوقف لا يقوم به إلا نَحْوي عالم بالقراءات، عالم بالتفسير والقصص، عالم باللغة التي نزل بها القرآن، وكذا علم الفقه[٢].

فهل يعني هذا صعوبة تعلم هذا المبحث؟ أو هل يعني التوقف عن البحث والمطالعة والتعلم بالنظر إلى ما يتطلبه من إلمام بهذه العلوم التي ترتبط به ولا يتحقق تمامه إلا بتعلمها؟

بالطبع ليس الأمر كذلك؛ فإن قارىء القرآن والراغب في تحقيق الإتقان وحسن الأداء في القراءة لا ينبغي عليه أن يضع المعوِّقات أمامه، أو أن يقف عند الصعوبات التي تواجهه، فلا يبذل الجهد ولا يسعى من أجل تذليلها وتحقيق المستوى المنشود في الأداء.

إنَّ تعلُّم القرآن ــ تلاوته وتجويده على الوجه الذي ينبغي له ــ يقتضي من الفرد الاجتهاد في طلب هذا العلم، وبذل المزيد من العناية، حتى يتسنى

(١) المكتفى في الوقف والابتدا، (مقدمة المحقق) ــ ص١٥.

(٢) المصدر السابق ــ ص٥٨.

رفع المسيهم

له بلوغ المستوى المطلوب في التلاوة، وفي فهم المعاني المقصودة في كتاب الله عز وجل.

وإذا سأل سائل في مجال تعلم الوقف والابتداء فقال: لماذا علينا أن نتعلم مسائل الوقف ما دام المصحف الشريف متضمنًا علامات هذا الوقف، وما على القارىء إلا أن يعرف ما تعنيه هذه العلامات، وأن يتبعها في تلاوته ويسترشد بها؟!

فالجواب هو أنَّ القارىء ينبغي عليه بذل الجهد في تعلم مسائل الوقف وما يتطلبه هذا العلم من قواعد لغوية تعينه على إدراك مواضع الوقف؛ من أجل أن يفهم هو ما يقرأ، ويُفهم السامع ما يقوله، ولا أقول الغوص في قواعد النحو، أو علم التفسير والفقه وغير ذلك من علوم لها علاقة بالوقف، وإنما المطلوب أن يكون لدى القارىء المجوِّد الإلمام الكافي بهذا المبحث، بالقدر الذي يضمن له **تحقيق الهدفين التاليين**:

١ ـ فهم علامات الوقف المتفق عليها من قِبل العلماء والقراء وأهل هذا الفن، والتي لا تخلو المصاحف الشريفة من ذكرها وسردها كاملة في نهاية المصحف؛ قصد مساعدة القارىء وإرشاده إلى ضرورة مراعاة هذه العلامات، وفهم المصطلحات لضبط القراءة الصحيحة المنشودة.

والفهم الذي أقصده هو استيضاح العلة، والسبب في وضع كل علامة ضابطة، والذي من شأنه أن يمنح القارىء الثقة بنفسه وهو يتلو كتاب الله، ويشعره بأهمية هذه العلامات والضوابط في فهم المعنى المراد من كل آية يتلوها، فيتأمل ويتدبر.

٢ ــ القدرة على اختيار الوقف المناسب للتنفس والاستراحة، لأن القارىء للقرآن الكريم ليس في مقدوره قراءة السورة أو القصة منه في نفس واحد، مع العلم أنه لا يجوز التنفس بين الكلمتين حالة الوصل، ولا في أثناء قراءة الكلمة الواحدة، لذا وجب على القارىء أن يحسن اختيار الوقف المناسب، ويرتضي ابتداءً مناسبًا بعد الوقف والتنفس والاستراحة، بحيث لا يكون ذلك مما يخل بالمعنى المقصود أو الفهم المطلوب، حتى يظهر إعجاز القرآن وعظمته؛ وبخاصة عند قراءة الآيات الطويلة التي تتطلب وقفًا يختاره القارىء اختيارًا حسنًا.

من أجل ذلك وجب على القارىء تعلم مسائل الوقف والابتداء وما تتطلبه من أمور متعلقة بها، وأبرزها في نظري تعلم القدر اليسير والمعقول والأساسي من قواعد النحو في اللغة العربية، وهو الأمر الذي سيعينه على تحقيق ما ذكرته آنفًا.

المبحث الأوّل:

الــــوقـــــف

مصطلحات ينبغي معرفتها:

(أ) الوقف: معناه في اللغة: الكف والحبس.

والوقف على الكلمة يعني النطق بها مُسَكَّنة الآخر. والوقف في القراءة يعني قطع الكلمة عما بعدها. **واصطلاحًا**: الوقف عبارة عن قطع الصوت على الكلمة زمنًا معينًا يتنفس فيه القارىء عادة بنية استئناف القراءة، وليس بنية قطعها أو الإعراض عنها.

رفع المسيا هما

ومن صفات هذا الوقف ما يأتي:

١ ــ ينبغي معه التنفس.

٢ ــ لا يأتي في وسط الكلمة.

٣ ــ لا يأتي في الكلمات المتصلة رسمًا وإن لم يكن وسط الكلمة، نحو الوقف على (أين) في قوله تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء: ٧٨]. ونحو الوقف على (أن) من قوله تعالى: ﴿ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ۝٣ ﴾ [القيامة: ٣].

٤ ــ يأتي في رؤوس الآيات، وفي أوساطها.

٥ ــ ينبغي معه البسملة في فواتح السور برواية حفص.

ملاحظة: على القارىء أن يفرِّق بين الوقف كما اتَّضح سابقًا، وبين مصطلحات أخرى وهي: السكت، والقطع، على الرغم من التشابه والتقارب في معناها اللغوي، إلا أن الاصطلاح في علم التجويد يختلف في بعض الجوانب، **وهي على النحو التالي:**

السكت: الامتناع عن الكلام، وهو قطع الكلمة والوقوف عندها زمنًا، أو قطعها عما بعدها من غير تنفس، بنية القراءة، وهي سكتة خفيفة لطيفة بقدر حركتين عند حفص في مواضع معروفة عند القُرَّاء وأهل هذا الفن، لا مجال لذكرها هنا.

أمَّا القطع: فهو يعني الإبانة أو الإزالة، وفي الاصطلاح قطع القراءة رأسًا، أي الانتهاء منها والانتقال إلى أمر آخر غيرها. أي قطع القراءة بنية الانصراف عنها إلى حالة أخرى غيرها. والقطع لا يكون إلا على رؤوس

الآيات. وإذا عاد القارئ إلى القراءة عليه الاستعاذة إذا كان في أثناء السورة، أما البسملة فله التخيير في الإتيان بها أو عدم الإتيان بها، وإذا كان في أول السورة فالمستحب الاستعاذة ثم البسملة.

(ب) التعلُّق اللفظي:

هو أن يكون ما بعد الكلام الموقوف عليه متعلقًا بما قبله من جهة الإعراب، كأن يكون صفة للمتقدم، أو معطوفًا عليه، أو مضافًا إليه، أو خبرًا له، أو مفعولاً، أو نحو ذلك، بشرط أن يكون ما قبله كلامًا تامًّا[(١)].

(ج) التعلق المعنوي:

هو أن يكون تعلق ما بعد الكلام الموقوف عليه تعلقًا من جهة المعنى فقط دون شيء من متعلقات الإعراب، كالإخبار عن حال المؤمنين في أول سورة البقرة مثلاً، فإنه لا يتم إلا عند قوله تعالى: (المفلحون). ثم أحوال الكافرين يتم الكلام عن حالهم عند قوله تعالى: (ولهم عذاب عظيم)، ثم أحوال المنافقين يتم الكلام عن حالهم عند قوله تعالى: (إن الله على كل شيء قدير)؛ حيث لم يبق لما بعده تعلق بما قبله لا لفظًا ولا معنى.

ملاحظة: يلزم من التعلق اللفظي التعلق المعنوي، بمعنى أنه إذا كان هناك تعلق لفظي فمن المؤكد أن يكون معه تعلق معنوي، أما التعلق المعنوي فليس من الضرورة أو اللزوم أن يكون معه تعلق لفظي.

---

(١) نهاية القول المفيد ـ ص١٥٩. وانظر أيضًا: غاية المريد في علم التجويد ـ ص٢١٠.

أنواع الوقف[(١)]

اختلف علماء التجويد والقراءات في أقسام الوقف؛ فمنهم من عَدَّ هذه ثلاثة أقسام فقط وهي: التام، والكافي، والقبيح.. ومنهم من اعتبر الوقف قسمين فقط: التام والقبيح لا غير.. ومنهم كذلك مَن عَدَّ الوقف أربعة أقسام: التام، والكافي، والصالح المفهوم، والقبيح المتروك.

وقد وضَّح الإمام أبو عمرو الداني هذه الأقسام، وأشار إلى ذلك الاختلاف في بيان أنواعها في مستهل كتابه عن الوقف والابتداء[(٢)]، وارتضى من تلك التقسيمات التقسيم القائل بأنَّ الوقف يكون على أربعة أنواع. وعلَّل ذلك بأن القارىء قد ينقطع نَفَسه دون التام والكافي، وذلك عند طول القصة، وتعلق الكلام بعضه ببعض، فيقطع حينئذ على الحسن المفهوم تيسيرًا وسعة، إذ لا حرج في ذلك ولا ضيق فيه. ويدعم الداني رأيه بما سمعه من الأئمة والشيوخ الذين يقولون بالوقف حيث انقطع النفس، وهو ما يسمِّيه علماء التجويد: الوقف الذي يرتضيه القارىء؛ لأنه حسن ومفهوم.

وبناء على ما توافر لدي من مراجع وجدتُ بعضها يشير إلى الأقسام العامة للوقف وهي: الوقف الاختباري، والوقف الاضطراري، والوقف الاختباري، ويضيف البعض: الوقف الانتظاري.

(١) الحديث في هذا الجزء يشمل الوقف باعتبار حال الواقف، ومحلّ الوقف.

(٢) المكتفى في الوقف والابتدا ـ ص١٣٨، ١٣٩.

الوقف الاختباري:

وهو الذي يُطلب من القارىء بقصد الامتحان، وهو متعلق بالرسم العثماني لبيان المقطوع والموصول، والمحذوف والثابت من حروف المد والمجرور والمربوط من التاءات[(١)]. ولا يكون ذلك إلاَّ عن طريق السؤال من المعلم الذي يطلب من الطالب المتعلِّم أو الممتحن.

وحكم هذا الوقف الجواز، بشرط أن يعود القارىء إلى الكلمة التي وقف عليها فيبدأ بها إن صلح البدء بها، وإلاَّ فيبتدىء من كلمة قبلها تصلح للابتداء بها.

الوقف الاضطراري:

وهو الذي يعرض للقارىء بسبب ضرورة ألجأته إلى الوقف كضيق في نفس، أو عطاس، أو نسيان، أو عجز عن القراءة، وغير ذلك من الأسباب التي تضطره للوقوف على أي كلمة كانت، وإن لم تكن مما يحسن السكوت عليه، أي لا يتم عندها المعنى، وبعد ذهاب سبب الوقف يبتدىء بالكلمة الموقوف عليها ويصلها بما بعدها إن صلح الابتداء بها، أو يعود إلى ما قبلها ليبدأ بها كما في الوقف الاختباري، وعليه فالحكم هنا جواز الوقف.

الوقف الانتظاري:

وهو وقوف القارىء على كلمة ليعطف عليها غيرها عند الجمع بين الروايات المختلفة أو القراءات، ولا يكون ذلك إلاَّ عند تلقي الطالب على الشيخ وعند جمعه للقراءات، وللقارىء هنا أن يقف عند أية كلمة؛ ليبيِّن

---

(١) هداية القاري ــ ص٣٧١.

ما فيها من قراءات دون حاجة إلى اشتراط تمام المعنى. وحكم هذا النوع الجواز، ويعود القارىء إلى الكلمة الموقوف عليها فيبدأ بها إن صلحت لذلك، وإلاَّ يبدأ من كلمة أُخرى قبلها صالحة للابتداء.

وجهة نظر: وأرى أن الوقف الانتظاري قريب من الوقف الاختباري، ولا حاجة إلى اعتباره قسمًا مستقلاًّ بذاته؛ ذلك لأنه في مقام اختبار أو في مقام تعليم وأخذٍ من الشيوخ المعلِّمين والذين يسمعون تلاميذهم؛ حتى يحصلوا على الإِجازة في القراءة.

الوقف الاختياري:

وهو الوقف الذي يقصده القارىء باختياره من غير عروض سبب من الأسباب المتقدمة في الأنواع الثلاثة. وقد يبدأ القارىء بما بعد الكلمة الموقوف عليها، أو قد يصلها بما بعدها.

وهذا الوقف هو المقصود، والذي ينقسم أيضًا إلى أربعة أقسام: تام، وكاف، وحسن، وقبيح.

وهناك من عَدها خمسة أقسام باعتبار الأقسام الجزئية الواقعة تحت الوقف التام مثلاً (لازم، وتام) أو تحت الوقف القبيح (قبيح وأقبح).

حكم الوقف بشكل عام

الوقف جائز ما لم يوجد ما يوجبه أو يمنعه.

وإيضاح ذلك أن القرآن الكريم لا يوجد فيه وقف واجب يأثم القارىء بتركه، ولا وقف حرام يأثم بفعله، وإنما يرجع وجوب الوقف أو جوازه أو تحريمه أو استقباحه إلى ما يترتب على هذا الوقف أو ذلك الابتداء من

رفع المسلم

إيضاح للمعنى المراد، أو إيهام غيره مما هو غير مقصود، وهذا ما أشار إليه الإمام ابن الجزري في قوله:

وليس في القرآن من وقف وجب ولا حرام غير ما له سبب

فإن كان الوصل يغير المعنى المراد لزم الوقف، وإن كان الوقف يغير المعنى وجب الوصل، وكل ما ثبت شرعًا في هذا الصدد هو سنية الوقف على رؤوس الآي لحديث أم سلمة رضي الله عنها، والذي أشارت فيه إلى صفة قراءة الرسول الكريم ﷺ[(١)]

وقد أشارت المراجع إلى أن الوقف بأقسامه وأنواعه لم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة أو التابعين أو الأئمة المجتهدين؛ فقد حدث ذلك كله بعد الصدر الأول للإسلام، بعد أن ظهرت المؤلفات والمصنفات التي تعنى بالقرآن الكريم في مجالات وجوانب مختلفة؛ ولذلك اختلف العلماء في تسمية الوقوف وأنواعه.

إلاَّ أنَّ هذا لا يعني أنه لم يكن موضع عناية وتأكيد من جانب الصحابة وتابعيهم، فقد كان السلف الصالح من هذه الأمة يعنون في تلاوة القرآن أتمّ العناية بأمور الوقف والابتداء، ويحثّون على تعلُّمها وتعليمها كما سبق توضيح ذلك، ودليل ذلك كما تروي الكتب حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب الذي أوردته سابقًا، والذي يحمل دلالة واضحة على أنَّ الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتعلمون من النبي ﷺ الوقوف كما يتعلَّمون القرآن[(٢)].

---

(١) غاية المريد في علم التجويد ـ ص٣٠٥.

(٢) بهجة النفوس في تجويد كلام القدوس، الجزء الثاني ـ ص١٢، ١٣.

أقسام الوقف

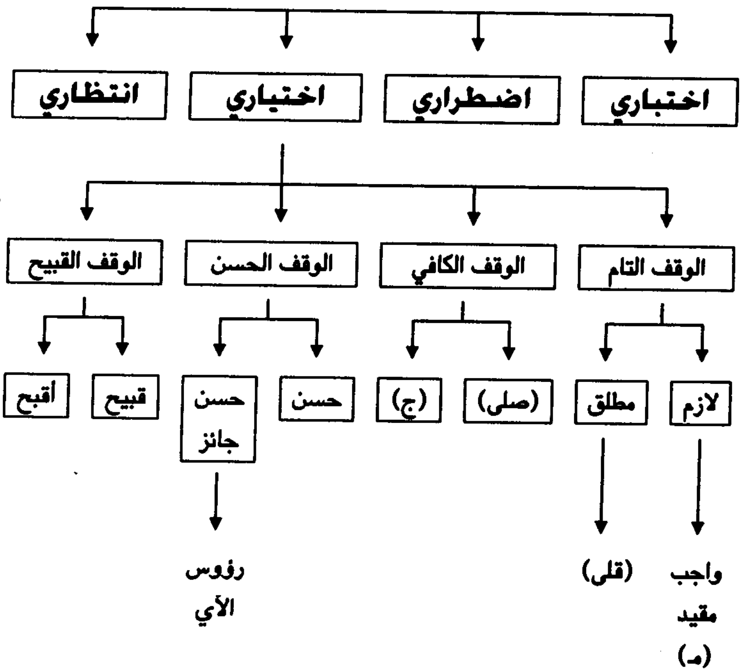

الوقف الاختياري وأقسامه

وقد اختلف العلماء في تقسيم هذا النوع من الوقف، ولهم فيه أقوال كثيرة، ولكن أشهرها وأعدلها ما ذكره الإمام الداني والإمام ابن الجزري من أنَّ هذا الوقف له أقسام أربعة: تام، وكاف، وحسن، وقبيح[1].

وهذا ما أشار إليه ابن الجزري في جزريته، في القسم الخاص بالوقف وأقسامه، فقال:

وبعد تجويدك للحروف ... لا بد من معرفة الوقوف
والابتداء وهي تقسم إذًا ... ثلاثة تام وكاف وحسن
وهي لما تم فإن لم يوجد ... تعلق أو كان معنى فابتدى

---

(١) غاية المريد في علم التجويد ــ ص٢٠٧.

فالتام فالكافي ولفظًا فامنعن إلاَّ رؤوس الآي جوّز فالحسن
وغير ما تمَّ قبيح وله يوقف مضطرًا ويبدا قبله

أقسام الوقف الاختياري

أوّلاً: الوقف التام

هو الوقف على كلام تام في ذاته، أي تم المعنى عنده، ولم يتعلق بما بعده مطلقًا، لا مِن جهة اللفظ ولا من جهة المعنى.

ويندرج تحت هذا الوقف نوعان:

الأوَّل: الوقف اللازم أو الواجب أو المقيد:

وذلك لأن وصله بما بعده يوهم معنى فاسدًا لم يكن مرادًا في الآية ويكون ذلك في رؤوس الآيات (أي آخرها) وفي وسط الآيات، وذلك عند انتهاء القصص والأخبار.

وحكمه: يلزم الوقوف عليه والابتداء بما بعده، ومن أجل ذلك سُمِّي لازمًا.

وعلامته: وضع ميم أفقية (مـ) على الكلمة التي يلزم الوقف عندها.

ومن العلماء من يعد هذا النوع قسمًا مستقلاً من أقسام الوقف، سواء من القدامى أو المحدثين.

أمثلة على الوقف اللازم:

* **قوله عزَّ وجل**: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]. فالوقف على كلمة (أغنياء)؛ لأن القارىء لو وصل الكلمة بقوله تعالى: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ﴾؛ لأوهم

هذا الوصل أنَّ هذه الجملة (سنكتب ما قالوا) من ضمن مقول القول، أي أنها مقالة اليهود، في حين أن مقالة اليهود تنتهي عند كلمة (أغنياء).

* **وقوله عزَّ وجل**: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ [يس: ٧٦]. فالوقف على كلمة (قولهم) لازم؛ لأنه لو وصل بما بعده لأوهم أن جملة ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [يس]، من مقول الكافرين، وهي ليست كذلك.

* **وقوله تعالى**: ﴿۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦]. فالوقف على (يسمعون) لازم؛ لأنه لو وصل بما بعده ﴿وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنعام]، لفسد المعنى؛ لأنه يوهم السامع أن الموتى أيضًا مشتركون مع الأحياء في الاستجابة.

والأمثلة كثيرة في القرآن الكريم على هذا النوع، يمكن للقارىء أن يتبين بعضًا منها في الجدول التالي:

م	الآية الموقوف عليها	موضع الوقف
١	﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ البقرة: ٥	رأس الآية
٢	﴿إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ هود: ٤٩	رأس الآية
٣	﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ هود: ٢٢	رأس الآية
٤	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ المائدة: ٥١	وسط الآية
٥	﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ الأنعام: ٢٠	وسط الآية
٦	﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ النساء: ١١٨	وسط الآية
٧	﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ البقرة: ٢١٢	وسط الآية
٨	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ المائدة: ٦٤	وسط الآية

رفع المسهم

حكم الوقف التام اللازم:

يلزم الوقوف عليه، أي يجب الوقوف عليه، ويلزم الابتداء بما بعده، ولذلك سُمِّي لازمًا. ولا يعني هذا أنه من الواجب الشرعي، وهو ما يثاب على فعله ويعاقب على تركه؛ وإنما لزومه مما يتطلَّبه إحكام الأداء، وجَودة التلاوة؛ لأن القراءة لا تكون جيدة متقنة محكمة النسج، بديعة النسق واضحة المعاني إلاَّ إذا روعيت فيها هذه الأحكام.

النوع الثاني من الوقف التام: الوقف التام المطلق:

وهو مثل الوقف اللازم في كونه الوقف على كلام تام في ذاته، ولم يتعلق بما بعده مطلقًا لا لفظًا ولا معنى. وهو تام لتمام الكلام عنده وعدم احتياجه لما بعده في اللفظ أو المعنى.

ويكون في رأس الآية، أو قبل نهاية الآية، أو في وسط الآية، أو في أول الآية.

وهو من أنواع الوقف الذي يحسن الوقوف عليه والابتداء بما بعده؛ ومعنى ذلك أنه يجوز للقارىء وصله بما بعده إذا لم يغير هذا الوصل المعنى الذي أراده الله في الآية؛ ولذلك سمّاه البعض (التام المطلق).

علامته: وضع كلمة (قلى) على الكلمة الموقوف عليها.

أمثلة على الوقف التام المطلق:

* قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ٤٩﴾ [هود: ٤٩]. فالوقف على كلمة (للمتقين) ــ وهي رأس آية ونهاية قصة سيدنا نوح عليه السلام ــ وقف تام؛ لعدم تعلُّقه بما بعده في اللفظ وفي المعنى، والآية التي تأتي بعدها بداية لقصة هود عليه السلام.

* قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا

ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩]، والوقف هنا آخر الثناء على الأنبياء والمرسلين الذي جعلهم الله قدوة، ثم يأتي قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ [الأحزاب]، وهو وقف قبل نهاية الآية.

* قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي﴾ [الفرقان: ٢٩]، وهو نهاية كلام الظالم، إذ يقول عزَّ وجل بعد ذلك: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان]، وهو وقف ورد في وسط الآية كما هو واضح.

* وقـولـه تعـالـى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الصافات]، على الرغم من أن (مصبحين) رأس الآية، إلاَّ أن تمام الكلام عند (وبالليل)، وهي بداية الآية الأخرى. فهو وقف في بداية الآية.

أمثلة أخرى على الوقف التام المطلق في الجدول التالي:

م	الآية الموقوف عليها	موضع الوقف
١	﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ البقـرة: ٢٥	رأس الآية
٢	﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ٢٩	رأس الآية
٣	﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ البقرة: ٣٠	وسط الآية
٤	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ ال عمران: ٤	وسط الآية
٥	﴿ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ﴾ المائدة: ٩٣	قبل نهاية الآية
٦	﴿وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ﴾ المائدة: ١٠١	وسط الآية
٧	﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾ المائدة: ١٠١.	قبل نهاية الآية
٨	﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ الأحزاب: ٦	وسط الآية

رفع المسهم

وعلامة الوقف التام المطلق كلمة (قلى) على الكلمة التي يحسن الوقوف عليها، وهي منحوتة، أي مختصرة من عبارة (الوقف أولى من الوصل). وذلك إذا كان الوصل يغير المعنى المراد.

الأصل في الوقف التام عامة:

ذكر الإمام الداني في كتابه «المكتفى» بسند متصل إلى عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال: **«اقرأ القرآن على حرف، فقال ميكائيل: استزده، فقال: اقرأ على حرفين، فقال ميكائيل: استزده، حتى بلغ سبعة أحرف كلها كلام كاف شاف، ما لم تُختم آية عذاب بآية رحمة، أو آية رحمة بآية عذاب»**[1].

وقال الإمام الداني: هذا تعليم التام من رسول الله ﷺ عن جبريل عليه السلام، وذلك دلالة على أنه ينبغي أن يوقف على الآية التي فيها ذكر النار والعقاب، وتقطع عما بعدها إذا كان فيها ذكر الجنة والثواب، وكذلك يلزم الوقف على الآية التي فيها الجنة والثواب وتفصل عما بعدها إذا كان فيها ذكر النار والعقاب. ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٨١﴾ [البقرة]، فالوقف على رأس هذه الآية تام، فلا يجوز الوصل بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة: ٨٢]، لاختلاف الموقف والمقام.

ويذكر الإمام الداني كذلك الرواية التي يرويها تميم الطائي عن عدي بن حاتم قال: جاء رجلان إلى رسول الله ﷺ فتشهّد أحدهما فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما... ووقف ولم يتم

(١) المكتفى في الوقف والابتدا ــ ص١٣١، ١٣٢.

الحديث (فقد غوى)، فقال الرسول ﷺ: «قم (أو اذهب) بئس الخطيب أنت».

ويدل هذا الحديث على أن الجمع في الوقف بين حال من أطاع وحال من عصى مستقبح، ويخل بالمعنى؛ وكان ينبغي له أن يقف عند قوله: فقد رشد، ثم بعدها يستأنف ما بعد ذلك ويصل كلامه فيقول: ومن يعصهما فقد غوى. وإذا كان مثل هذا مكروهًا مستبشعًا في الكلام الجاري بين مخلوقين، فهو في كتاب الله عز وجل وكلام رب العالمين أشد كراهة، وأحق وأولى أن يتجنب[1].

ثانيًا: الوقف الكافي

هو الكلام الذي يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده، غير أن الذي بعده متعلق به من جهة المعنى دون اللفظ، أي هو الوقف على كلام تام في ذاته، متعلق بما بعده في المعنى دون اللفظ.

وسُمِّي كافيًا للاكتفاء به واستغنائه عما بعده؛ لعدم تعلقه به لفظًا، وإن كان متعلقًا به من جهة المعنى.

وحكمه: أنه يحسن الوقوف عليه والابتداء بما بعده كما في الوقف التام.

ومواضعه كثيرة في القرآن الكريم؛ فهو يوجد في رؤوس الآيات، وفي أثنائها.

---

(١) المكتفى في الوقف والابتدا ـ ص١٣٣، ١٣٤.

أمثلة على الوقف الكافي:

الوقف على قوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ﴾ [المائدة: ٥]. ثم الابتداء بما بعده. وفي قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦﴾ [البقرة: ٦]. ثم الابتداء بقوله: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ [البقرة: ٧].

وعلامته: وضع حرف الجيم (ج) على الكلمة الموقوف عليها، كما في قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ﴾، ثم البدء بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩﴾ [البقرة].

أو وضع علامة (صلى) على الكلمة الموقوف عليها، وهي كلمة منحوتة أو مختصرة لعبارة (الوصل أولى).

(الوصل أولى) علامته: (صلى)، والوصل غير الأولى (الجائز) وعلامته: (ج).

فالمعلوم هنا أنه كما يجوز وصله يجوز الوقف عليه، والابتداء بما بعده[١].

ويذكر الإمام الداني أن من مواضع الوقف الكافي الوقف على الفواصل في سورة التكوير، وسورة الانفطار، والانشقاق، وما أشبههن. وكذلك فواصل سورة الجن، وسورة المدثر[٢].

الأصل في الوقف الكافي:

يروى أن الرسول ﷺ قال لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه: **اقرأ عليّ**، فقال له عبد الله بن مسعود: أقرأ عليك وعليك أُنزل؟ فقال الرسول: إني أحب أن أسمعه من غيري، فقرأ عليه ابن مسعود سورة النساء، ولما بلغ

(١) غاية المريد في علم التجويد ــ ص٢١١.

(٢) المكتفى في الوقف والابتدا ــ ص١٤٣.

رفع المسالهما

قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ [النساء]، إذا به يرى عينَي الرسول ﷺ تذرفان الدموع، ويقول له: حسبك (أي يكفيك).

وقد استدل العلماء والأئمة على أن هذا دليل جواز الوقف الكافي؛ لأن كلمة (شهيدًا) ليس من تمام المعنى، لأن المعنى لا يتم إلا في الآية التالية لها؛ فالمعنى المقصود هو: كيف يكون حالهم إذا كان هذا؟: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ ﴾ ﷺ... حتى قوله تعالى: ﴿ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [النساء: ٤٢].

وقد أمر النبي ابن مسعود أن يقف على (شهيدًا) مع التعلق الموجود في المعنى، وفي هذا دلالة واضحة على جواز الوقف الكافي، وذلك عند كلمة (شهيدًا)؛ على الرغم مِن أنَّ انقضاء القصة لا يتم عندها، وإنما يتم عند كلمة (حديثًا) في نهاية الآية الثانية(١).

جدول يوضح أمثلة على الوقف الكافي

م	الآية الموقوف عليها	موضع الوقف
١	﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ البقرة: ٣٠	وسط الآية
٢	﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ البقرة: ٣٥	رأس الآية
٣	﴿ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ النور: ٢٣	رأس الآية
٤	﴿ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴾ الكهف: ٨٧	رأس الآية
٥	﴿ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ ﴾ الأعراف: ١٤٨	وسط الآية

(١) هداية القاري ــ ص٣٧٦.

ثالثًا: الوقف الحسن

هـو الذي يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعـده؛ لتعلُّقه به من جهة اللفظ والمعنى جميعًا. أي الوقـف على كـلام تم معنـاه وتعلَّق هذا المعنى بما بعده لفظًا ومعنى. وسُمِّي حسنًا لأنه يفيد معنى يحسن السكوت عليه.

وحكمه: أنه يحسن الوقف عليه، ولكن الابتداء بما بعده فيه اختلاف آراء، كما سيتضح لاحقًا.

والوقف الحسن نوعان:

النوع الأول: **في أثناء الآيات**: ومثاله: الوقف على ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ [الفاتحة: ١]، وعلى قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ٢]، وهذا الوقف يفيد معنى صحيحًا ولكنه متعلق بما بعده لفظًا ومعنى، ذلك أن ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ [الفاتحة]، و﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة]، صفات للفظ الجلالة، ولا يصح فصل الصفة عن الموصوف، وهذا هو التعلق اللفظي.

وهذا الوقف الحسن حكمه أنه يحسن الوقوف عليه، ولا يحسن الابتداء بما بعده، لشدة التعلق بينهما لفظًا ومعنى، والواجب العودة إلى ما قبله للابتداء به.

النوع الثاني: **على رؤوس الآيات**: وهو الوقف الحسن الجائز، لأنه على رؤوس الآيات، وهذا وقف جائز سُنَّة عن الرسول ﷺ، سواء أَوُجِدَ التعلُّق اللفظي أم لم يوجد، وهو المشهور عند الجمهور من العلماء والأئمة وأهل الأداء(١).

---

(١) هداية القاري إلى تجويد كلام الباري ــ ص٣٧٨.

والأدلة على أن هذا الوقف سُنَّـة عن رسول الله واضحة لورود أحاديث حول ذلك، أشهرها حديث أم سلمة رضي الله عنها أن النبـي ﷺ «كان إذا قرأ قطع قراءته آية آية، يقول: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١﴾، ثم يقف ثم يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢﴾، ثم يقف. .» وهكذا.

ويذكر الإمام الداني في المكتفى أن مما ينبغي الوقف عليه رؤوس الآيات؛ لأنهن في أنفسهن مقاطع. . وقد كان جماعة من الأئمة السالفين والقراء الماضين يستحبون الوقف عليهن، وإن تعلق كلام بعضهن ببعض؛ لكونهن مقاطع(١).

اختلاف العلماء في الوقف الحسن الجائز:

لقد اختلف العلماء في الوقف الحسن الذي يكون على رأس الآيات، فمنهم من يرى أنه يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده، لأنه سُنَّـة عن الرسول الكريم؛ لحديث أم سلمة السابق ذكره.

ومنهم من يرى أنه يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده مطلقًا وإن كان في رؤوس الآيات؛ وذلك لوجود التعلق اللفظي والتعلُّق المعنوي بين الموقوف عليه وما بعده، وبخاصة إذا كان الوقف يوهم معنى غير المراد كما هو مشهور في الخلاف حول قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤﴾ [الماعون].

والاختلاف في وجهات النظر في الآية: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ يتلخَّص في أن من العلماء من يرى عدم جواز الوقف على رأس هذه الآية. وأن الواجب وصله بما بعده؛ لأنه يوهم بمعنى غير مقصود، وذلك لأن اسم

(١) المكتفى في الوقف والابتدا ـ ص١٤٥.

(المصلين) ممدوح ولا يليق به الويل، وخروجه من دائرة الممدوحين بسبب النعت أو الصفة المتصلة به في الآية التي بعده وهي: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون].

ومن العلماء من يرى جواز الوقف على رأس تلك الآية والابتداء بما بعدها شرط أن يكون القارىء مستمرًّا في القراءة، غير متوقف عند قوله: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤﴾، فالوقف هنا عندهم سُنَّة.. والذي ترتاح له النفس دائمًا هو ما ورد عن الرسول الكريم ﷺ، على الرغم من وجود التعليلات والتخريجات المختلفة من العلماء واللغويين، ويبقى الأمر في محصلته خاضعًا لنية القارىء ورغبته في تحقيق الأداء الجيد المتقن، الذي يقتدي فيه بالرسول الحبيب ﷺ.

وقف السُّنَّة:

وإذا كان الحديث مُتَّصلاً بما أُثر عن رسولنا الكريم في قراءته ووقفه المأثور، فالجدير بالذكر هنا أن هناك نوعًا من الوقف يسمَّى: وقف السُّنَّة، أو وقف جبريل كما سمَّاه البعض، وهو في مواضع قد تكون في رأس آية أو في أثنائها، بل إن أكثره ليس برأس آية، ووقف السُّنَّة أو وقف جبريل موجود في عشرة وقوف عند البعض، وفي سبعة عشر وقفًا عند آخرين.

وأذكر من تلك المواضع ما يلي:

١ ـ ﴿قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ﴾ [آل عمران: ٩٥].

٢ ـ ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ [البقرة: ١٤٨] و[المائدة: ٤٨].

٣ ـ ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ﴾ [يونس: ٦٥].

٤ ـ ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [يوسف: ١٠٨].

٥ ـ ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ﴾ [لقمان: ١٣].

٦ ـ ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ [النازعات].

٧ ـ ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ [النصر: ٣].

وقد أسهب الشيخ المرصفي في بيان هذه الوقوف وتوضيحها تبعًا لمن قال بها من الشيوخ والأئمة، ودافع عن كونها متفاوتة بين عدد من الشيوخ والأئمة؛ حيث وضح أن تفاوتها واختلافها إنما يرجع إلى تفاوت الرواية والحفظ، وما انتهى إليه علم أولئك العلماء من علم بحسب التلقي والمشافهة، وليس فيها ما يدل على التناقض أو الاضطراب(١).

رابعًا: الوقف القبيح

يعرفه الإمام أبو عمرو الداني فيقول عنه: «واعلم أن الوقف القبيح هو الذي لا يُعرف المراد منه، وذلك نحو الوقف على قوله: (بسم) و (مالك) و (رب)... والابتداء بقوله: (الله) و (يوم الدين) و (العالمين)، لأنه إذا وقف على ذلك لم يعلم إلى أي شيء أضيف، وهذا يسمى وقف الضرورة لتمكن انقطاع النفس عنده، والجلّة من القراء وأهل الأداء ينهون عن الوقف على هذا الضرب، وينكرونه، ويستحبون لمن انقطع نفسه عليه أن يرجع إلى ما قبله حتى يصله بما بعده»(٢).

إذن فالوقف القبيح هو الوقف على كلام لم يتم معناه؛ لشدة تعلقه بما بعده لفظًا ومعنى، مع عدم الفائدة، أو أنه أفاد معنى غير مقصود، أو أوهم فساد المعنى.

---

(١) هداية القاري إلى تجويد كلام الباري ـ ص٣٨٠، ٣٨٥.

(٢) المكتفى في الوقف والابتدا ـ ص١٤٨.

وتختلف المراجع في تقسيم الوقف القبيح، فمنها ما يذكر أنها ثلاثة أنواع[١]، ومنها ما يعدد منها نوعين فقط[٢].

والاختلاف إنما يرجع إلى دمج بعض صور هذا الوقف أو فصلها في ذلك التقسيم.

وقد آثرت ذكر نوعين من أنواع الوقف القبيح؛ اختصارًا وتيسيرًا على القارىء، وكذلك لشدة التقارب بين الأمثلة والأدلة المذكورة.

النوع الأوَّل: الوقف القبيح:

(أ) وهو الوقف على عامل دون معموله: أي على المضاف دون المضاف إليه، أو على المبتدأ دون خبره، أو على الموصوف دون صفته، أو الوقف على الفعل دون فاعله، وهي وقوف قبيحة لعدم تمام المعنى أو الكلام، وعدم فهم المعنى بسبب التعلق اللفظي الموجود والتعلق المعنوي الواضح مع عدم فائدة الكلام.

وحكم هذا الوقف هنا أنه لا يجوز للقارىء إلا لضرورة كضيق نفس، أو عطاس أو عجز في القراءة أو نسيان، وهو وقف الضرورة، ولا يجوز تعمده في أي حال من الأحوال. وعلى القارىء بعد ذهاب أسباب الوقف الضروري أن يعود إلى الكلمة الموقوف عليها ويصلها بما بعدها إن صلَح الابتداء بها، وإلا فعليه الابتداء بما قبلها مما يصلح الابتداء به إلى أن يصل إلى ما يجوز الوقف عنده.

---

(١) هداية القاري ــ ص٣٨٦.

(٢) غاية المريد في علم التجويد ــ ص٢١٤.

وهذا ما أشار إليه ابن الجزري في مقدمته حين قال:

وغير ما تم قبيح وله ... يوقف مضطرًا ويبدا قبله

ومن أمثلة هذا الوقف:

* الوقف على كلمة (الصراط) في قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة].

* الوقف على كلمة (يتقبل) في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٢٧﴾ [المائدة].

* الوقف على (بسم) و (مالك) و (رب)... وغيرها.

(ب) **وهو من النوع الأول أيضًا والذي يفيد معنى غير مقصود**؛ لأن ما بعده متوقف عليه حتى يتم المعنى ويتضح المقصود، وهذا النوع من الوقف يوهم معنى غير ما أراده الله في الآيات.

ومن أمثلته:

* الوقف على ﴿لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ٤٣]؛ لأنه يوهم النهي عن أداء الصلاة مطلقًا، وإنما المقصود في الآية الكريمة النهي عن الصلاة في حال السكر حتى يعود للإنسان عقله فيعلم ما يقول، والواجب وصل الآية بما بعدها إلى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ﴾ [النساء: ٤٣].

* الوقف على كلمة (والظالمين) من الآية: ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ۝٣١﴾ [الإنسان]؛ لأنه يوهم إدخال الظالمين في رحمة الله، والمراد ليس كذلك، فالوقف يتم عند قوله (أليمًا).

* الوقف على قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾

[فاطر: ٧]، والواجب وصل الآية حتى قوله تعالى: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧﴾ [فاطر].

النوع الثاني: الوقف الأقبح:

وهو الوقف على كلام أوهم فساد المعنى كالوقف القبيح، ولكنه فيه سوء الأدب مع الله تبارك وتعالى، فهو أقبح من القبيح وأشنع منه.

وقد ذكر الإمام الداني الأمثلة الكثيرة على مثل هذا الوقف، ومثله الأئمة والعلماء بعده كذلك. ومن هذه الأمثلة أذكر الوقوف التالية:

* الوقف على قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦ﴾ [البقرة: ٢٦].

* الوقف على قوله: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ وَٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

* الوقف على قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ وَلِلَّهِ﴾ [النحل: ٦٠].

* الوقف على قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ [الإسراء: ٥٤].

* الوقف على المنفي الذي يأتي بعده الإيجاب، وفي الإيجاب صفة من صفات الله، أو رسله، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٦٢]، وذلك إذا وقف عند كلمة (إله) في الآيتين السابقتين، فإنه من قبيل سوء الأدب مع الله، ومما لا يصح التفوه به. وإذا تعمده القارىء فقد اقترف إثمًا كبيرًا، بل ربما يؤدي به ذلك الإثم إلى الكفر والخروج من الدين والعياذ بالله.

ومن كان جاهلاً بهذه الأمور فعليه أن يتفقد ويسأل، وذلك ليتجنب الجهل، ويبتعد عن الافتراء على الله وعلى رسوله.

خلاصة وفائدة

يمكن التأكيد على بعض الجوانب التي تعد خلاصة لمبحث الوقف وهي:

١ ـ إذا أفادت الكلمة الموقوف عليها معنى تامًّا يحسن السكوت عليه كان الوقف تامًّا أو كافيًا أو حسنًا. وإذا لم تفد الكلمة الموقوف عليها معنى يحسن السكوت عليه كان الوقف قبيحًا، ويجب على القارىء الواقف البدء فورًا بما قبل الكلمة الموقوف عليها، ووصلها بما بعدها، حتى يصل إلى كلام يحسن السكوت عليه.

ولا يكون الكلام تامًّا يحسن السكوت عليه إلا إذا اشتمل على ركني الجملة من المسند والمسند إليه.

وللتذكير والفائدة أقول:

المسند: هو المتحدث به، أو المحكوم به. [الخبر، والفعل].

المسند إليه: هو المتحدث عنه، أو المحكوم عليه. [المبتدأ، والفاعل].

المسند في الجملة الاسمية: الخبر.

والمسند في الجملة الفعلية: الفعل.

المسند إليه في الجملة الاسمية: المبتدأ.

والمسند إليه في الجملة الفعلية: الفاعل.

وإذا رجعنا إلى تقسيم الكلام إلى: اسم وفعل وحرف، فإنا نجد أنَّ...:

الاسم: يسند ويسند إليه.

الفعل: يسند ولا يسند إليه.

الحرف: لا يسند ولا يسند إليه.

٢ ـ الوقف الاختياري الذي يرتضيه القارىء هو الذي يعمل على تحسين القراءة، وتجميل الأداء، وتزيين التلاوة، وليس هناك وقف واجب يأثم القارىء بتركه، أو حرام يأثم القارىء بفعله؛ لأن الوقف والوصل يرتبطان بدلالة اللفظ وتعلق المعنى، ويتصف الوقف بالحرمة والقبح الشنيع إذا قصده القارىء وتعمَّده، ولا يفعل ذلك مسلم مؤمن بالله وكتابه ورسوله.

٣ ـ الوقف مبحث له صلة وثيقة بالنحو والتفسير وغيرهما من العلوم، ولكنه أوثق صلة بالقواعد النحوية وتفسير الآيات ومقصودها ومدلولاتها. ولهذا السبب اختلف العلماء وأهل الأداء في أنواع الوقف: تام، أو كاف أو حسن، وأيضًا في اعتبار ما هو أكفى أو أتم أو غير ذلك، يحكمهم في ذلك دلالة الآية ومعناها، وكذلك تخريج اللفظ وإعرابه على وجوه مختلفة.

وهذا ما يجعلني أعود لتأكيد جانب ألح عليه في هذا المقام، وهو: حاجة القارىء ـ وأعني به القارىء المتعلم من غير ذوي الاختصاص ـ إلى تعلم القدر المناسب من قواعد النحو، والإكثار من المطالعة في كتب التفسير لكتاب الله؛ حتى يتمكن من إتقان ما يتلوه من الآيات، وفهم ما تحمله من المعاني الجميلة المعجزة.

المبحث الثّاني:

الابـتـداء

تمهيد وتعريف:

في عرف القُرَّاء: الابتداء هو: الشروع في القراءة بعد قطع أو وقف:

فإذا كان بعد القطع فيتقدمه الاستعاذة ثم البسملة إذا كان الابتداء من أوائل السور.

وإذا كان في أثناء السورة فللقارىء التخيير في الإِتيان بالبسملة أو عدم الإِتيان بها بعد الاستعاذة.

أما إذا كان الابتداء بعد وقف فلا يتقدمه الاستعاذة ولا البسملة؛ لأن القارىء يعتبر مستمرًّا في قراءته وليس منقطعًا أو منصرفًا عنها، وإنما وقف ليريح نفسه، ثم يستأنف القراءة[1].

ويلزم من القارىء في حال الابتداء ما يلزمه في حال الوقف؛ فلا يكون ابتداؤه إلا بكلام واضح المقصود، غير مرتبط بما قبله في المعنى؛ لأنه هو من يختار الابتداء، وليس مضطرًّا إليه كما يحدث في الوقف.

إذن الابتداء لا يكون إلا اختياريًّا، لذلك لا يجوز إلا بكلام مستقل في معناه، وافٍ بالمقصود.

والابتداء نوعان:

١ ــ ابتداء حسن: وهو ما يجوز الابتداء به.

٢ ــ وابتداء قبيح: وهو ما لا يجوز الابتداء به.

---

(١) هداية القاري ــ ص٣٩٥.

١ ــ الابتداء الحسن أو الابتداء الجائز:

هو الابتداء بلفظ بعد وقف تام، أو كافٍ، أو حسن ــ إن كان على رأس آية ــ، كما اتضح للقارئ فيما سبق؛ فالمعروف أنَّ كل ما أجاز العلماء الوقف عليه أجازوا الابتداء بما بعده.

وإذا كان الوقف الحسن في غير رأس آية، فيكون الابتداء من الكلمة الموقوف عليها، أو بما قبلها، وذلك بحسب ما يقتضيه المعنى(١).

والقارئ الذي يلم بمسائل الوقف لا شكّ يقدر على إدراك الابتداء، ومن ثم يحسن الوقف، ويحسن الابتداء، وذلك تبعًا لتمام الكلام، وعدم فساد المعنى.

والأمثلة على الابتداء الحسن أو الجائز واضحة، وإنما أذكر منها بعض المواضع على النحو الآتي:

* بعد الوقف التام، نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ﴾ [يونس: ٦٥]. حيث يبدأ بعدها بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [يونس: ٦٥].

* بعد الوقف الكافي، في نحو قوله تعالى: ﴿ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ ﴾ [البقرة: ٦]. ثم الابتداء بعد ذلك بقوله: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ [البقرة: ٧].

* بعد الوقف الحسن حين يكون في رأس آية. في نحو قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ [الفاتحة]، ثم يكون بعدها البدء في قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ [الفاتحة].

---

(١) بهجة النفوس في تجويد كلام القدوس، الجزء الثاني ــ ص٧٩.

رفع المسا هم

٢ ــ أما الابتداء القبيح :

فهو الابتداء بكلام غير مستقلّ في معناه؛ بسبب تعلقه بما قبله لفظًا ومعنى في غير رؤوس الآيات، ويتفاوت الابتداء في القبح من قبيح إلى أقبح أو أشد قبحًا، والجدول الآتي يوضح بعض الأمثلة على الابتداء القبيح :

م	الآية الموقوف عليها	الابتداء القبيح / الأقبح	موضع الآية
١	﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ ﴾	﴿ اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ قبيح ﴿ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ أقبح	الأحزاب: ١٢
٢	﴿ لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا ﴾	﴿ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ قبيح	ال عمران: ١٨١
٣	﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا ﴾	﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ أقبح	المائدة: ٧٢
٤	﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا ﴾	﴿ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ أقبح	المائدة: ٧٣
٥	﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ ﴾	﴿ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ أقبح	المائدة: ٦٤

إنَّ الابتداء القبيح في الأمثلة الموضحة في الجدول وما شابهها إنما عدَّه القرَّاء قبيحًا لما فيه من سوء الأدب مع الله تبارك وتعالى، وتغيير المعنى إلى غير ما هو مقصود، ومما لا يصح التفوه به مطلقًا.

تمَّ الكلام في مبحث الوقف والابتداء، والحمد لله

الفصل الرابع

من أساليب النحو والبلاغة في القرآن الكريم

تمهيد .

[١] لمحات من أسلوب القرآن الكريم .

[٢] دعوة إلى تدبُّر معاني القرآن وتأمُّل أساليبه .

[٣] التوكيد في القرآن الكريم وأساليبه .

[٤] التوكيد اللفظي والتوكيد المعنوي .

[٥] التوكيد بالأحرف المشبهة بالفعل .

[٦] التوكيد بلام التوكيد .

[٧] التوكيد بـ «قـد» .

[٨] التوكيد بالأحرف الزائدة .

[٩] التوكيد بنوني التوكيد .

[١٠] التوكيد بالقَسَم .

[١١] خاتمة الفصل الرابع .

رفع
المسـاهم

الفصل الرابع
من أساليب النحو والبلاغة في القرآن الكريم

تمهيد: ما معنى الأسلوب؟

من المعروف أنَّ الأسلوب هو المعنى المصوغ في ألفاظ مؤلفة على صورة تكون أقرب لبلوغ الغرض المقصود من الكلام، كما تكون أوقع أثرًا في نفوس السامعين.

والكلام الفصيح هو ما كان واضح المعنى، سهل اللفظ، جيد السبك، ينطوي على الفصاحة، وهي تأدية المعنى الجليل في وضوح وبعبارة صحيحة فصيحة، لها أثرها في النفس، وتلائم المقام والمخاطبين في نفس الوقت، وتبتعد عن التعقيد.

فالأسلوب إذن لفظ ومعنى، وتأليف للألفاظ؛ يمنحها قوَّةً، وتأثيرًا، وحسنًا، ودقَّةً في اختيار الكلمات والعبارات على حسب مواطن الكلام ومواقعه، وموضوعاته، وحال السامعين.

والمعنى الواحد يمكن أداؤه والتعبير عنه بأساليب عدة وطرائق مختلفة.

ولكل كاتب أسلوبه أو طريقته أو مذهبه في تأليف الكلام، واختيار الألفاظ والعبارات؛ ولهذا تعدَّدت أساليب الأدباء والشعراء والكتّاب لتعدد

أشخاصهم، واختلاف مذاهبهم، وتبايُن اتجاهاتهم، بل إن الكاتب الواحد تتعدد أساليبه وتتنوع بتنوُّع الموضوعات التي يتناولها، والفنون التي يعالجها.

إن المفردات والتراكيب التي يستخدمها الأدباء والكتّاب في جملتها واحدة، إلاَّ أن أساليبهم تختلف، وطرائقهم تتنوع؛ وذلك بسبب الطريقة أو الأسلوب أو المذهب الذي ينتهجه كل مؤلف في اختيار مفرداته وتراكيبه، وصوغها وسبكها لتؤدي المعنى المراد من الكلام.

التعبير القرآني:

أمّا القرآن الكريم، هذا الكتاب المعجز الذي انفرد في تأليف كلامه، وفي اختيار ألفاظه، فالأمر فيه يختلف؛ ذلك أنَّ قائله ومنزله مختلف، فهو ليس بشرًا، وإنما هو خالق البشر، لذلك لم يظفر الوجود بأسلوب بلغ الإعجاز الذي بلغه القرآن، وهيهات أن يستطيع أحد من البشر أن ينشىء آية واحدة من مثل آياته، أو مثل أسلوبه وإبداعه، أو أن يتحدى بيانه.

ولا خلاف بين أهل اللغة، وأهل العلم، وأهل الأداء في أن التعبير القرآني تعبير فريد في علوّه وسموّه، وأنه أعلى كلام وأرفعه، وأنه الكلام الذي بهر العرب وأعجزهم وتحدّاهم أكثر من مرة.

لقد تحدّى القرآن العرب وجميع الخلق بأن يأتوا بعشر سور مثله إن كانوا يرون أنه افتراء، فقال في محكم كتابه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [هود].

رفع المسهم

ثم تحدّاهم أن يأتوا بسورة من مثله، وقرر أنهم لن يفعلوا، وأقام الحجة عليهم، قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [البقرة].

بل لقد أخبر الله سبحانه وتعالى أنهم لن يأتوا بمثل القرآن ولو تضافرت الإنس والجن على ذلك، قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء].

لقد كان القرآن الكريم بسحر بيانه وروعة جماله.. يأخذ الكفار ويشدّهم فلا يملكون إلاّ أن يستمعوا إليه ولو بالخفاء، وكانوا يسعون للحيلولة دون سماع الناس لآياته؛ لأنهم يدركون تمامًا ما يحدثه في النفس من هزة وخشوع.

إن التعبير القرآني تعبير فني مقصود، كل لفظة، بل كل حرف فيه وُضع وضعًا فنيًّا مقصودًا، ولم تراع في هذا الوضع الآية وحدها، ولا السورة وحدها، بل روعي في هذا الوضع التعبير القرآني كله[1].

ولقد دُرس التعبير القرآني دراسات مستفيضة، وحظي بالتأمُّل والنظر والدراسة المتعمقة كما لم يحظَ أي نص أو عمل آخر على وجه الأرض؛ فقد درس من حيث إعجازه الفني، ومن حيث نظمه وموسيقاه، وهل يشك أحد في فخامة نظمه، وحلاوة موسيقاه، وعذوبة جَرْسه، وحسن اختيار ألفاظه، وجمال وقع آياته[2]؟!.

❑ ❑ ❑

(١) فاضل السامرائي، التعبير القرآني ــ ص١٠.

(٢) التعبير القرآني ــ ص١٩.

رفع المسهم

[١]

لمحات من أسلوب القرآن الكريم

تمهيد:

الحقيقة أن جمال الأسلوب القرآني يتمثل في عناصر متعددة، منها: جمال المفردات القرآنية، وروعة دلالاتها، وصياغة الآيات وتركيبها، وبلاغة العبارات وبلوغها طرفًا أعلى من البلاغة المعجزة.

وقد وجدت نفسي مأخوذة بهذا الموضوع، قد أسرني هذا الأسلوب الرفيع الذي يزداد رفعة وعلوًّا كلما قرأته وتأملتُ فيه.

ولا بأس من الإشارة إلى بعض ما توصلت إليه الدراسات التي قامت حول القرآن الكريم، فهو منذ اللحظات الأولى لنزوله، وحتى يومنا هذا مثار حركة فكرية وأدبية عند العرب والمسلمين، وكلما قُرِئت سوره وآياته ظهر الجديد من أساليب التعبير والبيان الذي يعلق بالقلوب ويأخذ بالألباب، فلا يملك القارىء في كل حين إلاَّ التسليم بروعة هذا الكتاب وعَظَمَته، وبلوغه قمة الفصاحة والبلاغة.

الفصاحة والبلاغة والإيجاز:

قديمًا أشار الثعالبي إلى معانٍ جميلة لألفاظ تتردد على ألسنة الناس كثيرًا، وقد لا يميزون بينها برغم وجود بعض الفروقات الواضحة

رفع المسِيرهُما

في معانيها، وأقصد بها: الفصاحة، والبلاغة، والبيان، والوجازة أو الإيجاز(١).

فالفصاحة: خلوص الكلام من التعقيد، وابتعاده عن استخدام اللفظ الشاذ الذي لا يُفهم، والغريب الذي لا يُعلم.

أما البلاغة فهي: أن يبلغ الرجل بعبارته حقيقة ما في قلبه من إيجاز بلا إخلال، أو إطالة من غير إملال.

والبيان: قريب من الفصاحة، ومنه قول النبي ﷺ: **«إنَّ مِن البيان لسحرًا»**.

إنَّ الفصاحة كما يراها أصحابها وأربابها من العلماء ليست في استعمال اللفظ الشاذ الذي لا يُفهم، أو الغريب الذي لا يُعلم، وإنما هي الفصاحة التي تتوافق فيها الألفاظ مع قوانين اللغة وقواعدها، وتلتقي مع مبادىء علم الجمال في اللفظة المعبرة.

أما الإيجاز: فيعني التعبير عن المعنى بأقل ما يمكن، وذلك قصدَ تسهيل الحفظ، أو تقريب الفهم، أو لضيق المقام، أو لدفع السآمة والضجر والملل عن القارىء.

ومن الإيجاز المستخدم في القرآن الكريم نوعان:

إيجاز القصر: ويعني تقليل اللفظ، وتكثير المعنى.

ومثاله قول الله تعالى مخاطبًا النبي ﷺ: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [الحجر]. وهي كلمات ثلاث تضمنت جميع معاني الرسالة.

---

(١) أبو منصور الثعالبي، روضة الفصاحة ـ ص١٧ ـ ١٨.

كذلك قوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف]. وهذه كلمات شملت مكارم الأخلاق.

وقوله تعالى: ﴿ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الرحمن]. وتعني مسودتان من شدة الخضرة.

٢ ـ **وإيجاز الحذف**: ويعني الاستغناء بالمذكور عما لم يُذكر، ومثاله قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾ [البقرة: ١٨٩]، أي: ولكن البّر بّر من اتقى.

وقوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف: ٨٢]، أي: واسأل أهل القرية، وقد أفاد الحذف هنا الشمول للقرية بما فيها وبمن فيها[١].

جوانب من إعجاز القرآن الكريم:

وإذا امتد بـي الحديث قليلاً حول أسلوب القرآن، وهو الذي لم يخرج عما كان معهودًا عند العرب في لغتهم، فمفرداته مفرداتهم، وجمله جملهم، وقواعد صوغه قواعدهم، من حروف العرب وكلماتهم تألفت كلماته وتراكيبه، وعلى قواعدهم جاء تأليفه، ومع هذا كله فقد أعجزهم بأسلوبه الفذ، ومذهبه المعجز، ولو دخل عليهم من غير هذا الباب الذي يعرفونه، بل يبرعون فيه، لأمكن أن يكون لهم عذر أو يسلم لهم طعن أو شبه طعن فيه، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [يوسف: ٢][٢].

أقول إذا امتد بـي الحديث عن خصوصيات هذا الكتاب المعجز، فإن الأجدر بـي الإشارة إلى بعض خصوصيات امتازت بها مفردات القرآن

(١) روضة الفصاحة ـ ص١٨ ـ ٢٠.

(٢) بكري شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن الكريم ـ ص١٨٣.

وألفاظه، وهي كثيرة، ومن الصعب استقصاؤها، ولكني أحببت الإشارة إلى ما يدعو إلى التأمل والتدبر منها؛ رغبة مني في تقديم فوائد بلاغية، ولطائف نحوية حصلتها، وأبغي وصولها إلى نفوس القارئين.

ولا أدَّعي أن لي الفضل في استنباط هذه الخصوصيات، ولكن الجهد الذي بذلته ينحصر في انتقاء هذه الفوائد، وترتيبها، والقياس عليها، والإضافة إليها، بعد اختيار ما رأيته ذا نفع، وأحسبه يقدم جديدًا للقارىء.

ومن هذه الجوانب والخصوصيات المعجزة في كتاب الله ما يلي:

١ ــ ما تتميز به المفردة القرآنية من جمال الوقع، واتِّساق مع المعنى اتِّساقًا كاملاً، واتساع في الدلالات التي تحملها حروفها.

وقد يتجسد المعنى محسوسًا مجسمًا في خيالك دون حاجة إلى العودة إلى المعاجم، وذلك حين تتأمل بعض المفردات القرآنية مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾ [التكوير]، حيث تتصور إقبال الظلام وتمدده في الآفاق المترامية، في كلمة ذات دلالة قوية وهي (عسعس)، كذلك تجد كلمة (تنفس) تصور لك انفلات الضحى من مخبأ الليل.. إنها دقة متناهية في التعبير.

إنَّ جَرْس المفردات القرآنية يوحي بمعناها قبل أن يوحي مدلولها اللغوي بذلك[١]. فانظر مثلاً في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [التوبة: ٣٨]. وتأمَّل الأداء الذي قامت به لفظة (اثَّاقَلْتُمْ) بكل حروفها، من ترتيب لها، ومن حركة التشديد في حرف الثاء، والمد الذي يأتي بعده، ثم القاف بتفخيمه وقلقلته،

(١) بكري شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن الكريم ــ ص١٨٥.

ثم التاء بهمسه، والميم التي تنطبق عليها الشفتان، ويخرج معها صوت الغنة . . . إن هذه الكلمة تجسد لك الجسم المثاقل الذي يرفعه الرافعون في جهد، ويسقط في أيديهم في ثقل، وفيه البطء في التلفظ، الموحي بالحركة البطيئة في الدلالة[١].

ومن أمثلة المفردات القرآنية الغنية بدلالتها، العجيبة بما تحمله من إيحاءات، كلمة (يَتَرَقَّبُ) في قوله تعالى: ﴿ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ [القصص: ١٨]، حيث ترسم هيئة الإنسان الخائف الحذر المتلفت.

وكذلك إذا تأملت في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ ﴾ [الإنسان]. سوف تجد كلمة (عبوسًا) تصور لك في دقة بالغة نظرة الكافرين إلى ذلك اليوم؛ حيث يجدونه عابسًا مكفهرًّا، فما أشد اسوداده؛ فيه يفقد المرء الأمل والرجاء. ومثل ذلك كلمة (قمطريرًا) بثقل الطاء فيها، حيث تشعرك بثقل ذلك اليوم، أما في كلمتي (النضرة، والسرور) فأنت تحس بالتعبير الدقيق عن المظهر الحسي للمؤمنين، وما يظهر على وجوههم من إشراق وبهجة[٢].

ومن أمثلة التعبير الدقيق في القرآن الكريم، الذي تجد فيه المعنى متجسدًا في الحروف، ومن ثم في الكلمة: قوله تعالى: ﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ ﴾ [الشمس: ١٤]. تأمّل كلمة (دمدم) تجد فيها التهويل والتفظيع؛ لأن الدمدمة تعني العذاب والهلاك العظيم، والكلمة لغةً تحمل معنى الهلاك والطحن، والإهلاك بالاستئصال، وقد استخدمت في السورة بدقة؛ لتصور كيف أهلك الله قوم صالح بعد أن قتلوا الناقة، برغم تحذير

---

(١) التعبير الفني في القرآن الكريم ـ ص١٨٦.

(٢) المصدر السابق ـ ص١٨٨.

رفع المسيهم

نبيهم «صالح» لهم؛ فدمرهم الله عن آخرهم، واللفظة (دمدم) تصور إطباق العذاب عليهم إطباقًا لم يفلت منه أحد منهم، بل دُمِّروا عن آخرهم. ولم يرد ذكر هذه الكلمة (دمدم) في القرآن الكريم إلا في هذه السورة فقط... والله أعلم.

وكذلك إذا تأملنا كلمة (عسعس) في سورة التكوير، في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧﴾ [التكوير]، أي الليل إذا أقبل بظلامه حتى غطى الكون. والكلمة فعل رباعي مضعَّف (أوله وثانيه مكرران) ومثله: زلزل، وسوس... الخ، وهي كلمة حروفها تدل على معناها دلالة واضحة تجسد الحدث، وتوحي به أجمل إيحاء، وتجعلك ترى ظلمة الليل، وتتمثل سواده حين يغطي الكون.

وأكثر ما يشدّ القارىء: التناسق الجميل في القرآن، وهو ائتلاف الحركات والسكنات، والمدات والغنات، والاتصالات والسكتات، وهو ما يسترعي الأسماع، ويأسر القلوب، ويستهوي النفوس، مما لا يمكن أن يصل إليه كلام آخر من نظم أو نثر.

إن الجمال الصوتي، والتناسق الفني، والإيقاع الموسيقي، هو أول ما أحسَّته الأذن العربية يوم أن نزل القرآن، وتلاه الرسول ﷺ، فأحدث هزة في نفوس العرب، وخيل إليهم أول الأمر أنه شعر، ولكنهم بعد ذلك أدركوا أنهم أمام كلام معجز ما عهدوا مثله من قبل.

وإذا استمع أحدنا إلى حروف القرآن خارجة من مخارجها الصحيحة، يشعر بتناسق رصف الحروف بعضها بجانب بعض، في الكلمات وفي الآيات، فهذا حرف يُنقر، وذاك يُصفر، وهذا يُخفى، وذاك يُظهر، وذاك يُهمس، وذاك يُجهر. ومِن هنا يتجلى جمال القرآن، حيث يظهر النظام

رفع المسيهم

الصوتي، والجمال اللغوي، وكأنه سُور منيع يحفظ القرآن، بحيث لو داخله شيء من كلام البشر لاعتل مذاقه، واختلّ نظامه[(١)].

فما أروعه من جمال! وما أجله من نظام!

٢ ــ ما تتميز به الألفاظ من خصوصية في الاستخدام؛ فقد اختص القرآن الكريم كثيرًا من الألفاظ باستعمالات خاصة، تدل على القصد الواضح والمعنى المقصود في التعبير بوضوح، ومن ذلك:

* **استعمال (الرياح)** حيث وردت في القرآن الكريم للدلالة على الخير والرحمة، في حين أن استعمال (الريح) ورد للدلالة على الشر والعقوبة:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٧].

وقال عزّ وجلّ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الروم: ٤٦].

في حين قال عز وجل: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ﴾ [آل عمران: ١١٧].

وقال عز وجل: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦﴾ [الحاقة].

ولم تستعمل كلمة (الريح) في القرآن الكريم في الخير إلا في موضع واحد، أعقبها بالشر في الآية ذاتها، وذلك في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ

(١) التعبير الفني في القرآن الكريم ــ ص١٨٨.

رفع المسبهم

﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ [يونس: ٢٢]، وهي خاتمة غير حميدة[١].

* وأمثال ذلك كثير، منها: ذكر (المطر) في القرآن الكريم؛ حيث لا يذكر المطر في كتاب الله إلا للدلالة على الانتقام، بخلاف (الغيث) الذي يذكره الله في كتابه للدلالة على الخير[٢].

قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأعراف].

وقال عز وجل: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [النمل].

وقال أيضًا: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ﴾ [الفرقان: ٤٠].

في حين ترى في قوله تعالى استخدامه للغيث: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى].

وكذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [يوسف].

* ومن **الألفاظ** التي اختصها القرآن الكريم بدلالة معينة استخدام كلمة (العيون) وكلمة (الأعين)، وكلتاها جمع كلمة (عين)، وهي عضو الإبصار في الإنسان، أو ينبوع الماء العذب، ولكن القرآن لم يستعمل (العيون) إلا لعيون الماء. في حين استعمل (الأعين) للعين الباصرة..

---

(١) التعبير القرآني ـ ص١٤.

(٢) المصدر السابق ـ ص١٥.

تأمّل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الحجر].

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ ﴾ [المرسلات].

ثم تأمّل قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ ﴾ [الأعراف: ١١٦].

وقوله تعالى: ﴿ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ ﴾ [المائدة: ٨٣].

وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى ﴾ [الكهف: ١٠١].

٣ ــ **صياغة الآية القرآنية**، أو كما يقولون: العبارة القرآنيّة، أو الجملة في اللغة العربية، وتردد صياغة العبارة القرآنية في المستوى الأعلى من البلاغة، والذي يعد إعجازًا في حد ذاته.

ما أروع البلاغة حين تضع كل شيء موضعه الصحيح، وتقدر الكلام بحسب المقام، فهذا ــ مثلاً ــ موقف موسى عليه السلام في مناجاة مع ربه، حين يكون الإسهاب في الحديث مرغوبًا، والإطالة في المناجاة مرغوبة.

فقد تحدَّث علماء المعاني والبلاغة عن المواضع التي يذكر فيها المسند إليه (المبتدأ، أو الفاعل)، ومنها الآية الكريمة: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾ [طه]. فالمقام المحبوب هنا هو ما جعل موسى يقول: (هِيَ عَصَايَ)، ولم يكتف بقوله: (عصا)، بل زاد المبتدأ (المسند إليه) وهو الضمير (هي)، وأضاف العصا إلى ياء المتكلم فقال: (عصاي)، وبسط في الكلام[1].

---

(١) التعبير الفني في القرآن الكريم ــ ص١٩٣.

ومن أمثلة البلاغة في استخدام الصيغ المختلفة في العبارة القرآنية ما يأتي:

* في قوله تعالى: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾﴾ [طه]. الإبهام الشديد في كلمة (ما)، وما أفاده هذا الإبهام والغموض من التهويل والتفخيم، أغنى عن قول أديب: فغشيهم من اليم دوار أو صداع أو امتناع عن الطعام أو عزوف عن المنام... الخ.

* قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء]. فيه بلاغة استخدام حروف العطف؛ فقد استخدمت أروع استخدام، حيث عطف في الآية الأولى بالفاء لتعقب بلا مهلة الهداية للخلق، وكذلك العطف في الآية الثالثة لتعقب الشفاء بالمرض بسرعة. وفي الآية الثانية عطف بالواو لمجرد الجمع بين الطعام والشراب. وفي الآية الرابعة كان العطف بالأداة (ثم) للدلالة على التراخي (الفترة الممتدة) بين الإحياء والإماتة[1].

* ومثال آخر على روعة استخدام الحروف قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة]. ففي قوله تعالى: [لا رَيْبَ فِيهِ] لم يقدم الجار والمجرور (فيه) على قوله: (لا ريب) لأنه إنما أراد أن ينفي الريب أو الشك عن القرآن الكريم وحده، دون أن يتعرض للكتب السماوية الأخرى، ولو عكس التعبير فقيل: (لا فيه ريب) لأدى التعبير إلى نفي الريب عن القرآن وإثباته ــ في الوقت ذاته ــ لغيره من الكتب السماوية، وهو غير المراد وغير المقصود في الآية.

---

(١) التعبير الفني في القرآن الكريم ــ ص١٩٥.

* إن الآيات القرآنية أو العبارات القرآنية لا شك صيغت بأسلوب يعجز عنه البشر، والدلائل على البلاغة الحقة في القرآن الكريم كثيرة ولا يمكن حصرها، وربما تحتاج إلى صفحات لا تنتهي.

ومن هذا المنطلق أذكر الاستعمال القرآني العجيب في الألفاظ التي تبلغ قمة الأدب والفن في ضروب التعبير، والتي لا يجد أحد فيها اختلافًا أو نبوًا، أو اضطرابًا، ومن أوضح الأمثلة في هذا المجال أساليب التوكيد في القرآن الكريم؛ فهو وحدة فنية متكاملة، تتناسب في كل موطن وفي كل مقام، وتتسق مع السياق الذي وردت فيه في روعة أداء، وبلاغة تعبير.

ولو حاول أحدنا أن يحدث تغييرًا في مواضع الألفاظ، أو بمعنى آخر يقدم أو يؤخر، أو يحذف أو يضيف، ما استقام التعبير، ولا أدى المعنى المراد له.

والمكتبة القرآنية غنية بالدراسات التي تناولت إعجاز القرآن في بلاغته ونحوه، مما لا يمكن إحصاؤه، أو الوقوف على اتجاهاته ومجالاته؛ فكم من دراسات مستفيضة دارت حول النص القرآني، وعالجت مفرداته وبلاغة التعبير فيه، وكلها تصل إلى إعجازه، وتقر بعلوه وسموه، إنها حقيقة خالدة.. القرآن الكريم معجز في كل شيء، وفي كل جانب، وفي كل معنى، وفي كل تشريع وفي كل طرف من أطرافه، إنه الكتاب الراسخ في إعجازه.

* * *

وفي هذا الفصل... دعوة إلى تأمل الأسلوب القرآني، والآيات القرآنية؛ وذلك لأن التأمل يسوق القارىء إلى التدبر في المعنى، وهذا التدبر يؤدي به إلى الوقوف على بلاغة التعبير القرآني، وروعة البلاغة القرآنية في

وضع الكلمة موضعها المناسب، والمخاطبة بحسب المقام وحال المخاطب أو حال الغائب، فلكل منهما حاجته من الأسلوب الخطابي الموجه إليه، ومن ثم فإن القارىء سوف لن يقف عند حدود تلاوة السور والآيات فقط، ولن يكتفي بحدود معرفة المعاني المقصودة أو الأحكام المشرعة، وإنما سيصل به التأمل اللغوي إلى الاستمتاع ببلاغة القرآن الكريم، وسحر بيانه المعجز المبدع في أسلوب متنوع، ومستفيض، ومغدق.

إنه الكتاب العربي المبين، الذي كلما نظرتَ فيه، وقرأتَ كلماته، وتأملتَ عباراته، فُتِحَت أمامك خزائن بيانية، وانكشفت لك أسرار بلاغية، تزيدك رغبة في التأمل وتدفعك إلى مزيد من الإقبال على تلاوته، والاستزادة من أسراره اللغوية.

فهو كتاب الله الذي ليس قبله شيء، وليس بعده شيء.. وهو الكتاب الذي لا يشبع منه العلماء، ولا يكتفي منه القرَّاء.. لا تنقضي عجائبه، ولا تدرك بلاغته، ولا ينتهي إعجازه، بل هو معجز على مر الدهور والعصور.

❑ ❑ ❑

[٢]
دعوة إلى تدبُّر معاني القرآن وتأمُّل أساليبه

وقفة لا بدَّ منها:

أنا من الذين يؤمنون بأن اللغة العربية أرقى لغات العالم؛ لما تتميز به من قدرة على التعبير عن معان في منتهى السمو والرفعة، ولما تمتاز به من مرونة وقدرة على الاشتقاق والمجاز، وغير ذلك من الخصائص التي تجعل منها لغة جميلة خالدة، وإن كان يكفيها فخرًا أن تكون لغة القرآن الكريم.. لتكسب بذلك عظمة وشموخًا وخلودًا مدى الدهر.

كذلك فإني مؤمنة بأن علوم العربية أو فنونها أو مجالاتها وثيقة الصلة، عظيمة الارتباط، ولا يمكن فصلها إلا قصدَ الدراسة والتدقيق والتركيز، والحقيقة أنها لا تنفصل ولا ينبغي النظر إليها إلا على أساس تكاملي، ومن منطلق اللغة المتكاملة.

ومِن هنا، فإنَّ دراسة النحو يجب ألا تكون في معزل عن المعاني، وعن البلاغة، وهذا ما التفت إليه الكثير من اللغويين والنحاة المُحْدثين، ودرسوا النحو والبلاغة معًا؛ ذلك لأنَّ البلاغة لا تتحقق بدون موافقة تركيب الكلام لقواعد اللغة، ولفصاحة الألفاظ وجزالتها، وتآلفها، وانسجامها مع المعاني المقصودة.

وهذا لا يتعارض مع القول بأن النحو دعامة العلوم العربية، وأنه كما يقول الدكتور عباس حسن: وسيلة المستعرب، وسلاح اللغوي، وعماد البلاغي، وأداة المشرع والمجتهد، والمدخل إلى العلوم العربية والإسلامية جميعًا[١].

ولقد تصدى كثير من الكتاب واللغويين لدراسة القرآن الكريم، وتفسيره، واستنباط ما فيه من وجوه البلاغة من خلال أساليب نحوية وتراكيب لغوية، مؤكدين بذلك الارتباط العظيم بين النحو والبلاغة، ومظهرين الكثير من الجوانب البلاغية السامية المعجزة في كتاب الله.

ولا شك أن فهم كتاب الله وتفسيره له شروط، وله مقومات ينبغي توافرها في الإنسان ليكون قادرًا على التفسير، وقديمًا تحدث العلماء عن هذه الشروط والمقومات، وليس المقام هنا مناسبًا لذكر هذه الشروط.

ولكن الجدير بالذكر أن جهود العلماء والمفسرين من القديم إلى الوقت الحاضر تعددت وتطورت، واختلفت في منهجها وأسسها. وقد عرض لها ملخِّصًا أهمّ ما تتميز به وما تعتمده الدكتور بكري شيخ أمين[٢]، حين عقد فصلاً خاصًّا بتفاسير القرآن الكريم، وذكر ثمانية من أنواع التفاسير التي نشأت حول كتاب الله، وأشار من ضمنها إلى التفسير الأدبي للقرآن، وأثنى على عدد من المراجع في هذا المجال أذكر منها:

(١) النحو الوافي، الجزء الأول ــ ص٢.

(٢) التعبير الفني في القرآن الكريم ــ ص٩٣ ــ ١٣٥.

ـ «في ظلال القرآن» للكاتب الكبير سيد قطب. هذا الكتاب الذي يعد من أحدث ما صدر في العالم العربي من التفاسير، والذي يُعنى بإبراز الصور الجمالية في القرآن، على الرغم من وجود محاولات سابقة تصدَّت للكشف عن الصور البيانية وإبرازها مثل: تفسير «الكشاف» للزمخشري، و «دلائل الإعجاز» للجرجاني، وكثير من كتب البلاغة.

وظهرت بعد ذلك كتب ودراسات تعنى بتفسير القرآن بهذا المنحى البياني البلاغي منها:

ـ «التفسير البياني للقرآن الكريم» لعائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء). وتفسير «صفوة التفاسير» لمحمد الصابوني.

ومن الكتب والدراسات الحديثة التي تسنى لي الاطلاع عليها والتي يظهر فيها الربط بين النحو والبلاغة والمعاني:

ـ كتابان للدكتور فاضل السامرائي وهما: «التعبير القرآني»، و «لمسات بيانية في نصوص من التنزيل».

ـ وكتاب «من فيض الرحمن في بلاغة النحو في القرآن» لخضر عبد السلام حسن أبو طالب.

ـ وكتاب «رياض القرآن» لسمير شريف استيتية.

وهكذا اختلفت التفاسير واختلف الفهم؛ لاختلاف الأدوات المستخدمة لفهم القرآن وتفسيره، وهذا أمر طبيعي، وظاهرة مرغوبة، ولا شكّ أنها مستمرة؛ لأن كتاب الله مورد لا ينقطع، ومَعين لا ينضب.

والحقيقة أني ما أردت من هذه التوطئة إلا أن أدعم قولي بعمق الصلة

رفع المسيّاهم

بين النحو والمعنى والبلاغة، أو بالأحرى بين علوم العربية، وأنها جميعًا أسلحة لمن أراد اقتحام هذا المجال العظيم.

وبناء على ما سبق أقول:

إنه مما ينبغي على القارىء لكتاب الله، المتأمل لكلامه عز وجل، أن يلج في هذا البحر العميق، وأن يتدبر الآيات، ويتفكر في المعانيِ، ويقف على مواطن الجمال في التعبير القرآني، فذلك من تمام أمور التلاوة الحقة لكتاب الله عز وجل، كما أنها من أبسط الواجبات التي علينا تأديتها نحو هذا الكتاب العظيم، دستورنا ونبراسنا في الحياة.

ومن هنا.. أدعو القارىء إلى التأمل، والاستمتاع... بأساليب نحوية بلاغية، تجعله يزداد حبًّا لكتاب الله، وإقبالاً على تلاوته، وتعلقًا بما فيه من سمو التعبير وعلوّ البلاغة.

وقد اخترت بعض الأبواب من النحو ذات الصلة الوثيقة بالبلاغة القرآنية، والبيان القرآني أعرضها مستعينة بما هيَّأه الله لي من مراجع، وما أنعمه الله عليَّ من رغبة في الاجتهاد، واندفاع إلى تقديم ما فيه الخير بإذنه تعالى.

وقد اخترت هذه الأبواب من دون غيرها، لأسباب هي:

١ ــ أرى أنها تكثرفي القرآن الكريم بصورة واضحة وجلية.

٢ ــ أجد فيها دليلاً واضحًا على عظيم الصلة بين النحو والبلاغة.

٣ ــ أحقق بها غرضًا أساسيًّا، وهو إشراك القارىء في استقراء بعض من أساليب النحو، واستيضاح شيء من مواطن الفن

والجمال في كتاب الله، حين يتلو آياته، ويتذوق لغته، فيغدو مبهورًا بروعة بيانه، وسحر بلاغته.

٤ ــ أجدها تعين القارىء على فهم الآيات القرآنيَّة، وإدراك المقاصد الشرعيَّة، كما أنها تؤكِّد الصِّلة الوثيقة بين النحو والمعنى في لغتنا العربيَّة، وفي الكلام الذي نتلوه في كتاب الله.

❑ ❑ ❑

[٣]

التوكيد في القرآن الكريم وأساليبه

مدخل:

من المعلوم أن الجملة في اللغة العربية صورة لفظية صغرى مؤلفة من عدد من الكلمات، تحمل معنى مفيدًا، قد يتم بها المعنى، وقد تحتاج هذه الجملة إلى جمل أخرى ليتم المعنى ويتَّضح، ومِن ثَمَّ يتألَّف الكلام التام المفيد.

والكلام في اللغة العربية له تركيب أو نمط معين، وهو يستوجب تقدم الفعل على الفاعل مثلاً، وتقدم المبتدأ على خبره.. ولكن هذا النمط ليس من الجمود والرتابة بحيث يلزم هذا القالب فلا يحيد عنه؛ فاللغة العربية غنية بالتنوع، وقابلة للتغيير والتبديل دون المساس بالسمة الخاصة لها، أو إخراجها من قواعدها المعروفة، التي تضبطها، وتجعلها ضمن القياس الصحيح، والقواعد السليمة.

ومن هذا المنطلق تتنوع الأساليب، ويختلف الأداء اللغوي من كاتب إلى آخر، بل عند الكاتب الواحد لتعدد الموضوعات التي يتناولها.

ومن الأمور الأساسية التي يراعيها المؤلف أو المتكلم: ملاءمة كل كلام للموطن الذي يقال فيه، وللمخاطب الذي يخاطبه.

رفع المسالهمة

والبلاغة في اللغة إنما هي لفظ ومعنى، وتأليف للألفاظ يمنحها قوة وتأثيرًا وجمالاً، ثم إنها دقة في اختيار الكلمات والأساليب على حسب مواطن الكلام ومقاماته، ومواقعه وموضوعاته، وعلى حسب حال السامعين والقارئين، والاستعداد النفسي الذي فُطروا عليه، والحالة النفسية التي يكونون عليها حال تلقيهم للكلام المقول أو المكتوب.

وتستوجب البلاغة معرفة علم المعاني، وهو العلم الذي يبحث في وجوب مطابقة الكلام لحال السامعين، والمواطن التي يقال فيها الكلام، ويؤكد لك أن القول لا يكون بليغًا كيفما كانت صورته، حتى يلائم المقام الذي قيل فيه، ويناسب حال السامع الذي ألقي عليه، وقديمًا قال العرب: لكلّ مقام مقال[١].

أهمية معرفة حال المخاطب:

وتفيد دراسة علم المعاني ــ ضمن علوم البلاغة ــ في الاستفادة من الكلام استعانة بالقرائن، وتؤكد للقارىء كيف أن الكلام في أصله يفيد معنى وضع له، ولكنه قد يؤدي معنى جديدًا يفهمه القارىء أو السامع من السياق، ويرشد إليه الحال أو الموطن الذي قيل فيه.

ويوجب علم المعاني كذلك أن يخاطَبَ كل إنسان على قدر استعداده في الفهم وعلى قدر نصيبه من اللغة والأدب، فلا يجوز أن يخاطب العامي بما يخاطب به الأديب الملم بلغة العرب وأسرارها[٢].

ومن هنا.. فإنَّ الخبر أو الكلام قد يؤكده المتكلم به أحيانًا، وقد يلقيه

(١) البلاغة الواضحة ــ ص٢٥٨.

(٢) المصدر السابق ــ ص٢٥٩.

رفع المسيّهم

بغير توكيد، وذلك على حسب حال السامع من جهل بمضمون الخبر، أو تردد في قَبوله، أو إنكار له، وهو ما يعرف في هذا المجال بأضرب الخبر.

وأضرب الخبر ثلاثة(١):

الأوّل: يُسَمَّى ابتدائيًا، وذلك عندما يكون المخاطب خالي الذهن من الحكم أو من مضمون الخبر الملقى إليه، ولذلك لا حاجة إلى توكيد الخبر، فيأتي خاليًا من أدوات التوكيد. ومثال ذلك قوله عز وجل: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة].

وقول الشاعر الكبير أبي الطيب المتنبي:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم ... وتأتي على قدر الكرام المكارم

وتكبر في عين الصغير صغارها ... وتصغر في عين العظيم العظائم

الثاني: يسمّى طلبيًا، وذلك حين يكون المخاطب لديه إلمام قليل أو بسيط بمضمون الخبر الملقى إليه، وهو إلمام ممزوج بالشك، فهو يتوق إلى معرفة الحقيقة لترتاح نفسه، ويطمئن قلبه، ويحسن هنا أن يقدم إليه الخبر ممزوجًا بشيء من اليقين؛ حتى يتضح الأمر أمامه وتزول الشكوك من نفسه، ولذلك يلزم توكيد الخبر أو الكلام بمؤكّد واحد.

ومثال ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾﴾ [الأحزاب].

وقول الشاعر:

إنّ البناء إذا ما انهدّ جانبه ... لم يأمن النّاس أن ينهدّ باقيه

---

(١) بانتقاء وتصرف من كتاب (البلاغة الواضحة).

الثالث: يسمَّى إنكاريًّا، حين يكون المخاطب منكِرًا للخبر، جاحدًا له، لا يستجيب لجهل منه أو ضلالة أو جحود.. حينئذ لا بد من تضمين الخبر مؤكِّدين أو أكثر، بحيث تكون هذه المؤكِّدات من وسائل التقوية التي تدفع إنكار المخاطب وتدعوه إلى التسليم، وذلك بقدر درجة الإنكار ومستواه من القوة أو الضعف، **فقد يؤكد الكلام بمؤكدين فقط، وقد يأتي مؤكدًا بثلاث من أدوات التوكيد.**

ومثال ذلك: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المؤمنون].

وقوله تعالى: ﴿۞ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

وقول الشاعر:

وإنــي لحلــو تعتــريـنــي مــرارة وإنــي لتــرَّاك لمــا لــم أعــوَّد

وهكذا.. تتَّضح أهمية معرفة حال المخاطب، وحال الموقف عند إلقاء الكلام.

وتعد مراعاة حاجة المتكلم إلى التأكيد من أهم قواعد البلاغة في الكلام.

وقد تخفى هذه الدقائق اللغوية على غير أهل اللغة؛ فقد روي عن أحد العلماء والفلاسفة البارعين في العهد العباسي أنه قصد شيخ النحو والعربية أبا العباس المبرد وقال له: إني لأجد في كلام العرب حشوًا! فقال له أبو العباس: أين وجدت ذلك؟ فقال: وجدتهم يقولون: (عبد الله قائم)، ثم يقولون: (إنَّ عبد الله قائم)، ثم يقولون: (إن عبد الله لقائم)، فالألفاظ مكررة والمعنى واحد. فقال له أبو العباس: بل المعاني مختلفة، فالأول إخبار عن قيامه، والثاني جواب عن سؤال، والثالث: رد على منكر.

رفع المسهم

وإذا تأمل أحدنا القرآن الكريم وجده إذا خاطب العرب والأعراب أوجز كل الإيجاز، وجعل الكلام فيه إشارة وإيحاء، وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم أسهب وأطنب.. وقلَّما يجد القارىء خطابًا موجهًا لبني إسرائيل إلا وهو مسهب ومطول؛ لأن يهود المدينة كانوا يرون أنهم أهل علم وأهل كتاب، ولذلك تجاوزوا الحد في العناد والمكابرة.

أهمية التوكيد في القرآن الكريم

إذا عرفنا أن الناس يختلفون في استعدادهم الفطري لتقبل الحق، والتسليم به، والانقياد لنوره، فالنفس الصافية التي لم تداخلها الوساوس تراها مستجيبة للهدى، ومنفتحة لقبول النور والضياء، وتقبُّل الحق ولو كان باللمحة والإشارة.

أما النفس التي يسيطر عليها الجهل، ويرنو عليها الباطل لا تهتز ولا تنصاع مهما أتيت لها بأساليب التوكيد ودلائل البيان..

إذا عرفنا ذلك.. أدركنا أهمية الإتيان بالألفاظ المؤكدة، وذلك بحسب الحاجة إليها، وما يقتضيه المقام منها.

وقد راعى القرآن الكريم ذلك أدق المراعاة في جميع ما ورد من مواطن التأكيد، فهو في غاية الدقة في اختيار الألفاظ المؤكدة ووضعها الموضع المناسب وفق طريقة فنية متقنة.

ويؤكد الدكتور السامرائي أن التوكيد القرآني كله وحدة متكاملة منظور إليه نظرة شاملة، روعيت في ذلك جميع مواطنه؛ فهو يؤكد في موطن ما مراعيًا موطنًا آخر قرب أو بعد، فتدرك أنه أكد في هذا الموطن لسبب اقتضى التوكيد، ولم يؤكد في موطن آخر يبدو شبيهًا بالسابق لانعدام موجبه،

رفع المسيهم

وترى أنه أكد بمؤكدين. وأكد في موطن آخر مشابه له بمؤكد واحد؛ لسبب دعا إلى استعمال كل تعبير في موطنه المناسب له. وكذلك في اختيار نوع المؤكدات، كل ذلك بحسب منظور فني كامل متكامل في القرآن، فجاء التوكيد كله لوحة فنية واحدة، فيها من عجائب الفن ما يجعل أمهر الفنانين يقف مبهورًا دهشًا مقرًّا بعجز الخلق أجمعين عن استخلاص عجائبه، فضلاً عن الإتيان بمثله[١]. وسوف أشير إلى أمثلة على ما ذهب إليه الدكتور السامرائي في موضعه من هذا الفصل إن شاء الله.

وأساليب التوكيد في اللغة العربية كثيرة، أسهب فيها النحاة كثيرًا، **اخترت منها الأساليب التالية للوقوف عندها**، واستنباط صورها، واستقراء الأمثلة الداعمة لها من القرآن، وما التوفيق إلا من الله سبحانه.

فمن الأساليب التوكيدية التي سأقف عندها:

١ ــ التوكيد اللفظي والتوكيد المعنوي.

٢ ــ التوكيد بالأحرف المشبهة بالفعل.

٣ ــ التوكيد بلام التوكيد.

٤ ــ التوكيد بـ (قد).

٥ ــ التوكيد بالأحرف الزائدة.

٦ ــ التوكيد بنوني التوكيد.

٧ ــ التوكيد بالقسم.

❑ ❑ ❑

(١) التعبير القرآني ــ ص١٢٥.

رفع المسيّهم

[٤]

التوكيد اللفظي والتوكيد المعنوي

بين التأكيد والتوكيد:

جاء في المعجم الوسيط[١]:

أكَّد الشيء أكْدًا: وثقه وأحكمه وقرَّره، فهو أكيد.

وأكَّد الشيء تأكيدًا: أكَّدَه، والقول المؤكَّد، أي: الموثق المحكم، وكذلك اليمين المؤكَّدة.

والتوكيد والتأكيد في الاصطلاح النحوي متقاربان، إلا أن التوكيد أشهر في استعمال النحاة، وهو ما يدخل ضمنه التوكيد المعنوي والتوكيد اللفظي، دون الأنواع الأخرى التي قد تفيد التوكيد مثل: إنّ، وأنَّ، والحرف الزائد، والقَسَم.. وغير ذلك. وهذه الأنواع من المؤكدات لا تسمى توكيدًا نحويًّا اصطلاحيًّا[٢].

وعليه.. فلا فرق في الكلمتين استخدامًا، لأن المقصود واحد.

---

(١) المعجم الوسيط، الجزء الأول ـ ص٢٢.

(٢) انظر: (النحو الوافي) الجزء الثالث ـ ص٥٠١.

التوكيد اللفظي

هو تكرار اللفظ السابق بنصّه، أو بلفظ آخر مرادف له، والمرادف لفظ يؤدي معنى لفظ آخر تمامًا، ولكنه يخالفه في حروف مثل: الفضة واللُّجين، قعد وجلس، وقولهم: (أنت حقيق قمِن)، أي: أنت جدير.

ومثال تكرار اللفظ بمرادفه: قوله تعالى: ﴿ فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ۝٧٧ ﴾ [طه]، [تخاف ــ تخشى].

وقوله عزَّ وجل: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ۝١١٢ ﴾ [طه]، [ظلمًا ــ هضمًا].

إذن لدينا مؤكَّد وهو (المتبوع) ومؤكِّد وهو (التابع).

والمؤكَّد المتبوع قد يكون اسمًا، مثل قوله تعالى: ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ ﴾ [القارعة].

وقد يكون المؤكد فعلاً، مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۝٢٠ ﴾ [الإنسان].

وقوله تعالى: ﴿ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢٩ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ۝٣٠ ﴾ [المرسلات].

وقد يكون المؤكد حرفًا كقولك: نعم، نعم أيها الداعي إلى الهدى.

وقد يكون جملة فعلية كقوله تعالى: ﴿ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ۝١٧ ﴾ [الطارق]، حيث كرر الفعل مع تغيير بسيط في نص الكلمة.

وقد يكون جملة اسمية كقوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١١ ﴾، هذه الآية التي تكررت في سورة المرسلات (١٠) مرات.

وقد يكون المؤكَّد اسم فعل نحو قول الشاعر:

هـي الـدنيـا تقـول بمـلء فيهـا حذار حـذار مـن بـطشي وفتكي[(١)]

وهذه ملاحظات يمكن الاستفادة منها في هذا الصدد:

* المـرادف يعنـي تكـرار المعنـى دون اللفـظ كقـولـك: أقبـل، جـاء الربيع.

* لا يصـح تكرار اللفـظ السابـق (المؤكَّد) أكثر مـن ثلاث مرات.. قال الشاعر:

ألا حبــذا، حبــذا، حبــذا صـديـق تحملـتُ منـه الأذى

* يحقق التكرار اللفظي أغراضًا متعددة، منها:

١ ـ تمكين السامع من تدارُك لفظ لم يسمعه، أو سها عنه، أو لم يتبيَّنه.

٢ ـ إبعاد الشك والغلط من المؤكَّد، والأساس هو تأكيد المؤكَّد.

٣ ـ تحقيـق أغـراض أخـرى مثل: التهديـد، التذكير، التنبيـه، استرعـاء الانتباه إلى عاطفة معيَّنة من حزن أو فرح، التهويل والتعظيم.

٤ ـ التلذُّذ بترديد لفظ يحمل مدلولاً محبوبًا ومرغوبًا، وتستعذبه النفس، كقول الشاعر:

أنــت، أنــت الحيــاة فــي رقــة الفجـر وفـي رونـق الـربيـع الـوليـد

* إذا كان التوكيد اللفظي جملة مكررة يجوز أن تكون مسبوقة بحرف من حروف العطف: ثم، أو الفاء، وحينئذ تعد حروف عطف مهملة لا تعمل وأنما هي صورية، أي شكلية فقط، كقوله تعالى: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾﴾ [القيامة].

---

(١) فيها: أي فمها، واسم الفعل هنا هو: حذار، بمعنى احذر.

ومثال ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ [التكاثر].

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٨﴾ [الانفطار].

وإذا خيف اللبس يجب أن يترك استخدام حرف العطف فلا يستخدم؛ وذلك حتى لا يقع توهُّم أن التكرار يعني حدوث الشيء مرتين، ومثال ذلك إذا قلت: عاقب الحاكم اللصوص، ثم عاقب الحاكم اللصوص، هنا يُخشى أن يفهم السامع أن العقاب تكرَّر وأنه مرَّتان، إحداهما بعد الأخرى، مع أن المراد مرة واحدة، وإنما جاء التكرار اللفظي للجملة لتأكيد المعنى.

* إذا كان المؤكَّد ضميرًا متصلاً فيؤكد بضمير يماثله في معناه، أو بضمير منفصل، ومثال ذلك قولك: (هل لك أنت في عمل الخير فتؤجر؟).

ونحو قول الشاعر:

إذا ما بدت من صاحب لك زلة فكن أنت محتالاً لزلته عذرًا

(الضمير البارز (أنت) توكيد للضمير المستتر اسم كان).

ومثال ذلك قوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام في سورة المائدة، مخاطبًا ربه: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝١١٦﴾ [المائدة].

* إذا كان المؤكد ضميرًا منفصلاً فيؤكد بضمير منفصل يماثله، وذلك بتكراره، نحو قولك: (أنت أنت مفطور على حب الخير).

* اللفظ الذي يقع توكيدًا لفظيًا يعرب توكيدًا لفظيًا لما قبله، فهو تابع لما قبله في الإعراب، وإذا كان التوكيد جملة فهي أيضًا تعرب توكيدًا للجملة التي قبلها، وليس غير ذلك، فهي لا محل لها من الإعراب، فلا تؤثر ولا تتأثر.

رفع المسيهم

أمثلة من التوكيد اللفظي في القرآن الكريم

الرقم	الآية / المثال	الموضع	نوع المؤكَّد	الغرض من التوكيد
١	﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ تكررت في السورة (٣١) مرة.	الرحمن	جملة فعلية	التنبيه والتحريك وتأكيد نعم الله .
٢	﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ تكررت في السورة (٨) مرات	الشعراء	جملة اسمية	التنبيه على قدرة الله وغلبته ورحمته في الوقت نفسه .
٣	﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ﴾	التكاثر	جملة فعلية	تأكيد الوعيد مع الزجر والتهديد .
٤	﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾	النبأ	جملة فعلية	تأكيد الوعيد مع التهويل منه.
٥	﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ ﴾	الواقعة	اسم	التفخيم والتعظيم .
٦	﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ ﴾	الفجر	اسم	التهويل .
٧	﴿ ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ ﴾	الحاقة	اسم	التفخيم والتعظيم .

- تابع -

الرقم	الآية / المثال	الموضع	نوع المؤكد	الغرض من التوكيد
٨	﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾	المؤمنون	اسم فعل ماض بمعنى بَعُد	الاستبعاد ، وإنكار البعث ، من قبل الكفار .
٩	﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ﴾	يوسف	ضمير	التعجب والاستغراب .
١٠	﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾	هود	حرف	بيان حال الأبرار وتبشيرهم بالخلود في الجنة .
١١	﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾	الأنبياء	حرف	تأكيد خلود أهل الشرك في جهنم .
١٢	﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ﴾	الأنبياء	حرف	تأكيد فضل الله ونعمته على عبده زكريا .
١٣	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾	محمد	فعل	تأكيد أهمية الطاعة للرسول وارتباطها بطاعة الله .
١٤	﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ﴾ تكررت في السورة (٧) مرات	الروم	جار ومجرور	تأكيد الدلائل الباهرة والظاهرة الدالة على عظمة الله وقدرته .

رفع المسيهم

التوكيد المعنوي

إذا سمعت أحدًا يقول لك: (حفظتُ القرآن الكريم)، فقد يخطر ببالك أنه حفظ أكثر القرآن، أو أوله، أو آخره، أو جزءًا منه، ولكنه سهوًا أو مجازًا حذف المضاف (أكثر، أول...) ليؤدي المعنى بصورة أبلغ، ولكنه أيضًا ترك في نفسك فرصة للاحتمالات والتخيل والتخمين.

أما إذا سمعته يقول: (حفظت القرآن الكريم كله)، فإنه ما ترك في نفسك فرصة للتخيل أو وضع الاحتمالات، بل حتمًا سيتجه ذهنك إلى معنى واحد فيه الشمول الكامل؛ فقد جاء هذا التركيز، وجاءت هذه الدقة من كلمة (كل)، فكلمة (كل) في الجملة السابقة تسمَّى (توكيدًا معنويًّا).

إذن التوكيد المعنوي: هو تابع يزيل عن متبوعه ما لا يراد من احتمالات معنوية تتجه إلى ذاته مباشرة (أي حقيقته الأصلية، وجملته كاملة من ذات حسية أو غير حسية)، أو إلى إفادته العموم والشمول المناسبين لمدلوله[1].

والغرض من التوكيد المعنوي: إبعاد الاحتمالات، وإزالة التخيل عن ذات المتبوع، أو عن إفادته التعميم الشامل المناسب له. وإن لم يكن هناك أي احتمال أو سبب له، فليس من البلاغة استخدام ألفاظ التوكيد المعنوي.

ألفاظ التوكيد المعنوي:

في اللغة ألفاظ مختصة بالتوكيد المعنوي، تذكر بعد الاسم المراد تأكيده، مضافة إلى ضمير متصل يعود إلى المؤكَّد، ويطابقه في التذكير

---

(١) النحو الوافي، الجزء الثالث ــ ص٥٠٢ ــ ٥٠٣.

والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع، وأهم هذه الألفاظ: **نفس، عين، كلا، كلتا، كل، جميع، أجمع، أجمعون، عامة، كافة.**

قواعد أساسية في التوكيد المعنوي:

أوّلاً: الاسم الذي يؤكَّد لا يكون نكرة، بل هو معرفة، كما في قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الحجرات].

ثانيًا: إذا جاءت ألفاظ التوكيد السابق ذكرها قبل الاسم المؤكَّد وأضيفت له، تُعرب كسائر الأسماء، وذلك حسب موقعها من الجملة، ولا يتصل بها ضمير، بل تكون مستقلة خاضعة في الإعراب للعوامل التي تسبقها أو تؤثر فيها[1]. ويعني ذلك أنها لا تكون ألفاظ توكيد في هذه الحالة، ومثال ذلك لفظ (كل) في قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وقوله عزَّ وجل: ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنبياء].

وقوله عزَّ وجل: ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنبياء].

وقوله تعالى: ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ﴾ [المؤمنون: ٢٧].

ثالثًا: ألفاظ التوكيد [النفس، والعين] يؤكد بهما المفرد والمثنى والجمع، مذكرًا أو مؤنثًا، وهما تفردان مع المفرد، وتجمعان جمع قلة على

(١) أساليب التأكيد في اللغة العربية ــ ص١٢.

وزن (أفْعُل) مع المثنى والجمع[١]. ومثال ذلك قولك: جاء المعلمُ نفسُهُ، وجاء المعلمان أنفسُهما، وجاء المعلمون أنفسُهم.

رابعًا: الألفاظ التوكيدية [كل، جميع، عامة] ألفاظ تؤكد الجمع.

وأكثر ما جاء في القرآن الكريم من تلك الألفاظ لفظ (كل)، كما في الأمثلة التالية:

قوله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: ١٢٣].

وقوله عزَّ وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [الفتح: ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا﴾ [طه: ٥٦].

وقوله عزَّ وجل: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾ [يس: ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥١].

خامسًا: إذا أراد المتكلم تقوية التوكيد وتشديده يأتي بلفظ (أجمع) بعد لفظ (كل)، وتطابق المؤكَّد في الإعراب.

وذلك في نحو قوله عزَّ وجل: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٣٠ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٣١﴾ [الحجر].

وقوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٧٣ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧٤﴾ [ص].

---

(١) أساليب التأكيد في اللغة العربية ــ ص١٢.

ملاحظات:

١ ــ **لفظة (كل)**: تؤكد دائمًا الاسم المعرفة، وقد تؤكد النكرة إذا كانت محدودة، مثل: يوم، شهر؛ لأنها قريبة من المعرفة. وهي لا تؤكد إلاَّ ما يكون قابلاً للتبعيض، أي التجزئة حسِّيًا أو معنويًا، كما أنها تضاف إلى ضمير يرجع إلى الاسم المؤكد، ويطابقه في التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع، وتتبع المؤكد في إعرابه[١].

٢ ــ **لفظة (جميع)**: نؤكد بها كل ما يصح تجزئته، وتفريقه، كذلك فهي تضاف إلى ضمير، شأنها في ذلك شأن لفظة (كل)، ولكنها قد تستعمل حالاً أكثر مما تستعمل توكيدًا، وفي هذه الحالة لا تضاف إلى ضمير، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا﴾ [يوسف: ٨٣].

٣ ــ **لفظة (أجمع)**: تأتي لتقوية التوكيد، ولا تأتي إلاَّ للتوكيد؛ فلا تقع مبتدأ أو خبرًا أو فاعلاً أو غير ذلك، وغالبًا ما نراها مسبوقة بلفظة (كل) كما في أمثلة سابقة ذُكرت في موضعها.

٤ ــ **أكثر ألفاظ التوكيد المعنوي** ورودًا في القرآن الكريم: (كل، جميع، أجمعون).

ومن الأمثلة على لفظة (جميع) من القرآن:

قوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يس].

(جميع) توكيد كلمة (كل).

---

(١) أساليب التأكيد في اللغة العربية ــ ص٢٤.

وقوله تعالى: ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [يس]. (جميع) توكيد للضمير (هم).

وقوله عزَّ وجل: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ [القمر]. (جميع) توكيد للضمير (نحن).

ومن الأمثلة التي وردت بها لفظة (جميع) حالاً وليس توكيدًا ما يأتي:

قول الله تعالى: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ [البقرة: ٣٨].

وقوله عزَّ وجل: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾ [النساء: ١٤٠].

وقوله عزَّ وجل: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقوله عزَّ وجل: ﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ﴾ [الحشر: ١٤].

٥ ــ [كلا، وكلتا]: من ألفاظ التوكيد المعنوي؛ فيؤكد المذكر المثنى بلفظة (كِلا)، ويؤكد المؤنث المثنى بكلمة (كلتا).

وإذا أريد لهما أن تكونا من ألفاظ التوكيد يجب إضافتهما إلى الضمير (هما) الذي يعود إلى الاسم المؤكد. وفي هذه الحالة تتبعان الاسم المثنى المؤكد في إعرابه: لذا فإنهما تُرفعان بالألف، وتُنصبان وتُجرَّان بالياء، وذلك كما في قولك: «نجح الطالبان كلاهما»، و «هنَّأتُ الطالبين كليهما». «فازت المتسابقتان كلتاهما»، و «رحبتُ بالمتسابقتين كلتيهما».

أما إذا أضيفت هاتان الكلمتان (كلا، وكلتا) إلى اسم ظاهر، فحينئذ لا تفيدان التوكيد، ثم إنهما تعربان بحركات مقدرة على الألف مثل الاسم المقصور، وتتأثران بالعوامل، فقد تكونان مبتدأ أو فاعلاً أو مفعولاً به أو غير ذلك من مواقع الإعراب في الجملة.

وقد وردت كلمة (كلا) في القرآن الكريم لتفيد التوكيد في موضع واحد في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣].

كما وردت كلمة (كلتا) في القرآن الكريم في موضع واحد، ولكنها لا تفيد التوكيد، في قوله تعالى: ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ﴾ [الكهف: ٣٣].

فوائد لغويّة:

من **الفوائد اللغوية** المتعلقة بـ (كلا، وكلتا) أنهما دائمًا معرفة؛ لأنهما لا تكونان إلاَّ مضافتين إلى معرفة (ضمير، أو اسم ظاهر)، كما أنهما تؤكدان المعرفة، فلا يجوز القول: (جاء رجلان كلاهما) بل يقال: (جاء الرجلان كلاهما).

ومن **الفوائد اللغوية** المتعلقة بالتوكيد المعنوي بشكل عام ما يلي:

* أغلب ألفاظ التوكيد المعنوي تستعمل للتوكيد، إلاَّ أن بعضًا منها مثل: (كل) تخرج عن التوكيد وتستعمل بحسب موقعها من الإعراب، وذلك إذا لم يسبقها الاسم المراد توكيده، وهي ترد في صور عدة، منها:

(أ) تكون بدلاً تابعًا للمبدل منه، كما في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا﴾ [الأنعام: ٨٤].

(ب) تكون مفعولاً به كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ ﴾ [النساء].

(ج) تكون فاعلاً كما في قوله تعالى: ﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ ﴾ [المدثر].

ومواضع (كل) كثيرة في القرآن الكريم، ولها مواقع إعرابية كثيرة أيضًا.

* من ألفاظ التوكيد التي تدل على التوكيد، ولكنها لا تأتي إلا حالاً لفظة (كافة) وهي تستعمل للأشخاص، وليس للأشياء أو الحيوانات.

وقد وردت كلمة (كافة) في القرآن الكريم في خمسة مواضع، أحدهما تكررت فيه الكلمة مرتين، والمواضع هي:

(أ) قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱدْخُلُوا فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

(ب) وقوله عز وجل: ﴿ وَقَٰتِلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ﴾ [التوبة: ٣٦].

(ج) وقوله عز وجل: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً ﴾ [التوبة: ١٢٢].

(د) وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨].

هذا والله وحده أعلم.

❑ ❑ ❑

رفع المسلم

[٥]

التوكيد بالأحرف المشبهة بالفعل

تعريف الأحرف المشبهة بالفعل:

الأحرف المشبهة بالفعل هي: إنَّ، أنَّ، كأنَّ، لكنَّ، ليت، لعل...

وسُمِّيت مُشَبَّهة بالفعل؛ لأنها تشبه الفعل:

١ ـ **في لفظها**: لكونها مركبة من ثلاثة أحرف فصاعدًا، ولأنها مفتوحة الآخر مثل الفعل الماضي.

٢ ـ **في معناها**: لتضمينها معنى الفعل من تأكيد وتشبيه واستدراك وتمنٍّ وترجٍّ.. وغير ذلك.

٣ ـ **في استعمالها**: فهي تختص بالأسماء، وتدخل عليها نون الوقاية التي تختص بالأفعال فتقول: إنني، كأنني، ليتني، لعلني.. ويمكن أن تقول: إني، كأني، لكني، لعلي.. إلى آخر هذه الحروف[١].

قاعدتها:

ـ الأحرف السابقة تدخل على الجملة الاسمية [المبتدأ والخبر] فتنصب المبتدأ ويسمَّى اسمها، وتبقي الخبر مرفوعًا، ويسمَّى خبرها.

(١) أساليب التأكيد في اللغة العربية ـ ص١٨٢.

ـ إذا لحقت (ما) الزائدة هذه الحروف كفَّتها عن العمل، ومِن ثَمَّ يجوز دخولها على الجملة الاسمية أو الفعلية، إلا الحرف (ليت) فلا تدخل عليها (ما) هذه، وتبقى مختصة بالجملة الاسمية.

ومثال دخول (ما) على (إنَّ) قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠].

معـانيهـا:

* (إنَّ) المكسورة همزتها:

حرف توكيد، يؤتى بها لتأكيد المعنى في الجملة، وإذا لحقت بها (ما) الكافة تشتد دلالتها على التأكيد. لماذا؟ لأنها تصبح معها أداة للقصر (أو الحصر)، والتأكيد بالقصر من أقوى أنواع التأكيد. وأسلوب القصر باختصارٍ شديد: أسلوب يعتمد على أداة للقصر، واسم مقصور، ومقصور عليه. ومن أدوات القصر: (إنما)، و (إلاَّ) المسبوقة بأحد حروف النفي، مثل: ما، وإنْ (الدالة على النفي). وقد يكون المقصور مبتدأ أو خبرًا أو فاعلاً أو مفعولاً به، ومثله المقصور عليه. ومن أوضح الأمثلة على هذا الأسلوب في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وقوله تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [المائدة: ٧٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الحجرات: ١٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ۝٢٠﴾ [الملك].

* (أَنَّ) المفتوحة همزتها:

تدل على التوكيد، وعلى ربط الجملة التي قبلها بالجملة التي بعدها، ولهذا لا تقع في ابتداء الكلام، بل تقع بين جملتين. ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [التوبة].

وقوله تعالى: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾ [البقرة].

وقوله تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ﴾ [النساء].

* (لكن):

تدل على التوكيد والاستدراك؛ وهي تقع بين جملتين تامَّتيِّ المعنى، وتؤدي معنى الاستدراك الذي يوحي بالمغايرة والمخالفة بين ما قبلها وما بعدها. ومن هنا يمكن القول بأن الارتباط بين الجملتين ارتباط معنوي وليس إعرابيًا. ومثال ذلك في القرآن الكريم: قوله عز وجل: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ ﴾ [البقرة].

وقوله عز وجل: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الحجرات].

ومن الآيات كذلك قوله تعالى: ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [الكهف]. والمعنى أنه يقول: (لكن أنا) أعترف بوجود ربـي، فهو خالقي. والتقدير الإعرابي على الرأي الأوضح عند النحويين: لكنْ

رفع المسهم

أنا هو الله ربي. فحذفت الهمزة تخفيفًا، وأدغمت النون في النون فصارت: لكنَّا (بنون مشددة بعدها ألف)[١].

أما قراءة الكلمة (لكنَّا) فهي عند حفص تقرأ بإثبات الألف في الوقف، وحذفها في الوصل، وهي تقع ضمن الألفات التي تثبت رسمًا في آخر الكلمة، مثل: (أنا، الظنونا، الرسولا، السبيلا، قواريرا ـ الأولى في سورة الدهر/ ١٥)، وحكمها الإثبات في الوقف، والحذف في الوصل. وتضبط في المصحف بعلامة وهي دائرة رأسية فوق الألف.

* (كأنَّ):

وهي تدل على التشبيه والتأكيد، وفيها تشبيه اسمها بخبرها، والتشبيه بها أقوى من التشبيه بالكاف. وقد اختلف النحاة كثيرًا في المعنى الذي تؤديه (كأن) غير التشبيه، مثل: التحقيق، أو الظن، أو التقريب، أو الإنكار والتعجب.

ومن أمثلة دلالة (كأن) على التشبيه: قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾﴾ [المدثر]، أي كأن هؤلاء الكفار حُمُر وحشية نافرة وشاردة.

وقد ترد (كأن) مخففة من غير تشديد النون، وتفيد في الأغلب بعض الدلالات مثل: التقريب، أو التحقيق، أو غير ذلك من معان. تأمَّل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾ [لقمان]. ففي الآية (كأن) بتشديد النون (كأن في أذنيه وقرًا) أي كأنَّ وقرًا في أذنيه، وإنما وجب تقديم خبر (كأنَّ) لأنه شبه جملة

(١) النحو الوافي، الجزء الأول ـ ص٦٣٢.

(جار ومجرور) والاسم نكرة (وقرًا)، وهذا فيه تأكيد أيضًا من جانب المعنى.

وفي الآية أيضًا (كأنْ) المخففة، والتقدير: (كأنه لم يسمعها) وتدل على إنكار هذا الموقف من الكافر المتعنت، والتعجب من مكابرته للحق برغم وضوحه أمام عينيه.

ومثال آخر: قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾﴾ [الجاثية].

* (ويكأنَّ):

اختلف النحويون في معنى (ويكأن) كما اختلفوا في وجوه إعرابها، فمنهم مَن يرى أن (ويكأن) تعني: ألم تر؟ ومنهم مَن قال إنها تعني: أما ترى؟ ومنهم مَن يرى أنها في التقدير: (ويلك اعلم أن). فحذفت اللام من كلمة (ويلك) فصارت (ويك). وآخرون يرون أنها (وي) و (كأنَّ)، وذلك بفصل (وي) عن (كأن)، وفيها معنى التنبيه والتندم، ومن هؤلاء الخليل ابن أحمد الذي يرى أنها عبارة عن (وي) للتندُّم، و (كأن) تفيد التحقيق، وهو معنى قريب من التقرير.

وقد وردت هذه الكلمة في سورة القصص في قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [القصص].

ويكأن ـ ويكأنه:

وبعيدًا عن جدل النحويين حول هذه الكلمة، يمكن القول إن: وي: اسم فعل بمعنى أتندم.

رفع المسَاهم

كأن: حرف مشبه بالفعل يفيد التحقيق؛ لأن المعنى محقق هنا قطعًا، ولا مجال فيه للتشبيه.

وفي الموضع الأول ﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ . . .﴾ يصبح لفظ الجلالة اسم كأنَّ، وفي الموضع الثاني يصبح الضمير المتصل بها (كأنه) اسم كأن، وخبرها جملة فعلية في الموضعين.

الوقف على (ويكأن):

عند أهل الأداء، وفي مجال التجويد، فإن هذه الكلمة أثارت اختلافًا عند القراء، كما أثارت خلافًا عند اللغويين والنحاة.

فمن القرَّاء من وقف على الياء في (ويكأن)، فيقول (وي)، ثم يبدأ من (كأن) أو (كأنه)، ومن القراء من وقف على الكاف فيقول: (ويك)، ثم الابتداء من (أن) أو (أنه)، وهذا رأي ضعيف.

وأغلب القراء ومن بينهم حفص عن عاصم ــ يقفون على الكلمة بأسرها فيكون الوقف على (النون) في الكلمة الأولى، وعلى (الهاء) في الكلمة الثانية، وهو الرأي المختار لجميع القراء؛ وذلك لاتصالهما رسمًا بالإجماع[١].

* (ليت) و (لعل):

ليت: للتمنِّي، ولعل: للترجِّي والتوقُّع، وقد تكون للإشفاق.

والتمنِّي معنى إنشائي طلبـي، وليس من الأساليب الخبرية. وهو يعني الرغبة في تحقق شيء محبوب ومرغوب حصوله، سواء أكان تحقُّقه ممكنًا

(١) هداية القاري ــ ص٤٦.

مثل قولك: (ليت الجو معتدِل)، أم غير ممكن مثل قولك: (ليت الميت يعود حيًا)، ولا يصح أن يكون في أمر محتوم الوقوع، مثل قولك: (ليت غدًا يجيء)[١].

أما (لعل) فهي تفيد معنى الترجِّي: أي انتظار حصول أمر مرغوب فيه، ميسور التحقُّق، ولا يكون إلا في الممكن، وكذلك التوقع، أما الإشفاق فلا يكون إلا في الأمر المكروه المخوف.

وقد تكون (لعل) للتعليل، مثل قول الله عزَّ وجلّ: ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه].

ومثل هذا المعنى وهو التعليل قول الشاعر:

تأنَّ ولا تعجل بلومك صاحبًا لعل له عذرًا وأنت تلوم[٢]

وقد تكون لعل للاستفهام، نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴿٣﴾ ﴾ [عبس].

ومما يلاحظ أن الأسلوب الذي تتصدره (لعل) إنشائي، ولكنه لا يتضمن معنى الطلب كما في (ليت) السابق ذكرها.

كما أن (لعل) إذا وقعت في كلام الله تبارك وتعالى لا يكون معناها الترجي أو الإشفاق؛ لاستحالة ذلك عليه سبحانه، وإنما يكون معناها التحقيق والقطع. وإذا أفادت الرجاء والإشفاق حينًا، فإنما يكون ذلك منسوبًا إلى الذي يدور حوله الكلام، وليس إلى المولى عز وجل[٣].

---

(١) النحو الوافي، الجزء الأول ـ ص٦٣٥.

(٢) المصدر السابق ـ الهامش ـ ص٦٣٥.

(٣) المصدر السابق ـ ص٦٣٦.

* ومن أمثلة الآيات التي وردت فيها (لعل) الآيات التالية :

﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [الأحزاب] .

﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [الشورى] .

﴿ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ ﴾ [الطلاق] .

﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ ﴾ [هود : ١٢] .

﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ ﴾ [الكهف] .

﴿ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الشعراء] .

﴿ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ [المؤمنون : ١٠٠] .

﴿ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ ﴾ [طه : ١٠] .

﴿ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾ [القصص : ٣٨] .

﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [إبراهيم] .

﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [النور] .

﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [المائدة] .

﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [الأعراف] .

* ومن أمثلة الآيات القرآنية التي وردت بها (ليت) ما يلي :

﴿ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [يس] .

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الحاقة] .

﴿ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الحاقة] .

﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ۝٤٠﴾ [النبأ: ٤٠].

﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ۝٢٣﴾ [مريم].

﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٧٩﴾ [القصص: ٧٩].

﴿فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا﴾ [الأنعام: ٢٧].

والملاحظ في الآيات التي وردت بها (ليت) أنها جاءت كلها مسبوقة بحرف النداء (يا)، وهذا الأسلوب إنما يستخدم لغرض بلاغي؛ لأن (يا) حرف نداء للبعيد (ويستخدم للقريب كذلك)، ويتميز عن غيره من حروف النداء بدخوله على غير الاسم مثل: الحرف، وأوضح مثال لهذا الحرف (ليت).

ولو تأمَّلنا الأمثلة السابقة في ذكر (ليت) ودخول أداة النداء (يا) عليها، لوجدنا أنها توحي بالأمر الذي لا يمكن حصوله، أي أنه بعيد المنال ومن غير الممكن تحققه.

* انظر مثلاً إلى الآية (٢٦) من سورة يس؛ التي جاءت معبرة عن أمر تمنى ذلك الرجل حدوثه بعد أن عاين حاله في الجنة، وشاهد بنفسه ما أكرمه الله به من نعيم جزاء إيمانه وصبره، حيث تمنى لو أن قومه يعلمون حاله وحسن مآله، ليحملهم ذلك على التوبة والدخول في الإيمان.

إنه الرجل الذي جاء من أقصى المدينة، ينصح قومه، ويدعوهم إلى تصديق الرسل، والإيمان بالله وحده؛ لأنه تيقن أن عبادة الأصنام لا تنفع ولا تضر، ولكن قومه اجتمعوا عليه وقتلوه، ولم يمنعه أحد منهم، فوطئوه بأقدامهم حتى مات، وقيل إنهم رموه بالحجارة حتى مات، ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ﴾، وكان هذا جزاء صبره وإيمانه، ﴿قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۝٢٦ ...﴾،

وهو بالعبارة (يا ليت قومي . .) يتمنى شيئًا بعيد التحقق ومن غير الممكن.
إنَّ حرف النداء (يا) بدخوله على (ليت) التي تدل على التمنِّي، منح المعنى دلالة واضحة على تمني شيء غير ممكن وبعيد التحقق.

خلاصة وفائدة:

تعتبر الحروف المشبهة بالفعل السابق توضيحها وتبيانها من الأساليب التي تؤكد المعاني المراد إيصالها للقارىء أو السامع، وأكثر هذه الحروف ورودًا في القرآن الكريم (إنَّ، أنَّ). ومواضعها كثيرة في كتاب الله.

وحسبك ــ أيها القارىء العزيز ــ أن تطالع ــ مثلاً ــ في سورة (المؤمنون) لترى أنها اشتملت على أكثر من (٢٠) موضعًا للحرف (إنَّ) الدال على التوكيد.

❑ ❑ ❑

[٦]

التوكيد بلام التوكيد

تعريف حرف اللام:

هو حرف مجهور متوسط، يخرج من حافة اللسان قليلاً مع طرفه إلى مقدم الفم، مع ما يحاذيه من الضاحك إلى الثنايا. وهو من أوسع الحروف مخرجًا يقترب في مخرجه مع النون، ويلزمه الترقيق غالبًا، والتفخيم فيه خاص بلفظ الجلالة فقط، وذلك إذا جاء قبله فتح أو ضمّ.

استخدامات حرف اللام في اللغة:

واللام ــ مفردة ــ تأتي لتؤدي عدة معانٍ واستخدامات تجاوز العشرين(١).

* **وهي إذا كانت مكسورة فهي حرف الجرّ** الذي قد يكون أصليًا أو زائدًا، ويفيد عدة معان، أشهرها(٢):

١ ــ **انتهاء الغاية**: كما في حرف (إلى)، ومثال ذلك قولك: (تلوتُ القرآن لخاتمته).

---

(١) النحو الوافي، الجزء الثاني ــ ص٤٧٢.

(٢) المصدر السابق (بتصرف وتلخيص) ــ وانظر أيضًا: المعجم الوسيط، الجزء الثاني ــ ص٨٠٩.

رفع المسهم

٢ ـ **الملك**: كما في قولك: (هذا الكتاب لأخيك).

٣ ـ **للدلالة على النسب**: نحو قولك: (لفلان أب يفعل الخير دائمًا).

٤ ـ **للتعدية**: نحو قولك: (ما أحب العاقل للصمت المحمود!).

٥ ـ **للتقوية**: أي تقوية عامل ضعيف تأخر عن معموله، نحو قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [يوسف].

وقوله تعالى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الأعراف].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود].

٦ ـ **زائدة للتوكيد**، تدخل على الفعل المضارع فينصب بأن مضمرة، وذلك في قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وقوله تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [الشورى: ١٥].

ويقابل هذه اللام الزائدة لام أخرى عاملة تجزم المضارع وتفيد الطلب، وهي لام الأمر، تأتي ساكنة بعد الفاء والواو أكثر من تحريكها، في نحو قوله تعالى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة].

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥].

ويجوز تسكينها بعد (ثم) كما في قوله تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾ [الحج].

٧ ـ **للدلالة على القسم**: كقولك: (لله، انتصرت الفئة القليلة المؤمنة على عدوها)، وهي تدل على القسم والتعجب معًا، بخلاف حروف القسم الأخرى (الباء، والتاء، والواو).

٨ ـ **لإفادة الظرفية**، أي بمعنى (في): نحو قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقوله تعالى: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

٩ ـ **لتوكيد النفي**، وتسمى لام الجحود، وهي من نواصب الفعل المضارع، وشرطها أن يسبقها كون منفي، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣].

وقوله تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ١٢٢].

واللام في الكلام السابق حركتها الكسر غالبًا، ولا تفتح إلا مع الضمير مثل قولك: (لك) (له)؛ لأنها من حروف الجر كما يصنفها النحويون، سواء أكانت عاملة أم زائدة.

* **أما اللام المفتوحة**، فهي التي تصنف ضمن أساليب التوكيد، وهي التي سيتم التركيز في الكلام عنها في هذا الجزء من الأساليب التوكيدية في اللغة العربية.

التعريف بلام التوكيد:

إذا قلت لأحد أصحابك هذه العبارة: «رجل فقير يعمل أنفع لبلده، من غني لا يعمل»، فإن السامع قد يشك في صدق كلامك أو قد ينكره، وحينها تلجأ إلى تكرار بعض الألفاظ أو تكرار الجملة نفسها؛ وذلك لتأكيد قولك، ولكن التكرار قد يمله السامع أو لا تقبله نفسه، وحينها تلجأ إلى وسيلة أخرى فتقول: «لَرجل فقير يعمل أنفع لِبلده من غني لا يعمل»، بفتح اللام الأولى وكسر اللام الثانية.

هذه اللام التي دخلت على كلمة (رجل) أفادت التوكيد، وأزالت الشك عن المعنى المتضمن في الجملة، وهي التي يسميها أهل اللغة (لام الابتداء)، وسُمِّيت كذلك لأن أكثر دخولها على المبتدأ أو على ما أصله مبتدأ[١].

وهذه اللام إذا دخلت على الخبر يسميها النحويون (اللام المزحلقة)، وأصل التسمية أنها في الأصل لها الصدارة، ولكن نظرًا لدخول (إنَّ) على الجملة الاسمية، و (إنَّ) هذه تفيد التوكيد أيضًا كما عرفنا سابقًا، وهي حرف له الصدارة أيضًا في الجملة، زحلقت اللام من مكانها في المبتدأ إلى الخبر؛ كراهة اجتماع مؤكدين اثنين في صدر الجملة.

ويرى د. عباس حسن أن السبب هو استعمال العرب لهذا الأسلوب[٢].

وتسمى عند بعض النحويين لام التأكيد مطلقًا بغض النظر عن التسميات المختلفة لها.

وهي في تعريف بسيط لها:

«لام مفتوحة مهملة، أي لا تعمل في ما بعدها، فلا ترفع ولا تنصب ولا تجر، ولا تجزم، لها ــ غالبًا ــ صدر الكلام في جملتها. أما وظيفتها فهي توكيد معنى الجملة المثبتة، أي: غير المنفية، وإزالة الشك عنه»[٣].

---

(١) النحو الوافي، الجزء الأول ــ ص٦٥٩.

(٢) المصدر السابق ــ هامش ــ ص٦٥٩.

(٣) أساليب التأكيد في اللغة العربية ــ ص٢٣٧.

وتوضيحًا للكلام السابق ينبغي ملاحظة ما يأتي:

كلمة (إنَّ) تدل على تأكيد المعنى في الجملة حين تدخل عليها، فإذا أراد المتكلم تقوية هذا التأكيد جاء بكلمة (إنَّ) وبلام التأكيد معًا، أما إذا أراد تأكيدًا أشد جاء بلفظ يدل على القسم، وباللام، وبنون التوكيد، وهو ما سأتطرق إليه لاحقًا بإذن الله.

ولكي نستدل على وظيفة (إنَّ) و (لام التأكيد) ودورهما في تثبيت المعنى المراد وإزالة الشك عنه، نتأمل الآيات الكريمة التالية من سورة يس:

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾.

والآيات السابقة تحكي قصة رسل عيسى عليه السلام إلى أهل أنطاكية، وهؤلاء الرسل حين أحسوا إنكار أهل القرية في المرة الأولى اكتفوا بتأكيد الخبر بإنَّ، ﴿ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾، فلما تزايد إنكار أهل القرية وجحودهم وعنادهم قال الرسل: ﴿ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ فأكَّدوا بـ (إنَّ)، و (اللام)، وكذلك القسم في قولهم: (ربنا) عند من يعتبره دلالة على القسم.

واللام المفتوحة هذه التي تعددت أسماؤها عند النحويين إنما تُكسِب المعنى تأكيدًا وتقوية وذلك في الجملة المثبتة، وهي التي تكثر في أسلوب القرآن الكريم، حين يتطلّب الموضع التأكيد.

وإليك ـ أيها القارىء ـ تفصيلاً لها، وأمثلة توضح وظيفتها المعنوية والنحوية.

اللام وأثرها النحوي في الجملة:

لهذه اللام حق الصدارة في الجملة، وهي إذا دخلت على الفعل المضارع خلصت زمنه للحال، نحو: إن العصفور ليغرِّد ـ أي: الآن في وقت الكلام ـ، هذا إن لم توجد قرينة تدل على غير الحال، كالقرينة الدالة على الاستقبال في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [النحل: ١٢٤]، لأن يوم القيامة لم يجيء بعد[١].

مواضع دخولها وأمثلة على ذلك:

١ ـ **تدخل على المبدأ وتسمى لام الابتداء**، نحو قولك: (لَلْحِلْم خيرٌ من الجهل).

ومثاله قوله تعالى: ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ﴾ [التوبة: ١٠٨].

وقوله تعالى: ﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحشر].

٢ ـ **تدخل على خبر (إنَّ) المكسورة الهمزة والمشددة النون**، وليس على أخبار أخواتها، والأمثلة على ذلك كثيرة في مواضع متعددة من القرآن الكريم، ومن ذلك دخولها على خبر (إن) إذا كان شبه جملة (جارًّا ومجرورًا، أو ظرفًا).

نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [العنكبوت].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم].

---

(١) النحو الوافي، الجزء الأول ـ ص٦٦٠.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ ﴾ [البقرة].

وتدخل اللام على خبر (إن) كما أوضحت سابقًا، وقد سمَّاها النحويون اللام المزحلقة، وذلك لكراهة اجتماع حرفين للتأكيد في صدر الجملة، وهما (إن) و (لام الابتداء) فزحلقت اللام إلى الخبر، فالأصل أنها لام الابتداء، وهذا رأي أكثر النحويين.

ومثال ذلك:

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [العنكبوت].

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ ﴾ [يونس].

وقوله عز وجل: ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [العنكبوت].

وقوله عز وجل: ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [البقرة].

وقوله عز وجل: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [النمل].

وقوله عز وجل: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [آل عمران].

٣ ـ **تدخل على الفعل الماضي الجامد (بئس)**، الذي يدل على الذم، نحو قوله تعالى: ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [المائدة].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [البقرة].

٤ ـ **تدخل على (قد)**، نحو قوله تعالى: ﴿ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [يوسف].

رفع المسهم

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأنعام].

٥ ـ تدخل على ضمير الفصل (هو، هي)، في نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [آل عمران].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [العنكبوت].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الشعراء][1].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾ [هود].

وضمير الفصل سُمِّي كذلك لأنه يفصل بين المبتدأ والخبر، أو ما أصله كذلك، سمّاه النحاة (ضمير العماد)؛ لأنه يُعتمد عليه في الفائدة، وبه يتضح أن الاسم الثاني خبر، كما سماه النحاة (الدعامة) لأنه يدعم الكلام ويقويه ويؤكده ويوضح المقصود منه[2].

٦ ـ تدخل على الفعل المضارع حين يكون خبرًا للحرف الناسخ (إنّ)، فتخلص معناه للزمن الحالي، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الشورى].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ ﴾ [النمل].

إلا إذا كانت هناك قرينة تدل على الاستقبال، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [النحل].

---

(١) وفي مواضع كثيرة في سورة الشعراء.

(٢) أساليب التأكيد في اللغة العربية ـ ص٧١.

وذلك لوجود ما يدل على أن يوم القيامة لم يأت بعد، وأنه سيأتي في المستقبل.

كذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [يوسف]. حيث قال والد يوسف الجملة السابقة قبل أن يذهب أبناؤه بأخيهم يوسف، ويقع ما وقع، وذلك إنما حدث في المستقبل.

٧ ـ **اللام الموطئة للقسم**: ويعرِّفها النحويون بأنها **اللام الداخلة على أداة الشرط**، للإيذان بأن الجواب بعدها مبني على قسم مقدر قبلها، وليس على الشرط، لذلك سُمِّيت: المؤذنة بالقسم، أي المعلمة به، والموطِّئة لأنها وطأت أو مهَّدت لجواب القسم(١).

وهذه اللام تدخل غالبًا على حرف الشرط (إنْ) كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم].

وفي قوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾ [المنافقون: ٨].

وفي قوله تعالى: ﴿ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا ﴾ [الحشر: ١١].

وفي قوله تعالى: ﴿ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحشر].

وفي الآيات السابقة يكون التقدير: والله إن شكرتم... والله إن كفرتم... والله إن رجعنا... والله إن أخرجتم... إلخ على تقدير القسم.

(١) أساليب التأكيد في اللغة العربية ـ ص٢٤٩.

واللام الموطئة الداخلة على (إن) الشرطية إذنٌ وإعلامٌ بأنَّ ما قبلها قسمٌ مقدَّر وليس ظاهرًا.

أما اللام الداخلة على جملة الجواب، مثل: (لأزيدكم، ليخرجن، لنخرجن، ليولن...)، فهي اللام الرابطة لجواب القسم، وهي هنا ليست لجواب الشرط، لأن الشرط إذا اجتمع مع القسم في جملة واحدة، فإن الجواب الظاهر للسابق منهما، وهو هنا القسم، وجواب الشرط مقدر في مثل هذه الجمل أو الآيات.

خلاصة وفائدة

يخلص القارىء المتأمل إلى أن لام التوكيد سواء أكانت لام الابتداء أم المزحلقة، أو الموطئة للقسم... كلها تؤدي وظيفة التأكيد والقوة في الجملة.

ويرى بعض النحويين أن الفوارق التي أقامها النحاة ــ وبخاصة القدماء منهم ــ ليست مطلقة، وأنهم في جميع الأحوال يقرون بأن وظيفتها تأكيد الجملة التي تدخل عليها، ولذلك يقترح تسميتها لام التوكيد، وذلك من باب التيسير، ولا مانع من إضافة وظيفة أخرى إلى جانب التوكيد مثل: القسم أو غيره[1].

❑ ❑ ❑

(١) أساليب التأكيد في اللغة العربية ــ ص٢٥٦.

[٧]

التوكيد بـ «قد»

* (قد) حرف مبني على السكون لا محل له من الإعراب، يفيد التوكيد.

* تدخل (قد) على الفعل الماضي، وعلى الفعل المضارع.

* وهي تختص بالفعل المتصرف الخبري المثبت، المجرد من الجوازم والنواصب، ومن حرفي التنفيس (السين وسوف)، فلا تدخل على الفعل الجامد (مثل: عسى، ليس)، ولا على الفعل الإنشائي نحو (بئس، نعم)[١].

* أشهر ما تتميز به (قد) دلالتها على التحقيق مع الفعل الماضي، وعلى التقليل أو التكثير مع المضارع.

* وأحيانًا كثيرة تدخل عليها لام التأكيد، فيجتمع في الجملة مؤكدان اثنان.

---

(١) أساليب التأكيد في اللغة العربية ــ ص٢٦١.

رفع المسيهما

ومن أمثلة دلالتها على التحقيق والتأكيد، وذلك مع الفعل الماضي:

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ [المؤمنون].

وقوله عز وجل: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١].

وقوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [ق: ١٦].

وقوله عز وجل: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ [التين].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤].

ومن أمثلة دلالتها على معان أخرى مثل: التقليل أو التكثير أو التوقُّع أو التأكيد:

قوله عز وجل: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ١٤٤].

وهي تفيد التكثير في هذه الآية.

وقوله عز وجل: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾ [النور: ٦٣]،

أي: قد علم الله أمر هؤلاء الذي يتسلّلون خفية، ويخرجون من الجماعة.

وقوله عز وجل: ﴿۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٨﴾ [الأحزاب].

أي: قد علم الله أمر المثبطين للعزائم، الذي يعوقون الناس عن الجهاد، وهم المنافقون.

وقوله عز وجل: ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝٩﴾ [الملك].

وقوله عز وجل: ﴿قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ۝٧٩﴾ [هود].

تأمّل عزيزي القارىء الآية، وانظر كيف اشتملت على أنواع من ألفاظ التوكيد وهي:

- اللام الداخلة على (قد).
- قد التي تفيد التحقيق.
- حرف الجر الزائد (من) في قوله: (من حق).
- حرف (إنَّ) المؤكد للمعنى وهو المشبه بالفعل.
- اللام في (لتعلم) وهو الفعل المضارع الواقع في محل رفع خبر (إنَّ).

وقال عز وجل: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩ ﴾ [المائدة].

وفي الآية الكريمة من أدوات التوكيد: (قد) التي تكررت لفظيًا، و (من) حرف الجر الزائد في قوله: (من بشير).

❑ ❑ ❑

[٨]

التوكيد بالأحرف الزائدة

تعريف بأحرف الجرّ:

أحرف الجرّ نوعان:

١ ـ حرف جرٍّ أصلي:

وهو الذي لا يمكن الاستغناء عنه في الجملة أو في الكلام، والحرف كلمة لا تدل على معنى في نفسها، ولكنها تدل على معنى في غيرها بعد أن توضع في جملة، وهذا النوع حروفه كثيرة، ولها استخدامات ومعان متعددة، ويتركز عملها اللفظي في جر الاسم الواقع بعدها.

ومن هذه الحروف:

* **من**: وقد تفيد التبعيض أو الابتداء.
* **إلى**: وتدل على الانتهاء.
* **عن**: للتجاوز أو المجاوزة.
* **على**: للاستعلاء والظرفية.
* **في**: للسببية والظرفية.
* **الكاف**: للتشبيه.

رفع عبد الرحمن الهاشمي

* **اللام**: للتعليل، والملك، والاستحقاق.
* **واو القسم**.
* **تاء القسم**.
* **الباء**: ولها عدَّة معان أشهرها: السببية، والاستعانة، والظرفية، والقسم.

٢ ـ حرف جرٍّ زائد:

وهو ما يمكن الاستغناء عنه في الكلام، وهي الأحرف المقصودة في هذا الجزء، وسُمِّيت حروفًا زائدة لأنها لا تضيف إلى المعنى العام للجملة أي معنى جديد.

ويذهب بعض النحاة إلى أنه لا يصح اعتبار اللفظ (سواء أكان حرفًا أم غير حرف) زائدًا، وذلك إن أمكن اعتباره أصليًا، وذلك لأن اعتبار الأصالة مقدم على اعتبار الزيادة[١].

وذكر النحويون أن لأحرف الزيادة عند العرب فائدتين:

١ ـ **فائدة معنوية**: إذْ لا يتغير بها أصل المعنى، بل تزيده قوَّة وتأكيدًا.

٢ ـ **فائدة لفظية**: إذْ تُزاد الأحرف فيصير الكلام أسهل لفظًا وأجمل إيقاعًا.

وقد تجتمع الفائدتان في الحرف الزائد، ولا يجوز خلو الزيادة في

(١) النحو الوافي، الجزء الأول ـ ص٧٠ ـ ٧١.

رفع المسهم

الأحرف من الفوائد اللفظية والمعنوية معًا، وإلا لعدت هذه الأحرف عبثًا في كلام العرب(١).

بعض أحرف الجر الزائدة وأمثلة عليها من القرآن الكريم

حرف الباء:

ويأتي هذا الحرف أصليًا وزائدًا، ويجر الاسم والضمير، وله عدة معان، وإذا جاء هذا الحرف زائدًا فإنه يؤدي معنى التأكيد، ويرد في مواضع متعددة. . . منها:

١ ــ في المبتدأ، كما في قولك: (استيقظتُ صباحًا فإذا بالشمس طالعة)، أي: الشمس.

٢ ــ في المفعول به، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة]، أي: أيديكم.

٣ ــ في خبر (ليس)، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾﴾ [هود].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾ [آل عمران].

ولهذه الآية موضع ثان في سورة الأنفال: الآية ٥١.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾﴾ [الحج].

---

(١) أساليب التأكيد في اللغة العربية ــ ص٢٩٠.

رفع المسهم

٤ ـ في خبر (ما) النافية العاملة عمل ليس[(١)]، وذلك في نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [هود].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [فصلت].

وقوله عز وجل: ﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ق].

وقوله عز وجل: ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ ﴾ [ق: ٤٥].

وقوله عز وجل: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [المؤمنون].

وقوله تعالى: ﴿ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ ﴾ [القلم].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحاقة].

فالباء في الأمثلة السابقة زائدة، والأسماء التي تليها مجرورة لفظًا، منصوبة محلًا على أنها خبر (ليس) أو خبر (ما) النافية العاملة.

٥ ـ في فاعل (كفى)، كما في قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [النساء].

وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [النساء].

وقوله عز وجل: ﴿ لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ ﴾ [النساء].

---

(١) بعض النحويين يعدون (ما) نافية غير عاملة، تفيد معنى النفي فقط.

وقوله عز وجل: ﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [يونس].

وقوله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان].

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ [الإسراء].

حرف (مِنْ):

هو حرف جر يجر الاسم ويجر الضمير، ويأتي أصليًا وزائدًا. ومِن أشهر معانيه: التوكيد إذا جاء زائدًا، بل هو لا يأتي للتوكيد إلا إذا كان زائدًا، ويشترط لزيادته ثلاثة شروط:

١ ــ أن يتقدمه نفي أو نهي أو استفهام بالهمزة أو بـ (هل).

٢ ــ أن يكون مجروره نكرة.

٣ ــ أن يكون مجروره مجرورًا لفظًا مرفوعًا محلاً على أنه مبتدأ، أو فاعل، أو منصوبًا على أنه مفعول به(١).

وفيما يلي أمثلة من القرآن الكريم على حرف (من) زائدًا يدل على التوكيد، ويفيد تقوية المعنى في الكلام:

قال الله عز وجل: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنعام]. هنا تكررت (من) الزائدة في قوله: (من شيء)، أما (من) في قوله: (من حسابهم)، وقوله: (من حسابك) فهي أصلية وليست زائدة.

---

(١) أساليب التأكيد في اللغة العربية ــ ص٢٩٣ ــ ٢٩٤.

رفع المسـاهم

وقال عز وجل: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾﴾ [الحج].

وقال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١].

وقال تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾ [غافر].

وقال تعالى: ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾﴾ [الشورى].

وقال عز وجل: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ [الشورى].

وقال تعالى: ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾﴾ [الملك].

حرف (ما):

تكون (ما) اسمًا لغير العاقل، وتتضمن في أصلها استخدامات كثيرة منها:

* **معنى الشرط**: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧].
* **معنى الاستفهام**: ما اسمك؟
* **معنى الاسم الموصول**: أُحِبُّ ما فيك من صفات حميدة.
* **معنى التعجب**: ما أروعَ الشمسَ في شروقها.
* **معنى النفي**: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [التكوير].

رفع المسـاهم

أما إذا جاءت (ما) زائدة فهي في مواضع أهمّها:

١ ـ عندما تقع بعد شرط جازم، وتأتي لتؤكد معنى الشرط، نحو:

﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [البقرة].

وقوله تعالى: ﴿ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ [الإسراء: ١١٠].

٢ ـ عندما تقع بعد شرط غير جازم، نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا ﴾ [التوبة: ١٢٧].

والآية فيها حرفان زائدان هما: (ما) الواقعة بعد (إذا)، و (من) في قوله (من أحد) الواردة بعد استفهام (هل يراكم).

وقال عز وجل: ﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الشورى].

وقوله عز وجل: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [فصلت].

٣ ـ عندما تقع بعد حروف الجر: [الباء، عن، من] دون أن تكفها عن العمل، فتقول: [بما، عمّا، ممّا]:

وذلك في نحو قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ [المائدة: ١٣].

وقوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

رفع المسهم

وقوله تعالى: ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ۝٤٠﴾ [المؤمنون].

وقوله تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا﴾ [نوح: ٢٥].

والمعنى في الآيات السابقة: [فبنقضهم ميثاقهم، فبرحمة من الله، عن قليل، من خطيئاتهم. . .].

حروف جرّ شبيهة بالزائد:

* هناك حروف جر تسمى (الشبيه بالزائد)، **وأشهرها**: (رُبَّ) و (لعل) وهما جارَّتان، أي: تجران الاسم.

وكذلك (لولا) على اعتبارها جارَّة.

والحرف الشبيه بالزائد لا يؤكد المعنى الموجود في الجملة كلها كما في الحرف الزائد، بل إنه يفيد معنى جديدًا.

فالحرف (ربّ) مثلاً من معانيه التقليل. . . كما في قولهم: (ربّ أخٍ لك لم تلده أمك)، وقولهم: (ربّ تلميذٍ فاق معلمه).

وقد ورد الحرف (رب) في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٢﴾ [الحجر].

فـ (رب) حرف جر شبيه بالزائد، يفيد التقليل.

و (ما) نكرة موصوفة بمعنى (شيء) أي ربّ شيء.

ويرى بعض النحويين أن (ما) زائدة، إذا دخلت على (ربّ) تكفها عن العمل (وهو جر الاسم)، ولذلك تدخل على الأفعال كما في الآية الكريمة السابقة.

خلاصة وفائدة

* إنَّ الأحرف الزائدة لا تضيف معنى جديدًا إلى الجملة، ويؤتى بها لزيادة المعنى الأصلي قوة وتأكيدًا، أو لجعل الكلام أسهل لفظًا وأجمل إيقاعًا، لأنه لا يجوز في الكلام الفصيح خلو الزيادة من الفوائد اللفظية والمعنوية(١).

* الحروف الزائدة تفيد توكيد المعنى في الجملة كلها؛ لأن زيادة الحرف تعتبر بمنزلة إعادة الجملة كلها، وتفيد ما يفيد تكرارها بدونه، سواء أكان الحرف الزائد في أولها، أو في وسطها، أو في آخرها(٢).

❑ ❑ ❑

---

(١) أساليب التأكيد في اللغة العربية ــ ص٣١١.

(٢) النحو الوافي، الجزء الأول ــ ص٧٠.

[٩]

التوكيد بنونَي التوكيد

قواعد مهمة وأساسية في الموضوع:

١ ـ **نونا التوكيد**: وهما نونان إحداهما مشدَّدة أو ثقيلة مبنية على الفتح، والثانية خفيفة أو مخففة مبنية على السكون، ومثالهما قولك مثلاً: [لا تقعدنَّ عن إغاثة المنكوبين، وبادرنْ بمعاونتهم].

٢ ـ **نونا التوكيد من أحرف المعاني**، وتتصل كل منها بآخر المضارع، وآخر الأمر، وتجعلهما للزمن المستقبل، ولا تتصل بالفعل الماضي، ولا باسم الفعل، ولا بالأسماء والحروف.

وقد اجتمعت نونا التوكيد في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [يوسف].

وقوله تعالى: (ليكونًا)، أي: ليكونَنْ.

يقول الدكتور عباس حسن: لو سمعت من يقول: (لا تنفع النصيحة الأحمق، ولا يفيده التأديب)، فقد تتردد في التصديق، ويداخلك الشك في صحته الكلام، ولك العذر في ذلك؛ لأن المتكلم لم يدرك بخبرته وذكائه أن مثل هذا الكلام قد يقابل بالشك والتردد؛ فكان عليه أن يحسن التقدير، ويعمل على دفع الشك بإحدى الوسائل الكلامية

التي عرض لها البلاغيون ومنها: نونا التوكيد. فلو أنه قال: (لا تنفعنَّ النصيحة الأحمق، ولا يفيدنَّه التأديب)؛ لكان هذا بمثابة القسم على صحة الكلام وصدقه، أو بمنزلة تكراره أو إعادته لتأكيد مضمونه(١).

٣ ــ **ويمكن تلخيص أثر نوني التوكيد في المعنى على النحو الآتي:**

* توكيد المعنى على الوجه السالف.
* تخليص زمن المضارع للاستقبال.
* تقوية الاستقبال في فعل الأمر.
* قد تفيد نون التوكيد الدلالة على الشمول والإحاطة إذا كان الكلام للجمع ــ غير الواحد ــ كما في قولهم: (يا قومنا احذرُنَّ مكايد الأعداء)، أي: كلكم أو جميعكم.

٤ ــ **الفعل المضارع إذا اتصلت به نون التوكيد ــ الثقيلة أو الخفيفة ــ يُبنى على الفتح**، وشرط ذلك: أن تتَّصل به اتصالاً مباشرًا دون فاصل بينهما؛ فالمعروف أن الفعل المضارع معرب دائمًا إلاَّ إذا اتصلت به نون التوكيد فيُبنى على الفتح، أو إذا اتصلت به نون النسوة فيُبنى على السكون.

ومثال على نون التوكيد في الفعل المضارع حيث يُبنى على الفتح، قوله تعالى: ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القلم].

ومثال بناء الفعل المضارع على السكون حين دخول نون النسوة عليه، قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٢].

---

(١) النحو الوافي، الجزء الرابع ــ ص١٦٧.

رفع المسيّهما

٥ ـ **فعل الأمر إذا اتصلت به نون التوكيد يُبنى على الفتح**، على أن يكون هذا الاتصال مباشرًا دون فاصل، ومثاله قولك: (اشكُرَنَّ مَن أحسن إليك، واعلمنَّ أن كلمة ثناء خيرُ جزاء).

توكيد الفعل المضارع بنون التوكيد

متى يجب توكيد الفعل المضارع بنون التوكيد؟

يجب أن يؤكد الفعل المضارع بنون التوكيد عندما يكون:

* مثبتًا، أي غير منفي.
* مستقبلاً، أي يدل على المستقبل.
* جوابًا لقَسَم.
* مقترنًا باللام التي تدخل على جواب القسم، ولا يفصل بينه وبين هذه اللام فاصل، كما في قوله تعالى: ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الأنبياء]. وقوله تعالى في شأن الشيطان الذي فسق عن أمر ربه، فلعنه الله، فما كان منه إلاَّ أن أقسم على أن يضلّ العباد... يقول الله عزَّ وجل: ﴿ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ ﴾ [النساء]. وفي الآية السابقة حذفت جملة القسم على تقدير (والله لأتخذنَّ...). وهو ممَّا يجوز في أسلوب القسم.

ومثل هذا الأسلوب ـ الذي حذف فيه جملة القسم ـ مواضعه في القرآن كثيرة، منها:

قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الحجر].

ومن أمثلة الفعل المضارع المؤكد بنون التوكيد بعد قسم واضح، قوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾﴾ [مريم].

متى يجوز توكيد الفعل المضارع بنون التوكيد؟

يجوز ذلك في مواضع، أبرزها حالتان يكثر فيهما التوكيد بالنون، وهما:

١ ـ أن يكون الفعل المضارع مسبوقًا أو دالًّا على الطلب.

وأنواع الطلب هي: الأمر، النهي، الاستفهام، العرض، التمنِّي، الترجِّي، الدُّعاء، التَّحضيض(١).

وأمثلة المضارع المؤكد بالنون، المسبوق بالنهي في القرآن الكريم كثيرة المواضع، منها:

ـ قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾ [هود: ٨٩]. (لا يجرمنكم) فعل مضارع مؤكد بالنون، لدلالته على النهي.

ـ وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [القصص].

---

(١) الفرق بين العرض والتحضيض: أن العرض فيه لين ورفق، ويظهر ذلك في رقة الكلمات ونبرة الصوت، أما التحضيض فهو طلب فيه عنف وشدَّة، ويظهر ذلك في قوة الكلمات وجزالتها، وفي نبرة الصوت أيضًا، وأداة العرض (ألا) وأدوات التحضيض (لولا، لوما، هلاَّ.. ألا).

ـ وقوله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الروم].

ـ وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ ﴾ [الكهف].

ـ وقوله تعالى: ﴿ فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الكهف].

ـ وقوله تعالى: ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ [البقرة].

٢ ـ أن يكون المضارع واقعًا بعد (أن) الشرطية المدغمة في (ما) الزائدة:

وهو كثير في أساليب العربية، وفي القرآن الكريم، فمن مواضعه:

ـ قوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ ﴾ [مريم: ٢٦].

ـ وقوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

ـ وقوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ ﴾ [الأنفال: ٥٧].

ـ وقوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الزخرف].

ـ وقوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأنعام].

رفع المسهم

متى يقل توكيد المضارع بنون التوكيد؟

عندما يسبق الفعل المضارع (لا) النافية، وهو مع قلّته صحيح وجائز وفصيح، ولكنه قليل إذا ما قِيس إلى النوعين السابقين، ولا يرقى في قوته مرقى النوعين السالفين(١).

ومثاله في القرآن الكريم:

ـ قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥].

ـ وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [النمل].

توكيد فعل الأمر بنون التوكيد

يجوز توكيد فعل الأمر بنون التوكيد في جميع أحواله، وبغير قيد أو شرط.

ومثال على توكيد الأمر ـ على الرغم مِن أنَّ معنى الأمر قد خرج عن معناه الأصلي إلى معنى وغرض آخر ـ قول أحد شعراء الأنصار:

فثبت الأقدام إن لاقينا وأنْزِلَنْ سكينة علينا

حيث نلاحظ فعل الأمر (أنْزِلَنْ) اتصلت به نون التوكيد الخفيفة، فبني على الفتح كما هو معروف، وقد خرج المعنى هنا عن الأمر إلى الدعاء، حتى أن الرسول الكريم ﷺ كان يردد هذا البيت في غزوة الخندق(٢).

(١) النحو الوافي، الجزء الرابع ـ ص١٧٤ ـ ١٧٥.

(٢) المصدر السابق ـ ص١٧١.

وقفة عند آية[(١)]

قال الله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [يونس].

إذا تأمل أحدنا الفعل المضارع (تتبعان) وجد أنه مضارع، والفعل الماضي منه (اتبع) بمعنى سار وراء الشيء وتطلبه، أو حذا حذوه.

وإذا تحدثنا عن اثنين، أي باتصال ألف الاثنين بالفعل نقول: [هما يتبعان، وأنتما تتبعان]. والفعل هنا مرفوع بثبوت النون.

لاحظ أن الفعل في الآية الكريمة (تتبعان) مسبوق بأداة جزم المضارع (لا) الناهية، والنهي طلب كما سبق وأوضحت، ويجوز هنا توكيد الفعل المضارع بنون التوكيد الواضحة في الكلمة التي في الآية.

والكلمة في أصلها (ولا تتبعا) بحذف النون التي هي علامة الرفع (ثبوت النون) لأنه من الأفعال الخمسة، وعند دخول (لا) الناهية حذفت النون وذلك بسبب الجزم. وبسبب اتِّصال الفعل بنون التوكيد الثقيلة التقى الساكن الأول (ألف الاثنين) بالساكن الثاني (نون التوكيد الثقيلة) في كلمة واحدة، وهو جائز وعلى حده، مع ضرورة مراعاة المد الطويل ومقداره ست حركات.

والجدير بالملاحظة أن الفعل (تتبعان) في الآية الكريمة معرب وليس مبنيًا، وذلك بسبب فقده شرطًا من شروط البناء وهو الاتصال المباشر بالنون دون فاصل، وهنا ألف الاثنين فصلت بين الفعل ونون التوكيد، لذا فهو معرب.

❑ ❑ ❑

---

(١) جاءت هذه الآية مخاطبةً موسى وأخاه هارون، بعد أن توجه موسى بالدعاء على فرعون وكبراء قومه؛ لطغيانهم وشدة ضلالهم، وكان موسى يدعو وهارون يؤمِّن، فنسبت الدعوة إليهما كما يقول المفسرون.

[١٠]

التوكيد بالقَسَم

مقدّمة:

في جزء سابق من هذا الفصل أوضحت أن اللغة العربية تمتاز بدقة التعبير، وتنوع الأساليب؛ وذلك بتنوع الأغراض واختلاف أحوال المخاطب، وهو ما يعرف بأضرب الخبر الثلاثة: الابتدائي والطلبي والإنكاري.

فإذا كان المخاطب خالي الذهن من الحكم أو الخبر يلقى إليه الكلام دون الحاجة إلى تأكيد، **وهو الضرب الابتدائي**.

وإذا كان المخاطب مترددًا في قبول الحكم وثبوت الخبر، فيحسن حينئذٍ تقوية الكلام، والإتيان بمؤكد واحد ليزيل التردد والشك عند المخاطب، وهو ما يسمَّى **بالضرب الطلبي**.

أما إذا كان المخاطب منكرًا للحكم أو للكلام جاحدًا به، لا يقبله بأي حال، وهو متعنت في تصديقه، فإن الكلام بحاجة إلى التأكيد بمؤكدين أو أكثر، بقدر الإنكار قوة وضعفًا، وهو ما يسمَّى **بالضرب الإنكاري**.

رفع المسهم

فائدة القسم:

من طبيعة الإنسان في كل زمان ومكان أنه يحتاج إلى تأكيد خبر سمعه، أو وعد قطعه، ومن طبيعته الرغبة في الاطمئنان إلى محدثه، أو اطمئنان محدثه إليه، وهو أمر معروف بين البشر، وبخاصة في الأمور العظيمة كالمعاهدات، سواء أكانت بين قوم وقوم، أم بين ملك ورعية، أم بين أفراد الناس عامة، وذلك ليكونوا على ثقة من بعض، واطمئنان إلى بعض[١].

إن الحاجة إلى التأكيد والاطمئنان والثقة هي ما دعت إلى استنباط أسلوب القسم، وقد عبَّرت عنه العرب بأساليب مختلفة، أبرزها ألفاظ القسم، واللام المؤكدة التي تدل على القسم (لأفعلنَّ)، ومثله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ في مواضع متعددة في كتاب الله الكريم، وقد تستخدم ألفاظ تدل على القسم بوضوح مثل: أقسم، أحلف، أشهد... وهكذا تتنوع أساليب القسم في لغة العرب[٢].

ويعد القسم من أساليب التوكيد المشهورة التي تمكِّن الشيء في النفس وتقويه، وقد نزل القرآن الكريم للناس كافة، ووقف الناس منه مواقف متباينة، فمنهم الشاك، ومنهم المنكر، ومنهم الخصم الألد. والقسم في كلام الله عز وجل يزيل الشكوك، ويحبط الشبهات، ويقيم الحجة، ويؤكد الأخبار، ويقرر الحكم في أكمل صورة[٣].

---

(١) التعبير الفني في القرآن الكريم ــ ص٢٤٧.

(٢) المصدر السابق ــ ص٢٤٨ ــ ٢٤٩.

(٣) مباحث في علوم القرآن ــ ص٢٩١.

تعريف القسم وصِيَغه:

القسم: يعني اليمين، وجمعه: أقسام.

وأقسم الرجل، أي: حلف، فهو مُقسِم.

والأصل في صيغة القسم أن يؤتى بالفعل (أُقسِم) أو (أحلف) متعديًا بالباء إلى المُقسَم به، ثم يأتي المقسَم عليه، وهو ما يعرف بجواب القسم، وأوضح مثال لهذا قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ﴾ [النحل: ٣٨].

وعليه فإن في أسلوب القسم ثلاثة أجزاء:

١ ــ الفعل الذي يتعدى بالباء.

٢ ــ المقسم به.

٣ ــ المقسم عليه.

ولمّا كان القسم يكثر في الكلام، تم اختصاره، فحذف فعل القسم، واكتفي بأداة القسم (حرف القسم).

والقسم واليمين واحد، ويعرف بأنه: ربط النفس بالامتناع عن شيء أو الإقدام عليه بمعنى معظم وله شأن عند الحالف حقيقة أو اعتقادًا. وقد سُمِّي الحلف يمينًا لأن العرب كانوا إذا تحالفوا أخذ أحدهم بيمين صاحبه(١).

وفي اللغة يؤتى بالقسم لتأكيد معنى الجملة، أو لإزالة الشك عن المعنى، أو لإثارة شعور ما في نفس السامع مثل: الاستعطاف، أو التعجب، أو الألم، أو غير ذلك.

---

(١) مباحث في علوم القرآن ــ ص٢٩١.

رفع المسيهم

قواعد أساسية في القسم:

١ ــ أسلوب القسم يتضمن جملتين: جملة القسم، وجملة جواب القسم.

٢ ــ أحرف القسم هي: (الباء، والتاء، والواو، واللام). وتنفرد اللام بأنها تدل على القسم والتعجب معًا. وتنفرد الباء بأنها تجر الاسم والضمير. وأحرف القسم الأخرى لا تجر إلاّ الاسم الظاهر.

٣ ــ إذا كان جواب القسم فعلاً ماضيًا متصرفًا مثبتًا، فإنه يكثر اقترانه بـ (لام القسم) و (قد) معًا، نحو قولك: (والله لقد فزت بالجائزة).

٤ ــ إذا كان جواب القسم فعلاً ماضيًا غير متصرف (جامدًا)[1]، فإنه يقترن باللام فقط، نحو قولك: (والله لنعم الرجل يبتعد عن الشبهات).

٥ ــ إذا كان جواب القسم فعلاً مضارعًا فالأحسن والأقوى اقترانه بلام القسم ونون التوكيد معًا، نحو قولك: (والله لأحبسنَّ يدي ولساني عن الأذى).

٦ ــ جملة جواب القسم خبرية ــ على الأغلب ــ كما في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الذاريات].

وقد يكون الجواب جملة طلبية في المعنى، كما في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر].

٧ ــ تحذف جملة القسم وجوبًا مع أحرف القسم: (الواو) أو (التاء) أو (اللام) وجوازًا مع حرف القسم (الباء).

(١) الفعل الجامد غير المتصرف مثل: نعم، بئس، عسى، ليس.

ومن الدلائل التي ترشد إلى جملة قسم محذوفة وجود واحد من الألفاظ الآتية: (لقد، لئن، الفعل المضارع المبدوء باللام المفتوحة والمختوم بنون التوكيد).

ومن أوضح الأمثلة على هذا الآيات الكريمة الآتية:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

وقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الحشر].

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء].

وقوله تعالى: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ [النمل: ٢١].

وقوله تعالى: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً﴾ [النمل: ٣٧].

٨ ــ إذا اجتمع القسم والشرط، فالجواب للمتقدم منهما ــ في الأغلب ــ، أمّا المتأخّر فيحذف جوابه؛ لوجود الجواب السابق الذي يدل عليه، وأوضح دليل على ذلك عدم حذف النونين في المضارع في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الحشر].

فلو كان الجواب للشرط (إن) لحذفت النون في الفعل المضارع (يخرجون) والفعل (ينصرونهم) بسبب الجزم، ولكن الجواب هنا للقسم المتقدم وليس للشرط المتأخر. **والأمثلة على ذلك كثيرة منها:**

قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ ﴾ [مريم].

وقوله تعالى: ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأحزاب].

المقسم به في القرآن:

المقسم به أمر عظيم وجليل في كل الأحوال، والعرب في الجاهلية أقسموا بعمرهم (لعمري، لعمرك...)، وبحياتهم: (وحياتك، وحياة أبيك...)، وأقسموا بالعزة، والرأس، والشرف، وأمور كثيرة.

والله سبحانه وتعالى يحلف بما شاء، أما العباد فليس لهم أن يحلفوا إلا بالله وحده وليس بغير الله، والحلف بغير الله ضرب من الشرك، قال الرسول ﷺ: «**ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت...**»[١].

ويقسم الله تعالى بنفسه المقدسة الموصوفة بصفاته، أو بآياته، ويقسم بمخلوقاته، دليلاً على عظيم آياته، وبديع قدرته.

وقد أقسم الله تعالى بنفسه في سبعة مواضع في القرآن[٢]، وهي:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾ [التغابن: ٧].

---

(١) صحيح البخاري، المجلد الرابع، الجزء الثامن ـ ص٥٢٥، حديث رقم (١٤٩٩).

(٢) مباحث في علوم القرآن ـ ص٢٩٢.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ [سبأ: ٣].

٣ ـ قوله تعالى: ﴿ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ﴾ [يونس: ٥٣].

٤ ـ قوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ﴾ [مريم: ٦٨].

٥ ـ قوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [الحجر].

٦ ـ قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [النساء: ٦٥].

٧ ـ قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ ﴾ [المعارج: ٤٠].

ومن المقسم به في القرآن مخلوقات الله كالشمس، والقمر، والنجوم، والليل، والنهار، والفجر، والضحى، والتين، والزيتون، وطور سنين... إلخ.

مثال على ذلك في قوله:

١ ـ ﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ ﴾ [الشمس].

٢ ـ ﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ ﴾ [الشمس].

٣ ـ ﴿ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ [الواقعة].

٤ ـ ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ ﴾ [القلم: ١].

٥ ـ ﴿ وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [الفجر].

رفع
المسلم
عبد الرحمن الهجري

المقسم عليه:

المقسم عليه يراد توكيده وتحقيقه، ولا بد أن يكون مما يحسن فيه ذلك، كالأمور الخفية والغائبة، إذا أقسم على ثبوتها.

وجواب القسم يذكر تارة ــ وهو الغالب ــ ويحذف تارة أخرى، كما يحذف جواب (لو) كثيرًا كما في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥﴾ [التكاثر]، والحذف هنا من الأساليب الحسنة البليغة، التي تدل على التعظيم والتفخيم، وتقدير ذلك في الآية: (لو تعلمون ما بين أيديكم علم الأمر اليقين لفعلتم ما يوصف من الخير)[١].

وقد يحذف جواب القسم لدلالة المذكور عليه كقوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝١ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ [القيامة]، فجواب القسم هنا محذوف دل عليه قوله تعالى بعد ذلك: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ۝٣﴾ [القيامة]، وتقدير المحذوف: لتبعثن ولتحاسبن[٢].

وحذف الجواب في أسلوب القسم كثير في القرآن الكريم.

إن المتأمل لأسلوب القسم في القرآن الكريم يستخلص جوانب كثيرة، وتراكيب متنوعة، تشير بوضوح إلى بلاغة القرآن، وفصاحة البيان الذي يتضمنه كتاب الله.

ومن الأمثلة التي يتضح فيها ما يقسم عليه الله في كتابه العزيز بجلاء، سواء أكان ظاهرًا أم كان محذوفًا مقدرًا، ما يأتي:

١ ــ ﴿قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۝١﴾ [ق].

---

(١) مباحث في علوم القرآن ــ ص٢٩٤.

(٢) المصدر السابق ــ ص٢٩٤.

رفع المستهم

أقسم الله بالقرآن الكريم ذي المجد والشرف (المقسم به).

والمقسم عليه محذوف والتقدير: لتبعثن بعد الموت (جواب القسم).

وحرف القسم (الواو).

٢ ـ ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ [النجم].

المقسم به: النجم إذا سقط من علو وارتفاع مع الفجر.

المقسم عليه: ما ضلَّ صاحبكم، أي: ما ضلَّ الرسول محمد ﷺ طريق الهداية، وهو جواب القسم.

وحرف القسم: (الواو).

٣ ـ ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۝١ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ۝٢ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ۝٣ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ۝٤ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ۝٧﴾ [المرسلات].

المقسم به: الرياح الشديدة العاصفة، والملائكة التي تفرق بين الحق والباطل، والملائكة تنزل بالوحي.

المقسم عليه: (إنما توعدون لواقع) أي أن أمر القيامة، وأمر الحساب والجزاء كائن وواقع لا محالة.

وحرف القسم: (الواو).

وقد ذكر المفسرون أن الله أقسم في هذه السورة بخمسة أشياء تنبيهًا على جلالة قدرها، وتعظيمًا لشأن المقسم عليه، وهو أن أمر القيامة حق لا شك فيه[1].

---

(١) صفوة التفاسير، الجزء الثالث ـ ص٤٧٦.

٤ ـ ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ۝٤﴾ [الطارق].

المقسم به: السماء والكواكب النيرة. وسُمِّي النجم طارقًا لأنه يظهر بالليل، ويختفي بالنهار، وكل ما يجيء ليلاً فهو طارق.

المقسم عليه (جواب القسم): ﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ۝٤﴾ [الطارق]، أي ما كل نفس إلاَّ عليها حافظ من الملائكة، يحفظ عملها، ويحصي ما تكسب من خير وشر.

حرف القسم: (الواو) الداخلة على (السماء) وعلى (الطارق).

أنواع القسم:

أولاً: القسم الظاهر:

وهو ما صرح فيه بفعل القسم، والمقسم به، ومنه أيضًا ما حذف منه فعل القسم، وذلك عندما يكتفي بذكر حرف الجر: الباء أو الواو أو التاء.

وهو يكثر في القرآن الكريم، ومثاله قول الله عز وجل: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٩٧﴾ [الشعراء].

ثانيًا: القسم المضمر:

وهو ما لم يصرح فيه بفعل القسم ولا بالمقسم به، وإنما لوجود اللام المؤكدة التي تدخل على جواب القسم، يعرف الأسلوب بأنه للقسم، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿۞ لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ﴾ [آل عمران: ١٨٦]. والتقدير: والله لتبلون.. والله لتسمعن...

دخول (لا) النافية على فعل القسم:

وقد ترد (لا) النافية على فعل القسم في مواضع كثيرة في القرآن الكريم، وأوضح مثال لذلك في سورة (القيامة): ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ [القيامة].

وقوله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢﴾ [البلد].

وقوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ۝١٦﴾ [التكوير].

وقوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝١٦ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧﴾ [الانشقاق].

وتوضيح هذا الأسلوب اختلف فيه اللغويون والمفسرون، وهو على النحو الآتي:

١ ــ قيل: إنَّ (لا) نافية لمحذوف يناسب المقام، والتقدير في سورة القيامة مثلاً: لا صحة لما تزعمون أنه لا حساب ولا عقاب، ثم استأنف الكلام فقال: أقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة... إنكم ستبعثون.

٢ ــ قيل: إنَّ (لا) زائدة، وجواب القسم في الآية محذوف دل عليه المذكور في قوله تعالى: أيحسب الإنسان... وتقدير ذلك: لتبعثن ولتحاسبن.

٣ ــ وذهب البعض إلى أنَّ (لا) لنفي القسم، أي كأنه يقول: لا أقسم أو لا أحلف بذلك اليوم وتلك النفس، ولكني أسألك غير مقسم، أتحسب أنا لا نجمع عظامك إذا تفرقت بالموت؟

ومن الواضح أن التعليل الثالث هو أقرب إلى التعبير المألوف في العربية، وذلك حين تخبر صاحبك عن أمر يجهله أو ينكره، وتحتاج إلى قسم لتوكيد الخبر، ولكنك تقول له: لا داعي أن أحلف لك على

هذا، أو لا داعي للحلف على هذا، وهو أسلوب أو تركيب لغوي مستعمل في اللغة الدارجة كثيرًا[١].

٤ ــ وقيل: إنَّ هذا الأسلوب فيه تأكيد عن طريق النفي، وهو أيضًا من الأساليب المألوفة في اللغة، ومثال ذلك قولك لصاحبك: لا أوصيك بفلان، أو لا أوصيك بكذا... وذلك مبالغة في الاهتمام بالأمر، فيحقق المتكلم بالنفي ما لا يحققه بالطلب المباشر الصريح[٢].

والحقيقة أن في التعليل المذكور في (٣ ــ ٤) ما يقنع القارىء، ويقرب الأسلوب إلى ذهنه، ويعينه على استيضاح البلاغة في كتاب الله عز وجل، لأنه مما عرف في أساليب العربية المستخدمة، ولأنه يدل على التوكيد دلالة واضحة.

ألفاظ أخرى للقسم:

١ ــ (ايم الله)، أو كما يقولون: (ايمن) الله:

وهو اسم وضع للقسم، وبعض العرب يقولون: (ايمن الكعبة)، وفي هذا الاسم لغات متعددة بتعدد واختلاف الحركات فوق حروفها، وقد يقال: (ايم الله).

ويرى النحويون أن (ايمن) اسم مفرد مشتق من (اليمن) أي البركة، ومعناه معنى الاسم المجرور بعد حرف القسم (الواو) وهمزته همزة وصل، لا تثبت في الدرج، وإنما تظهر في الابتداء.

٢ ــ (عَمْرك) أو (لعمرك):

و (العمر) يعني الحياة والبقاء، وقد أثر عن الرسول ﷺ النهي عن قول

(١) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ــ ص٢٠٣.

(٢) المصدر السابق ــ ص٢٠٤.

الإنسان في القسم (لعمر الله)؛ لأن المراد بالعمر عمارة البدن بالحياة، وهو دون البقاء، وهذا مما لا يليق بالله عز وجل.

وقد استعمل العرب هذا اللفظ في القسم فقالوا: لعمري، لعمرك... لعمر أبيك... ولا يستعمل في القسم إلا بفتح العين، وقد يكون ذلك لكثرة الاستخدام، فاختيرت أخف اللغات وأسهلها(١).

وفي القرآن الكريم وردت هذه اللفظة وبهذا الاستخدام في موضع واحد، في قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝٧٢﴾ [الحجر]، و (لعمرك) أي وحياتك يا محمد أن قوم لوط لفي ضلال وجهل.

وهذه الآية جاءت جملة اعتراضية ضمن قصة لوط مع قومه، حيث أقسم الله بحياة محمد ﷺ تكريمًا وتشريفًا له، ولم يقسم الله بحياة أحد غير حياته ﷺ(٢).

٣ ـ (لا جرم):

نحو قولك: (لا جرم إن الله يمهل الظالم حتى إذا أخذه لم يتركه). وإذا وردت (إن) بكسر الهمزة بعد (جرم) فإن هذا يعني أن (لا جرم) تجري مجرى القسم(٣).

وقد ذكرت (لا جرم) في القرآن الكريم في خمسة مواضع، ولكنها ليست للقسم، وإنما هي واردة بمعنى (حقًّا) أو (وجب). بدليل فتح همزة (أن) بعدها. والمواضع هي:

ـ قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ۝٢٢﴾ [هود].

---

(١) أساليب التأكيد في اللغة العربية ـ ص١٧٧.

(٢) صفوة التفاسير، الجزء الثاني ـ ص١٠٦.

(٣) النحو الوافي، الجزء الثاني ـ ص٥٠٦.

رفع المسهم

ـ وقوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [النحل: ٢٣].

ـ وقوله عز وجل: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النحل].

ـ وقوله عز وجل: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ [النحل].

ـ وقوله عز وجل: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [غافر: ٤٣].

خلاصة وفائدة

يلاحظ القارىء والمتتبع لأسلوب القسم في القرآن الكريم أن له صورًا متنوعة، وألفاظًا مختلفة، وتراكيب غنية، وهي في جملتها إنما تهدف إلى تأكيد المعنى، وتقوية الفكرة المطروقة.

كما يلاحظ القارىء جانبًا جديرًا بالإشارة هنا وهو أنَّ هذا الأسلوب ـ إلى جانب غيره من أساليب التأكيد ـ إنما يكثر في السور المكية؛ نظرًا للحاجة إليه، فالناس في أول الدعوة، وفي بداية ظهور الدين أكثرهم ينكرون أمورًا كثيرة تتصل بالعقيدة، والوحدانية، والبعث، والحساب.

ولا شك أن النفس التي رانت عليها سحابة الجهل، وغشيتها ظلمة الباطل، لا يهتز قلبها إلا بمطارق الزجر، وصيغ التأكيد حتى يتزعزع نكيرها.

والقسم في الخطاب القرآني من الأساليب التي يتخللها البرهان المفحِم، والاستدراج بالخصم إلى الاعتراف بما يجحد(١).

❑❑❑

(١) مباحث في علوم القرآن ـ ص٢٩٠.

رفع المسيهم

[١١]
خاتمة الفصل الرابع

من المعروف في اللغة العربية أن ألفاظ وأساليب التوكيد يؤتى بها بحسب الحاجة إليها، فقد يكون الكلام لا يحتاج إلى توكيد، وقد يحتاج إلى مؤكد واحد، أو أكثر، وذلك وفق ما يقتضيه المقام، وبحسب ما يتطلبه حال المخاطب.

وقد راعى القرآن الكريم هذا الأساس أدق مراعاة في جميع ما ورد من مواطن التوكيد، حيث يلاحظ الدقة في اختيار الألفاظ التي تؤكد ما يراد تأكيده، وفي وضعها المناسب بأساليب لغوية فنية متقنة[١].

إن التوكيد القرآني كله وحدة متكاملة منظور إليه نظرة شاملة، فالملاحظ أنه يؤكد في موطن لسبب اقتضى التوكيد، ولم يؤكد في موطن آخر شبيه له، لانعدام موجبه، أو أنك ترى أنه أكد بمؤكدين، وأكد بمؤكد واحد في موطن آخر يبدو شبيهًا له.

وكذلك الأمر في اختيار نوع المؤكدات، فهو تارة يؤكد بالنون الثقيلة، وتارة أخرى بالنون الخفيفة، وقد يستبدل حرفًا بحرف، كل ذلك بحسب

(١) التعبير القرآني ـــ ص١٢٥.

المسـاهم

منظور فني كامل متكامل في كل القرآن، فجاء التوكيد كله في القرآن كأنه لوحة فنية واحدة، فيها من عجائب الفن ما يجعل أمهر الفنانين يقف مبهورًا دهشًا، مقرًّا بعجز الخلق أجمعين عن استخلاص عجائبه، فضلاً عن الإتيان بمثله(١).

وقد عقد الدكتور السامرائي فصلاً يمتد في حوالي خمسين صفحة، يتناول التوكيد في القرآن الكريم، متخذًا منهج التحليل اللغوي، والاستقراء الفكري لمجموعة من الآيات، محاولاً جهده إثبات الإعجاز القرآني في أسلوب القرآن، وذلك من خلال التأكيد على مبدأ الدقة في اختيار المؤكدات، ووضعها في مواطنها المناسبة.

والحقيقة أنه تحليل دقيق، وجهد قيم، يحمل في مضمونه الدليل الواضح والجلي على ارتباط النحو بالبلاغة وبالمعاني في اللغة العربية، وفي القرآن الكريم.

ويخلص القارىء إلى حقيقة واضحة وهي أن أسلوب القرآن الكريم يراعي بدقة حاجة المقام إلى التوكيد، أو عدم حاجته، أو درجة هذه الحاجة، فإن احتاج السياق إلى توكيد عمد إلى شيء من أساليب التوكيد التي سبق توضيحها، وإن كان المقام لا يحتاج تركها.

ومثال واحد على ما سبق، حين نتأمل بعض آيات من سورة يونس، في قوله تعالى: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [يونس].

---

(١) التعبير القرآني ــ ص١٢٥.

فلما أن قال: (فإن كنت في شك . . .)، احتاج إلى إزالة الشك بالتوكيد . . .

ثم انظر إلى المؤكدات:

* التوكيد باللام، وبـ (قد) في قوله: [لقد جاءك الحق . .].
* التوكيد بالنون في قوله: [فلا تكوننَّ من الممترين . .].
* التوكيد بـ (إن) في قوله: [إن الذين حقت عليهم . .].

والخطاب في الآيات موجَّه للرسول الكريم ﷺ والمراد غيره، والغرض من ذلك دفع الشك عن قصص القرآن كما يذهب كثير من المفسِّرين.

فما أجمل كلام الله! وما أعظمه وأفخمه، وما أجل هذه الأساليب التي لا يرقى إليها مثيل، ولا يدنو منها نظير.

انتهى الفصل الرابع بحمد الله.

❑ ❑ ❑

رفع المسهم

الفصل الخامس

نحو إعداد جيل مسلم
يتعلَّم القرآن الكريم ويعلِّمه

[١] آداب يجب أن يتحلَّى بها معلِّم القرآن ومتعلِّمه .

[٢] العوامل التي تساعد على إعداد جيل القرآن .

[٣] مقوّمات أساسيَّة لتدريس القرآن الكريم .

رفع
المسلم
عبد الله بن الذهبي

الفصل الخامس

نحو إعداد جيل مسلم يتعلَّم القرآن الكريم ويعلِّمه

تمهيد:

يتناول هذا الفصل جوانب تتعلَّق بواجبنا نحن المسلمين والمسلمات نحو القرآن العظيم، أو بعبارة أخرى: حقوق كتاب الله علينا، وكيف يمكننا أن نوفي هذه الحقوق، ونؤدِّيها على الوجه الذي يرضي الله، ويرضي رسوله الكريم ﷺ.

لا شكَّ أنَّ القرآن الكريم هو أفضل ما يتعلَّمه المرء، وهو أفضل ما يعلِّمه لغيره، قال الرسول ﷺ: «**خيركم من تعلَّم القرآن وعلمه**»(١).

ولقد حفظ الله كتابه العزيز من التحريف والتبديل، فلا يستطيع أحد أن يبدل فيه حرفًا، أو يزيد فيه كلمة، أو ينقص منه شيئًا.

والمسلمون الأوائل اهتمّوا بالقرآن بالغ الاهتمام حتى لقد عدّوا كلماته وحروفه، وآياته وسوره، فكيف يقدر أحد من البشر أن يزيد أو ينقص فيه؟

ويشير الدكتور القرضاوي في معرض حديثه عن سمات القرآن الكريم إلى أنه لم يُعرف في الدنيا كتابٌ يحفظه الألوف، وعشرات الألوف عن ظهر قلب إلاَّ القرآن الكريم، إذ يسَّره الله للذِّكْر والحفظ؛ لقد حفظه الرِّجال

(١) صحيح البخاري، المجلَّد الثَّالث، الجزء السَّادس ــ ص٥٩٤، حديث رقم (١٤٥٠).

رفع المسٺهم

والنِّساء والصِّبيان من المسلمين، لا يضيِّعون منه حرفًا. . والعجيب أنَّ كثيرًا من الأعاجم يحفظون القرآن لا يسقطون منه كلمة واحدة، وأنَّ أحدهم لو سألته بالعربيَّة عن اسمه لم يجبك؛ فهو يحفظ القرآن تعبُّدًا وتقرُّبًا إلى الله، وإن لم يفهم ما يقرأ ويحفظ، لأنه بغير لغته[١].

وكما يسَّر الله القرآن للذِّكْر والحفظ، سخر له أيضًا العلماء والمهتمِّين بمعانيه وألفاظه وبيانه، وكذلك سخَّر له مَن تصدَّى لدراسة طرق أدائه في مخارج حروفه وصفاتها، وأحكام الأداء من مدود، وغنّات، وإظهار وإدغام، وإقلاب وإخفاء. . وغيرها مِن أحكام تجعل قراءة القرآن متقنة مجوّدة مرتّلة، كما سمعها الرسول الكريم ﷺ مِن جبريل عليه السلام.

كما أنَّ الله سبحانه وتعالى هيَّأ أسباب حفظ القرآن وصونه من التبديل والتحريف، حيث أنزله على أُمَّة معروفة ومتميِّزة بالمقدرة على الحفظ. . أُمَّة شاعرة وديوان حياتها الشِّعْر. . أُمَّة معروفة بالفصاحة والبلاغة؛ لغتها عالية راقية تسمو وتشرف بين جميع اللغات.

كذلك فقد اتَّخذ رسولنا الكريم ﷺ كتَّابًا للوحي، وتولّى مَن جاء بعده مِن خلفاء مهمَّة جمع القرآن وتدوينه، كما أشرتُ في فصل سابق مِن هذا الكتاب؛ فوصل إلينا القرآن الكريم محفوظًا مِن كلّ يد عابثة، اجتمع المسلمون على حفظه واستظهاره وتلاوته، وحسن أدائه كما لم يحدث مع أيّ كاتب آخر.

وتتوالى العصور، وتستمرّ الجهود المبذولة مِن أجل فهم القرآن وتدبُّر آياته، والغوص في بحر أسراره، حتى العصر الحاضر، على الرغم مِن أنَّ هذه العناية قد تنحسر في بعض الفترات التي تمرّ بها الأُمَّة الإسلاميَّة، حيث

---

(١) يوسف القرضاوي، كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟ ــ ص١٠.

وُجد أنَّ كتاب الله قد هجره الكثيرون، وحفظوا حروفه وضيَّعوا معانيه وحدوده، وأساءوا التعامل معه، ولم يحسنوا تدبُّره وفهمه.. حتى منَّ الله على هذه الأُمَّة بالصَّحوة الدِّينيَّة المبارَكة التي نجدها بفضل منه عزَّ وجلَّ قد أيقظت المسلمين من غفلتهم، فأخذوا يلتفتون إلى كتاب الله، ويعنون بدراسته، ويبذلون الجهود الواضحة في سبيل تعليمه حفظًا وتلاوة وتجويدًا ومدارسة.

وقد يلاحظ الواحد منَّا الكثير من المؤسَّسات ومراكز التحفيظ تأخذ على عاتقها مهمَّة تربية النشء، وربط الجيل المسلم بكتاب الله؛ لأن الكتاب المبين، كتاب الهداية، الذي يخاطب في الإنسان عقله وقلبه ووجدانه، ويهديه إلى سواء السبيل.

وفي وقتنا الحاضر، هذا الوقت الذي تتصارع فيه الأهواء، وتتجاذب الإنسان تيَّارات متعدّدة، ويواجه أبناؤنا وبناتنا تحدِّيات كثيرة، تكاد تفتنهم عن دينهم، وتصْرفهم عن كتاب الله، تتجلَّى حاجتهم الماسَّة إلى ما يعصمهم من الزَّلل، ويحفظهم من الانحراف، ولن يجدوا هذا العاصم إلاَّ في القرآن الكريم.

لذلك أقول: مِن واجبنا نحن المربِّين تعلُّم القرآن كما ينبغي أن يكون التعلُّم، والتعامل معه كما هو جدير به، حتى نستطيع أن نعلِّمه للأجيال المسلمة، بحيث يستطيعون إيصال هذا العلم وتبليغه إلى غيرهم.. وغيرهم حتى يرث الله الأرض ومَن عليها.

وهنا يأتي السؤال الجدير بالإجابة: ما واجبنا تُجاه كتاب الله؟

وكيف نُقَدِّر هذا الكتابَ حقَّ قدره؟

وكيف نُرَبِّي الجيل المسلم على كيفية التعامل مع القرآن الكريم؟

يقول الدكتور القرضاوي:

مِن حقّ القرآن الكريم أن نحسن التعامل معه: حفظًا واستظهارًا، وتلاوة واستماعًا، وتدبُّرًا وتأمُّلاً، وأن نحسن التعامل معه: فهمًا وتفسيرًا، فليس هناك أفضل مِن أن نفهم عن الله مراده منَّا، وما أنزل كتابه إلاَّ لنتدبَّره، ونفقه أسراره، ونستخرج لآلئه، كلٌّ بقدر ما يتَّسع واديه[١].

ومِن حقّ القرآن الكريم علينا أن نكون ــ نحن المسلمين ــ خير مَن يتبعه، ويعمل به وبشريعته، ويدعو إلى هدايته، فهو منهج حياة الفرد والجماعة.

وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ أبناءنا وبناتنا أمانة كبرى في أعناقنا، وينبغي علينا صون الأمانة، وإعطاؤها حقّها مِن الرِّعاية والعناية، فمن حقّ الجيل النَّاشىء أن نتصدَّى لتربيته تربية قرآنيَّة قائمة على أُسس متينة.

وبرأيي لن يتأتَّى لنا تحقيق هذه التربية القرآنيَّة إلاَّ بمراعاة جوانب أساسيَّة في منهجيَّة هذه التربية وأساليبها، والتي ــ كما أرى ــ لا بدَّ أن تسير **في خطَّين متلازِمَين، هما:**

الخطّ الأوَّل: تدريب المعلِّمين والمعلِّمات الذين يُشرفون على تدريس القرآن وعلومه.

الخطّ الثَّاني: التركيز على جوانب أساسيَّة في برامج التحفيظ والتعليم في مجال تعلُّم القرآن الكريم.

وهذان الجانبان هما محور هذا الفصل من الكتاب.

❑ ❑ ❑

(١) كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟ ــ ص١٢.

[١]
آداب يجب أن يتحلَّى بها معلِّم القرآن ومتعلِّمه

هي آدابٌ جمَّة، إذا أدركها معلِّم القرآن، ووعاها وعمل بها، كان هذا ضمانًا لوصول الأدب القرآني للمتعلِّم وطالب العلم في هذا الميدان.. أمَّا إذا افتقر المعلِّم إلى هذه الآداب، وغفل عنها، أو أهملها، فإنها والله مشكلة المشكلات؛ لأنَّ فاقد الشَّيء لا يعطيه، وعندها لا سبيل إلى الاطمئنان لبلوغ الهدف المنشود.

وتتلخَّص هذه الآداب الجميلة في البنود التَّالية(١):

١ ـ التخلُّق بأخلاق القرآن كما كان النبـي ﷺ. فقد سُئِلت عائشة رضي الله عنها عن خُلُقه، فقالت: (كان خُلُقه القرآن). وفي رواية أخرى أنها قالت: (إنَّ خُلُق نبـي الله ﷺ كان القرآن).

وعليه فإنَّ صاحب القرآن مرآة يرى النَّاس فيها عقائد القرآن، وقيمه، وآدابه وأخلاقه، وعليه أن يتلو القرآن فتصدقه آياته، ولا يتلو القرآن فتلعنه آياته.

---

(١) قمت باستخلاص هذه البنود وترتيبها من كتابين، هما: (نهاية القول المفيد)، و (كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟).

رفع المسٮهم

وقارىء القرآن يتعلَّمه ليعمل به وبأحكامه وقيمه، ولهذا قال عبد الله بن مسعود: (إنا يصعب علينا حفظ القرآن ويسهل علينا العمل به، وإن من بعدنا يسهل عليهم حفظ القرآن ويصعب عليهم العمل به).

٢ ـ **إخلاص النيَّة في طلب القرآن وفي تعليمه، وأن يريد بها صاحب القرآن وجه الله عزَّ وجلّ.** ولا يقصد بهذا العمل الوصول إلى شيء سوى الأجر والثواب، ولا يتعلَّم القرآن أو يعلِّمه لمراءاة النَّاس وابتغاء عَرَض الدُّنيا.

ويحذِّرنا رسول الله ﷺ هذا الجانب، ففي حديث شريف له أنه قال: «**مَن طلب العلم لغير الله ـ أو أراد به غير الله ـ فليتبوَّأ مقعده من النَّار**».

ويبلغ التحذير النبوي مبلغه من الشدَّة والتخويف في حديث آخر، حين يدعو الرسول ﷺ الصحابة والمسلمين إلى التعوُّذ بالله من جبّ الحزن، ولمَّا سُئِل عن جبّ الحزن هذا، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: **إنه واد في جهنَّم تتعوَّذ منه جهنَّم في كل يوم مائة مرَّة**، وحين سُئِل عمَّن يدخل هذا الجب، قال: «**القُرَّاء المراءون بأعمالهم**»(١).

٣ ـ **الحرص على فهْم القرآن، والاعتبار بما فيه**؛ حتى يفهم عن الله مراده وما فرض عليه، فينتفع بما يقرأ، ويعمل بما يتلو، وإلاَّ كيف يمكنه العمل بما لا يفهم معناه؟

ولذلك وجب على معلِّم القرآن السَّاعي إلى تعلُّمه والمجتهد في حفظه وتلاوته أن يحرص على أن يتعلَّم شيئًا من التفسير، ويجتهد في معرفة المعاني، والمدلولات، حتى يتحقَّق هذا التجاوب مع كتاب الله.

---

(١) كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟ ـ ص١٤٥.

رفع المسهم

٤ ــ **العناية بترتيل القرآن**. قال تعالى: ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ [المزمّل].

والقراءة بالتدبُّر والتفهُّم: لأنَّ المقصود الأكبر والمطلوب الأهمّ هو تدبُّر المعاني وفهم المراد، حتى تنشرح الصُّدور، وتستنير القلوب، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: ٨٢].

٥ ــ **وعلى قارىء القرآن أن يتأمَّل الأوامر والنَّواهي، وينشغل بالتفكير في معنى ما يَلْفِظ مِن كلمات**. حتى إذا مرَّ بآية فيها ذكر اسم محمَّد ﷺ صلَّى عليه ــ سواء أكان قارئًا أو مستمعًا صلَّى على النبيّ الكريم ــ. وإذا مرَّ بآية رحمة استبشر وسأل، وإذا مرَّ بآية عذاب أشفق وتعوَّذ، أو آية دعاء تضرَّع وطلب، وغير ذلك.

٦ ــ **أن يتحلَّى معلِّم القرآن بمجموعة من الآداب المتَّصِلة بحاله حين يشرع في الإمساك بكتاب الله وقراءته**، وأن يجتهد في غرسها في نفوس تلاميذه، ويعوِّدهم عليها، فهي تعين على معرفة قدر هذا الكتاب العظيم، ومكانته، ومنزلته وضرورة الحفاظ عليه وتقديسه.

وتتلخَّص هذه الآداب الجليلة فيما يلي:

(أ) استحضار الله عزَّ وجلّ أمامه كأنه يراه، فهو يناجيه، ويتكلَّم بكلامه، ويتلو كتابه، وكأنه عليه أنزل، أو أنه هو المخاطب في كلّ آياته.

(ب) الحرص على تنظيف الفم بالسِّواك أو بغير ذلك، لقول الرسول ﷺ: «**إنَّ أفواهكم طرق القرآن فطيِّبوها بالسِّواك**»(١)،

(١) سنن ابن ماجه ــ ص٦٨، حديث رقم (٢٩١).

وأن يتطيَّب، وإذا تثاءب أمسك عن القراءة؛ لأنَّ التثاؤب مِن الشَّيطان، وأن يقرأ في مكان نظيف، وأن يتجنَّب الضحك أو اللهو في أثناء القراءة، وأن يستقبل القبلة ما أمكن، وأن يجلس بوقار وسكينة وليس في هيئة المتكبِّر.

(ج) الاستعاذة من الشَّيطان الرَّجيم قبل القراءة، والمحافظة على البسملة في أوَّل كلّ سورة عدا سورة براءة (التَّوبة).

(د) احترام مَن يقرأ القرآن، والاستماع إلى آيات الله وترك الأحاديث واللغط في أثناء الاستماع: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف].

ما أجمل هذه الآداب وما أحسنها!

وما أجدرنا بالمحافظة عليها جميعها قدر الطَّاقة والإمكان.

تلك أبرز الآداب التي تجب مراعاتها عند تلاوة القرآن، وهناك غيرها من الآداب التي لا تخفى على المشتغلين في هذا المجال.

❑ ❑ ❑

رفع المسـاهم

[٢]
ما العوامل التي تساعد على إعداد جيل القرآن؟

العامل الأوَّل: إعداد معلِّم القرآن إعدادًا جيِّدًا:

ذلك لأنه هو القدوة التي يقتدي بها طالب العلم بالقرآن تلاوةً وحفظًا وفهمًا.

وليس من المقبول أن يكون معلِّم القرآن ممَّن تنقصهم الدِّراية والفهم بأمور كتاب الله.

ذكر صاحب كتاب «نهاية القول المفيد» كلامًا جميلاً، مشيرًا إلى أمور على قدر كبير من الأهميّة، فقال: «اعلَمْ أنَّ طلب حفظ القرآن العزيز، والاجتهاد في تحرير النطق بلفظه، والبحث عن مخارج حروفه ومعاني صفاتها، والرغبة في تحسين الصوت به، ونحو ذلك ـ وإن كان مطلوبًا حسنًا ـ لكن فوقه ما هو أهمّ منه وأولى وأتمّ، وهو فهم معانيه، والتفكُّر فيه، والعمل بمقتضاه، والوقوف عند حدوده، والتأدُّب بآدابه»(١).

(١) نهاية القول المفيد ـ ص٢٤٥.

وفي ذلك إشارة إلى أهمية تجويد القرآن، وإخراج الحروف من مخارجها، وإعطائها حقّها من الصفات، بالإضافة إلى جانب آخر ينبغي ألاّ يغفل عنه القائمون على تعليم كتاب الله وهو فهم المعاني وتدبُّرها، والتأدُّب بآداب تلاوة القرآن، وتدارسه، وحفظه، تلك التي أشرت إليها سابقًا.

وممّا لا شكَّ فيه أنَّ معلِّم القرآن يحتاج إلى أدوات تُمَكِّنه من التعامل مع القرآن ومن ثمَّ تعليمه لغيره، وأقصد بهذا أن **يكون حريصًا على تكوين نفسه تكوينًا علميًّا يجنِّبه الزَّلل**، ويبعده عن الخطأ.

لذا أقترح بعض الجوانب التي تجب مراعاتها والأخذ بها عند تدريب معلِّمي ومعلِّمات القرآن الكريم: حفظه وتجويده وفهمه، وهي:

١ ــ دراسة النحو والإعراب:

فمن لم يعرف الإعراب وقواعده لم يحسن فهم القرآن كما ينبغي، وكان حتمًا أن يقع في الخطأ، ويطارده اللحن البغيض، الذي يستقبح في الكلام العادي والكتابات اليومية، فكيف إذا وقع في كتاب الله؟!

إنَّ اللحن في كتاب الله يأثم عليه القارىء؛ لأنَّ فيه تحريفًا للكلمة، وتبديلاً للمعنى المراد.

ولا يختلف اثنان في أنَّ النحو هو المسبار، وهو المدخل إلى العلوم العربيّة والإسلاميّة جميعًا، إنه دعامة العلوم العربيّة، وقانونها الأعلى، منه تستمدّ العون، وتستلهم القصد كما يقول الدكتور عبّاس حسن، وهل ندرك كلام الله تعالى ونفهم دقائق التفسير وأحاديث الرسول عليه السَّلام، وأصول

العقائد وأدلَّة الأحكام، وغير ذلك من مسائل وبحوث إلاَّ بإلهام النحو وإرشاده؟[١].

ومِن طريف ما قاله بعض الشُّعراء حول أهميَّة النحو قول أحدهم:

جمِّلِ المنطقَ بالنَّحوِ فَمَنْ يُحرَم الإعرابَ بالنحوِ اختبلْ

وقال آخر:

النَّحوُ قنطرةُ الآدابِ هَلْ أحدٌ يجاوزُ البحرَ إلاَّ بالقناطيرِ
لو تعلمُ الطيرُ ما في النحو من شرفٍ حنَّت وأنَّت إليه بالمناقيرِ[٢]

وليس لقارىء القرآن أو معلِّمه حجَّة أو مبرِّر للضّعف في النحو، فهو أساس لغته العربيَّة، وفرص تعلُّمه متاحة بكلّ الوسائل والأدوات والتي تُعَدُّ سهلةً وميسَّرة في وقتنا الحاضر في ظلِّ انتشار وسائل التكنولوجيا، وتطوُّرها، واستحداثها بشكل شبه يومي أمام الجميع.

وأرى أنه مِن الأجدى دراسة القواعد النحويَّة من خلال النصوص القرآنيَّة أوَّلاً؛ لأنَّ القرآن هو الكتاب الأكبر في العربية، وهو الكتاب الأوَّل والمرجع الأساسي في قواعد العربيَّة وبيانها وبلاغتها.

٢ ــ دراسة العلوم الشرعيَّة:

مثل: أصول الفقه والمباحث المتعلّقة بدلالات اللغة وضوابط الفهم، حتى لا يقع المعلِّم أو القارىء في مزالق الفهم والتفسير لآيات الله عزَّ وجلّ.

(١) النحو الوافي، الجزء الأوَّل ــ ص٢.
(٢) محمَّد الشعَّال، هندسة النحو العربي ــ ص٣.

والأمل معقود بالمدارس الشرعيّة التي أُنشئت في الفترة الأخيرة، وأتاحت الفرصة أمام معلِّمي ومعلِّمات القرآن، واجتهدت في نشر الوعي الدِّيني والدَّعوة إلى مبادىء الدِّين وقيمه، وهذا ما يلاحظ في كثير من المؤسَّسات الإسلامية والمراكز الدِّينية التي تعمل من أجل خدمة الدين، والقرآن، والدعوة إلى الاقتداء بالنبيّ الكريم عليه الصَّلاة والسَّلام.

٣ ـ محاربة اللحن بكل صوره وأشكاله:

في كتاب الله أوَّلاً، وأحاديث الرسول ﷺ ثانيًا، وفي الدروس، والمحاضرات، والمدارسات، والكتابات ثالثًا حتى لا نسيء إلى لغتنا، ولا نشوّه قراءاتنا وكتاباتنا، وحتمًا لن نتمكَّن من ذلك إلاَّ إذا تغلَّبنا على الضّعف والقصور في النَّحو.

والمأثور عن النبي ﷺ وعن أصحابه وتابعيهم رضوان الله عليهم تفضيل إعراب القرآن، والحضّ على تعليمه، وذمّ اللحن وكراهيته، وهو ما وجب على القرَّاء أن يأخذوا أنفسهم بالاجتهاد في تعلُّمه[١].

وقد رُوي عن ابن مسعود قوله: (جَوِّدوا القرآن وزَيِّنوه بأحسن الأصوات، وأعرِبوه فإنه عربي، والله يحبّ أن يعرب به).

كما روي عن الشعبي قوله: قال عمر رحمه الله: (مَن قرأ القرآن فأعربه كان له عند الله أجر شهيد)[٢].

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الجزء الأوَّل ـ ص٢٣.
(باب ما جاء في إعراب القرآن وتعليمه...).

(٢) المصدر السابق، الجزء الأوَّل ـ ص٢٣.

رفع المسابهم

٤ ـ الحرص على الأداء الجيِّد والقراءة المتمثّلة للمعاني المؤدِّية لها:

فكما نحرص على إخراج الحروف مِن مخارجها الصَّحيحة وإعطائها صفاتها كاملة، يجب أن نُعنى بالأداء الجيِّد؛ حتى يكون للقرآن تأثيره القوي في النفوس، فيحرِّك المشاعر، ويهزّ القلوب، ويحفز الإرادات، ويقوِّي العزائم، ومن ثمَّ يحصل التلقِّي، وتنفتح العقول والقلوب لأوامره ونواهيه، ويسهل العمل به وتطبيقه في الحياة؛ لأنه دستور الحياة.

قال الله تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ۝١٠٦ ﴾ [الإسراء].

وعن ابن مسعود أنه قال في أخلاق حملة القرآن: (لا تنثروه نثر الدقل، ولا تهذُّوه هذّ الشعر، قفوا عند عجائبه، وحرِّكوا به القلوب، ولا يكن همُّ أحدكم آخر السورة...).

٥ ـ الإكثار من حلقات الذِّكْر وتدارس القرآن وتعاهده:

حتى لا يتفلت من الذاكرة، ويمكن أن تخصص حلقات للتلاوة، وأخرى للحفظ والاستظهار، وثالثة للاستماع إليه من قارىء مجيد له، ثم تقع المناقشة والمدارسة لمسائله وقضاياه وقصصه ومواعظه.

وإنَّ في هذه الحلقات لفوائد جمَّة؛ فهي إلى جانب ما يكسبه المرء من أجر وثواب عند الله ـ فرصة سانحة لفهم القرآن، والغوص في أسراره، واستخلاص عجائبه، والوقوف على وجوه إعجازه التي لا تنقضي أبدًا.

رفع المسهم

العامل الثَّاني: وضع منهجيَّة لتدريس القرآن الكريم:

وأقصد بالمنهجية أن تكون هناك مراحل أساسيَّة، أو أساسيَّات ثابتة لا بدَّ أن يمرّ بها متعلِّم القرآن، وطالب التجويد، مع ضرورة الأخذ بالأولويَّات، ومراعاة مستوى المتعلِّمين، وفئاتهم العمريَّة؛ فتعليم الأطفال الصِّغار يختلف بالطبع عن تعليم الكبار، الذين يبادرون إلى تعلُّم القرآن وعلومه، ويقبلون على مراكز تعليم القرآن قصد حفظه، وتعلُّم أصول تجويده، وقواعد تلاوته.

ولست هنا بصدد بناء منهج لتدريس القرآن وعلومه، وإنما أردت اقتراح بعض المسائل أو المقومات التي من شأنها أن تعين على تربية الناشئين تربية قرآنية قويَّة ومتينة، وقد تكون هذه المقوّمات مما يدخل في برامج المدارس والمؤسَّسات التعليميَّة (الحكوميَّة والأهليَّة)، أو ما هو متعلق ببرامج وأنشطة مراكز تحفيظ القرآن وتدريس علومه.

❑ ❑ ❑

رفع المسيس همس

[٣]

مقوّمات أساسية لتدريس القرآن الكريم

أوّلاً: التكوين العلمي في اللُّغة العربيّة:

وهو من الجوانب التي أُلحّ عليها في كتابـي هذا، وفي كل موضع وفي كل مقام أجد فرصة للإلحاح عليه، فإني سأفعل، غير مكترثة بأصوات قد ترتفع لتصفني بالتخلُّف أو التعصُّب؛ لأنَّ اللغة التي أدعو إلى التمسُّك بها، والتمكُّن مِن قواعدها إنما هي لغة القرآن الكريم.

وإذا كنا نتمسّك بالقرآن ونبتغي الحفاظ عليه، فإنَّ لغتنا العربية كذلك من حقّها علينا التفاخر بها، والاعتزاز بأصولها، والأخذ بقواعدها؛ حتى تكون لنا معينًا على فهم القرآن الكريم، وأداة تمكننا من إتقان قراءته، وتجويد تلاوته، وصحَّة فهمه.

وقد ذكرت في فصل سابق من هذا الكتاب أنَّ النحو نشأ لخدمة القرآن الكريم، وأنَّ العلماء واللغويين قد بذلوا الجهود المضنية، وانبروا يدرسون كتاب الله، ويضعون القواعد اللغوية مِن أجل فهم القرآن وحفظه من الخطأ، وصونه عن اللحن.

إنَّ الضعف في النحو، والجهل في اللغة وعلومها، يوقع المرء في حفر الأخطاء المردية؛ فمن لم يعرف الإعراب وقواعده لم يحسن فهم القرآن

كما ينبغي، وكان حتمًا أن يقع في الخطأ، فإن كان قارئًا سيقع في اللحن، وإن كان مفسّرًا معلمًا لآيات الله سبحانه وتعالى حتمًا سيقع في خطأ الفهم، وسوء التأويل.

وقد تطرّق الشيخ القرضاوي إلى مسائل كثيرة، أتى بها استدلالاً على أنّ الضعف في اللغة والجهل بها، قد أوقع عددًا من المعاصرين المجترئين على كتاب الله في الكثير من الأخطاء والمزالق، بل إنه أشار إلى أخطاء تعدّ من الأخطاء الفاحشة في اللغة، ومن ثمّ فهي تؤدّي إلى ذكر تفاسير خاطئة، وتأويلات تحرف المعنى المراد وتفسده، فمن أراد الاستزادة فليرجع إليها في موضعها(١).

مِن أساليب تعليم قواعد العربية:

ومِن أفضل الأساليب في تدريس قواعد النحو ـ وبخاصة للكبار ـ تعليمه من خلال النصوص القرآنية، ويمكن أن يدرس الصغار والناشئون الإعراب ومسائله بطريقة سهلة مبسطة من خلال القرآن الكريم أيضًا.

إنّ كل صفحة من صفحات كتاب الله تصلح لتكون منطلَقًا وأساسًا لتعليم قاعدة أو أكثر من قواعد النحو، ولا عجب في ذلك، ألم يهندس اللغويُّون هذا البناء النحوي من أجل فهم القرآن والوصول إلى مقاصده؟!

وفيما يتعلّق بتعليم النحو للصغار خاصّة والكبار عامّة، فإنه يتوجّب تعليمه في ظل المعنى، ووفق السياق الذي وجدت فيه الكلمة أو القاعدة، وألّا ينفصل تدريس النحو عن المعنى المراد في الكلام لأنه فرع من المعنى، ومبني عليه كما يقول النحويُّون.

---

(١) كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟ ـ ص٣٦١ ـ ٣٦٤.

رفع المسيَّهم

ولا يختلف اثنان في أنَّ القرآن الكريم هو النموذج الأوَّل، والعالي، والأمثل في اللغة والأدب الرفيع، إنه كنز ثمين لدراسة اللغة وعلومها، فلماذا نغفل عن هذا الكنز ونتكالب على النصوص الشعرية والنثرية المختارة من الأدب العربـي فقط؟

أليس الأجدر بنا البدء بالقرآن أوَّلاً؟ ليكون منطلَقًا لنا في تعليم النحو والبلاغة وأسرار البيان، ذلك أنه هو المعجزة البيانية الخالدة، ومن ثَمَّ تأتي النصوص الأدبية ــ شعرًا أو نثرًا ــ من مختلف العصور لتكون من روافد الدراسة والتدريس، ويكون الرافد الأساسي والأول هو القرآن الكريم.

وحبّذا عناية المناهج الدراسية ابتداء من مرحلة التعليم الأساسي حتى التعليم الثانوي ثم الجامعي؛ باتِّخاذ النصوص القرآنيَّة موضوعًا أو مجالاً لدراسة مسائل النحو والبلاغة؛ فما أجمل أن يُدرس النصّ القرآني لغة وبيانًا، حتى يكتسب أبناؤنا الذوق الأصيل، والحسّ الأدبـي الرفيع، ويقفوا على أسرار البيان، وخصائص التعبير والأداء من القرآن أوَّلاً، ثمَّ مِن نصوص أدبنا العربـي شعره ونثره ثانيًا.

اقرأ معي ما تقوله الدكتورة بنت الشاطىء في مقدّمة كتابها: (التفسير البياني للقرآن الكريم) معبِّرة عن انبهارها وهي تشتغل في النصوص القرآنية، تدرسها دراسة لغوية بيانية:

«. . . أَلِفْتُ منذ الصغر أن أصغي بكل وجداني إلى القرآن، وأن أتلو آياته في تأثُّر وخشوع، لكني لم أع بيانه حقّ الوعي، إلاَّ بعد تخصُّصي في دراسة النصوص، واتِّصالي بأصيل ما للعربية من تراث أدبـي، فكنت كلما ازددت تعمُّقًا في الدرس، وفقهًا للعربية، وقفت مبهورة أمام جلال هذا النص المحكم، وعدت أتلو من معجز آياته ما أدركت معه لماذا أعيا العرب

رفع المسيِّهم

ــ وهم أصحاب الفن القولي، واللغة طوع لسانهم ــ أن يأتوا بسورة من مثله، فآمنوا بنبوّة محمد ﷺ لمّا تلا فيهم آيات القرآن، معجزة نبوته وآية رسالته، وإنه لبشر مثلهم، يأكل الطعام ويمشي في الأسواق. . . »[١].

ماذا نقول نحن إذن؟ وكيف لنا أن نحرم أنفسنا هذه النعمة الجليلة، أو أن نضيع على أبنائنا وبناتنا ــ الجيل المسلم الناشىء ــ فرصة معايشة النص القرآني لفظًا ومعنًى وبيانًا وسحرًا؟

إنَّ التمكُّن من اللغة العربية، ومعرفة دلالات الألفاظ والجمل، وتنوُّع هذه الدلالات بين الحقيقة والمجاز والصريح والكناية، ومعرفة النحو والبلاغة ــ وإن كان قدرًا مناسبًا ــ لهو المفتاح الذي يعين على كشف مغاليق أسلوب القرآن الفريد، والاهتداء إلى أسراره البيانية التي من شأنها أن تعين على فهم دلالته ومعانيه، والوقوف على إعجازه اللغوي الذي لا ينفد.

ثانيًا: الأخذ بالقاعدة النورانيّة:

(أ) تعريف القاعدة النورانيّة[٢]:

القاعدة النورانية وسيلة تعليميّة سهلة ونافعة وضعها صاحبها نور محمَّد حقَّاني رحمه الله، ولذلك نُسبت إليه، فسُمِّيت النورانية، وهي تهدف إلى تعليم المبتدئين والناشئين قراءة القرآن الكريم وحفظه بطريقة سهلة ميسّرة.

---

(١) بنت الشاطىء، التفسير البياني للقرآن الكريم ــ ص١٤ ــ ١٥.

(٢) انظر:

(أ) القاعدة النورانيّة، نور محمَّد حقَّاني، تحقيق وطباعة الدكتور محمَّد الرَّاعي.

(ب) القاعدة النورانيّة التعليميّة، ترجمة وتعليق: رفيعة الأفغاني.

وقد وضعت أساسًا للمسلمين من غير العرب، الذين لا يتكلَّمون العربية.

انتشرت في القارَّة الهنديَّة انتشارًا واسعًا، ثم تولَّى سبط المؤلِّف المهندس محمد فاروق الرَّاعي تحقيقها ونشرها وطباعتها، فانتشرت في العالم العربي والإسلامي، واعتُمِدت منهجًا أساسيًّا لتعليم الأطفال المبتدئين في الكثير من المؤسَّسات التعليمية، والمدارس الحكوميَّة والأهلية في دول عربيَّة وإسلاميَّة.

وقد طبعت هذه القاعدة عدَّة طبعات، وقع في يدي الطبعة الثامنة الصَّادرة عام ١٤٢٣هـ، مرفق بها شريط (كاسيت) للاستماع إلى نطق الحروف والكلمات الواردة وفق هذه القاعدة، وليستعين بها المعلم في تعليم القاعدة النورانيَّة للمعلمين وتدريبهم عليها.

وذكر المهندس الرَّاعي أنَّ الطبعة الأولى كانت عام ١٤١٩هـ. في حين أنَّ هناك طبعة أقدم ــ والله وحده أعلم ــ صدرت عام ١٣٥٠هـ.

وتعكس القاعدة النورانية الجهد الكبير، والعناية الفائقة التي بذلها المؤلِّف؛ حيث وضع الأمثلة جميعها من القرآن الكريم؛ ذلك أنها وضعت أساسًا من أجل قراءة القرآن وحفظه، كما أنها تتميز بالتدرُّج من الحروف المفردة، إلى المركَّبة، ثم الحروف المقطَّعة، ثم الحروف المتحرّكة بالحركات الثلاث والتنوين، كل ذلك معزز بالتدريبات والتمارين المناسبة.

وتساعد القاعدة النورانية المبتدئين والصغار، حتى ممن لم يتجاوزوا الخامسة على تهجِّي الحروف والكلمات، وذلك بحسب ورودها في القرآن الكريم، مراعية قواعد التجويد الأساسية.

رفع المسيهما

والحق أنَّ المهندس محمَّد الرَّاعي قد بذل جهودًا جبَّارة وعملاً متميّزًا فيما يخص القاعدة النورانية، حيث أخرجها في صورة رائعة في ألوانها وترتيبها وأسلوبها، مع مراعاة الدقَّة المتناهية في تقديم هذا العمل النافع.

وقد أحسنت كثيرًا رفيعة بنت الشيخ الأفغاني إذ قامت بترجمة القاعدة النورانية مِن أقدم طبعة لها (عام ١٣٥٠هـ) إلى العربية، وذكرت أنها وجدت فيها اختلافًا عن القاعدة المتداوَلة حاليًا، وأنها تشتمل على فوائد كثيرة جديرة بالاهتمام، وقد تولَّت ترجمتها وإضافة العديد من الفوائد والتمارين إليها[١].

(ب) **أهميّة القاعدة النورانيّة:**

تتلخَّص أهميّة هذه الوسيلة التعليمية في مجالس تدريس القرآن الكريم حفظًا وتجويدًا في الجوانب التالية:

١ ـ تمكّن المتعلِّم الصغير مِن قراءة القرآن الكريم عن طريق التهجِّي دون وجود صعوبات تعرقل عملية القراءة أو الحفظ؛ وذلك إذا أتقن المتعلِّم تعلُّم الحروف بأنواعها، وأشكالها، والحركات بأنواعها، وغيرها مِن مهارات تتعلَّق بالنطق الصحيح واللغة السليمة.

٢ ـ يتعرَّف الطَّالب عن طريق هذه القاعدة الأحكام الأساسية لقواعد التجويد، مما يساعد على القراءة المتقنة المجوَّدة؛ ذلك لأنها تحتوي على معظم قواعد التجويد المهمَّة والضروريّة للقراءة الصحيحة.

٣ ـ التسلسل المنطقي واللغوي في هذه القاعدة؛ حيث يتعلَّم الطالب ـ وبخاصة المبتدىء الصغير ـ الحروف ابتداءً من المفردة منها، ثم المركَّبة، ثم المقطَّعة، ثم المتحرِّكة بالحركات والتنوين.

---

(١) القاعدة النورانيّة التعليميّة ـ ص٥ (المقدّمة).

٤ ـ يتدرَّب المتعلِّم مِن خلال القاعدة النورانيَّة على إخراج الحرف من مخرجه الصحيح، وإعطائه صفاته، وهو جانب يفتقر إليه الكثير من معلِّمي اللغة العربيَّة بالمدارس الابتدائيَّة؛ لأنهم في حقيقة الأمر يركِّزون اهتمامهم في تعليم الأصوات، وأسماء الحروف، وأشكالها، والمهارات الأخرى المتَّصلة بالحروف والمقاطع والمدود بأنواعها، ويغفلون عن مخارج الحروف وصفاتها على الرغم من أهميّتها، فترى الطالب يقطع سنوات التعليم وهو لا يدرك مخارج الحروف العربيَّة.

في حين أنَّ هذا جانب بالغ الأهميّة، وبخاصة لمن يعانون مشكلة في النطق، أو لديهم صعوبات وعيوب نطقيَّة كلاميَّة؛ فقد يساعدهم هذا كثيرًا في التغلُّب على هذه الصعوبات، حين تتاح لهم فرصة التدرُّب على طريقة إخراج الحرف من مخرجه الصحيح.

٥ ـ محتوى القاعدة النورانيَّة مناسب لجميع الأعمار والفئات؛ فهو يلائم الصغار المبتدئين، في رياض الأطفال، وفي المدارس الابتدائية، كما يناسب الكبار المنتظمين في مراكز تحفيظ القرآن الكريم، سواء أكانوا من ذوي التعليم البسيط، أم من الحاصلين على شهادات ثانوية وجامعية.

كيف ذلك؟

السبب هو أنَّ محتوى القاعدة يتَّصل بشكل كبير بنطق الحروف الهجائيَّة نطقًا صحيحًا، وتجويد القراءة والإتيان بها كما ينبغي أن تكون، وفق قواعد تجويد القرآن الكريم، وأصول تلاوته.

٦ ـ من الأهميّة بمكان الاستعانة والاستفادة من القاعدة النورانية في مختلف المؤسسات التعليمية والتربوية؛ لما تتميز به من فوائد، **على أن يراعى جانبان أساسيّان هما:**

رفع المسيهما

(١) أن يتمّ البدء بها في برامج تحفيظ القرآن الكريم للمتعلّمين الكبار قبل الشروع في تدريس قواعد التجويد، والسير في برامج ومتطلّبات الحصول على شهادة التلاوة، أو شهادة علم التجويد أو متزامنًا معها؛ ذلك لأنها تسهِّل عملية التدريس، وتيسِّر على المتعلِّمين، وتوفِّر الوقت والجهد على المعلمين أيضًا، وبخاصة بعد أن بذلت الجهود المباركة في ترجمتها وطباعتها طباعة فاخرة معززة بوسائل تكنولوجية في إخراجها وتقديمها، ممَّا يضيف إليها عاملاً من عوامل الانجذاب إليها، والإقبال على تعلُّمها.

(٢) ضرورة تدريب المعلمين والمعلمات تدريبًا جيِّدًا لاستيعاب القاعدة وفهمها، عن طريق دورات تدريبيَّة تُعنى بها عناية تامَّة، وتعطيها حقّها من الاهتمام؛ وذلك حتّى يتمكَّن المعلم من تدريس هذه القاعدة وفق أهدافها.

والحق إنَّ كتاب «القاعدة النورانيَّة التعليميَّة» ــ الذي قامت بترجمته والتعليق عليه رفيعة الأفغاني، وقدمت فيه ترجمة لأقدم طبعة للقاعدة، كما أضافت إليه من خبرتها ــ يعدّ دليلاً واضحًا، ومرشدًا قيِّمًا يساعد المعلِّمين كثيرًا في اتِّباع خطوات التدريس بطريقة صحيحة، فهو يقدِّم الموضوع بإرشادات أساسية، مع المحتوى العلمي المراد تدريسه لطالب القرآن، في خطوات تتميَّز بالتسلسل والتركيز من دون حشو أو إطالة.

وفي الدليل المشار إليه أيضًا كثير من الفوائد، والتنبيهات، والتحذيرات التي يتوجَّب على معلِّم القرآن الالتفات إليها، أو الحذر منها؛ حتى يتمكَّن مِن أداء الأمانة التي يحملها على عاتقه، أمانة تدريس القرآن العظيم.

ثالثًا: التكامل في تعليم القرآن الكريم:

وأقصد بهذا العناية بتعليم القرآن حفظًا وتلاوة واستماعًا وفهمًا، فلا يكون الاهتمام البالغ بالحفظ دون الفهم، أو بالتلاوة ومراعاة أحكامها وقواعدها دون الاستيعاب لما يقرأ.

لقد جعل الله القرآن الكريم ميسَّرًا للحفظ وميسَّرًا للفهم كذلك؛ لأنَّ ألفاظ القرآن وجمله، وآياته، فيها السلاسة والعذوبة والسهولة، ممَّا يجعله ميسور الحفظ لمن أراد أن يحفظه، ويحمله في صدره، ويجعل قلبه وعاء له[١].

وإنك لتعجب حين تجد حفظة القرآن من الأعاجم، أو كما يقولون من غير العرب من مختلف الدول الآسيويَّة والأفريقيَّة المسلمة يحفظون أجود الحفظ، على الرغم مِن أنَّهم لا يعرفون معاني الكلمات بالعربيَّة.

ولا شكّ في أنَّ حفظ القرآن عمل عظيم وله فضل كبير؛ فقد ورد في الحديث الشريف عن ابن عبَّاس قول الرسول ﷺ: «**إنَّ الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب**»[٢].

ولكن الذي أرغب في بيانه هو أنَّ المطلوب ألاَّ نُعنى بتحفيظ القرآن فقط، في حين نغفل عن فهمه وإدراك معانيه، وتعرُّف مقاصده، ومن ثمَّ التزام أوامره واجتناب نواهيه.

وإذا رجعنا نتأمَّل قول رسولنا الكريم ﷺ: «**خيركم مَن تعلَّم القرآن وعلَّمه**»، فإنَّ علينا أن نعرف:

---

(١) كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟ ـ ص١٣١.

(٢) الجامع الصحيح ـ (سنن الترمذي)، الجزء الخامس ـ ص١٧٧، حديث رقم (٢٩١٣).

رفع المسـاهم

ما المراد بتعلُّم القرآن وتعليمه؟

هذا السؤال طرحه الشيخ القرضاوي وناقش المراد منه مبيِّنًا أنَّ مِن الناس مَن يفهم المقصود أنه حفظ كلمات القرآن وحروفه عن ظهر قلب، وهي مهمّة الكتاتيب قديمًا، ومدارس التحفيظ حديثًا[(١)].

والحقيقة أنه لا يكفي في تعلُّم القرآن أن يحفظ الإنسان سطوره، ويستظهر آياته، ثمَّ لا يفهم لها معنى، وإن كان مثابًا على حفظه واستظهاره، حسب نيّته، وإنما عليه أن يفهم ما استطاع ماذا يريد الله منه بقدر ما يتَّسع له واديه من المعرفة[(٢)].

ويدلل القرضاوي على رأيه بأنَّ القرآن الكريم جعل من مهام النبي ﷺ (تعليم الكتاب والحكمة) في قوله تعالى: ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤][(٣)].

ولا ريب أنَّ هذا التعليم ليس هو التحفيظ، بدليل أنه معطوف على تلاوة الآيات في ذلك الموضع أو الآية، والتعليم أخصّ من التلاوة.

إنَّ التعليم هو تدارس القرآن، وتعرُّف ألفاظه ومبانيه، ومفاهيمه ومعانيه، وما يرشد إليه من العظات، وما يدلّ عليه من الآداب والأحكام.

كذلك فإنَّ من الأمور الواجب العناية بها مهارة الاستماع إلى القرآن الكريم؛ فهي عبادة لا تقلّ أهميّة عن التلاوة؛ فالرسول الكريم ﷺ كان يحبّ

---

(١) كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟ ــ ص١٤٩.

(٢) المصدر السابق ــ ص١٥٠.

(٣) هذا المعنى وارد في مواضع أخرى في القرآن الكريم [البقرة/ ١٢٩، و ١٥١، الجمعة/ ٢، كما أشار الشيخ القرضاوي].

رفع المسلم

الاستماع إلى قراءة الصحابة رضوان الله عليهم، وقد طلب من ابن مسعود أن يقرأ عليه شيئًا من القرآن، فقال ابن مسعود: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: **«إني أشتهي أن أسمعه من غيري»**.

وقد ورد أنَّ الملائكة لم يعطوا فضيلة حفظ القرآن؛ فهم حريصون على الاستماع إليه من الإنس والجن، ومن السُّنَّة الاستماع إلى القرآن والإنصات إلى قارئه، وترك اللغط والحديث الخارج عن جوّ القراءة(١).

وينبغي علينا أن نُعَلِّم أبناءنا وبناتنا آداب الاستماع إلى القرآن كما نعلِّمهم آداب التلاوة.

والجديد بالذِّكْر أنَّ الإنصات إلى القرآن يساعد العقل على التدبُّر، ويجعل القلب يتأثَّر، ومن ثَمَّ يتوجَّه الوجهة التي يريدها المربّون.

وأكثر الأمور التي يجب العناية بها في تحفيظ القرآن والتدريب على الإنصات إليه، وتلاوته، ما يلي:

١ ـ لفت نظر المتعلّم دائمًا إلى تدبُّر ما يقرأه، وما يستمع إليه، وما يحفظه في صدره، حتى يستطيع بعدها التجاوب معه، والعمل بما فيه، للفوز بسعادة الدنيا والآخرة.

٢ ـ تعظيم الكلام الذي يتلوه أو يستمع إليه، وتعظيم المتكلِّم به عزَّ وجلّ، علينا أن نربِّي أبناءنا على تقديس كتاب الله، وتعظيم كلام الله، والمحافظة على المصحف كما يحافظون على أحبّ وأغلى شيء لديهم.

---

(١) نهاية القول المفيد ـ ص٢٥١.

وقد رُوِي عن أنس رضي الله عنه، أنَّ النبـيّ ﷺ قال: «**القرآن أفضل مِن كلِّ شيء، فمَن وقَّر القرآن فقد وقَّر الله، ومَن استخفَّ بالقرآن استخفَّ بحقِّ الله تعالى...**»[1].

٣ ــ تعليم الأبناء كيف يكون ذهنهم مركزًا، وقلبهم حاضرًا في الكلام الذي يتلونه، حتى يتمثَّلوا عظمة الخالق، وعظمة كلامه، ولن يعدم المعلم إيجاد الوسائل التي تعينه على ذلك.

٤ ــ أن يتعلَّم الأبناء كيف يصرفون بالَهم إلى فهم معاني الآيات التي يتلونها ويحفظونها، وأن يكون أكبر همّهم فهْم المراد من الآيات، وليس الهمّ الأكبر في إخراج الحرف، لأنَّ الشيطان كثيرًا ما يوسوس للإنسان في أثناء القراءة ليدفعه إلى الإعادة والترديد والشكّ في صحَّة المخرج؛ حتى يصرفه عن تفهُّم المعنى المراد.

٥ ــ عندما نعلِّم القرآن يجب أن نشدِّد على ضرورة تجنُّب اللحن في كتاب الله، وعلينا ألاَّ نتساهل في هذا الجانب مطلقًا؛ لأنَّ الخطأ في كلام الله فيه إثم كبير، ولا حجَّة لنا في ذلك؛ فوسائل التعليم والتعلُّم متاحة أمام الجميع، ومسهَّلة ومتنوّعة، وتتطوَّر في كلّ يوم، وتخرج الجديد المفيد أمام المعلِّمين والمتعلِّمين.

٦ ــ تعليم الأبناء احترام معلِّم القرآن، وإكباره، وتقدير فضله، وأن يكون للمعلم هيبته ومكانته في نفس المتعلم، فيلزم التأدُّب معه، والاعتقاد بأهليّته حتى يستطيع الانتفاع مِن علمه، وإذا حدث أن وقع من المعلِّم نقص أو تقصير فلا يظهر ذلك أو يجترىء عليه، بل ينبغي أن يجعل النقص في نفسه هو، وفي فهمه لقول المعلِّم.

(١) الجامع لأحكام القرآن، الجزء الأوّل ــ ص٢٦.

إنَّ طالب العلم ـ في أيّ عمر وفي أيّة مكانة ـ عليه التأدُّب بتلك الآداب الجميلة، حتى يسمو بنفسه، ويكبر في عيون الآخرين، ومن ثَمَّ يتحقَّق له الأجر والثَّواب.

٧ ـ ألا يطغى اهتمامنا بالحفظ على عنايتنا بالفهم، بل إنَّ الواجب علينا أن نُعنى بالفهم والاستيعاب تمامًا كما نُعنى بالحفظ، ولا ننسى أنَّ الفهم إذا سبق الحفظ كان عونًا له، وعاملاً من عوامل اختزانه في الذَّاكرة.

٨ ـ أن نربِّي الأبناء على حبّ اللغة العربيّة لغة القرآن الكريم، وأن نسعى جاهدين من أجل تحبيب هذه اللغة العظيمة إلى نفوس الصغار، حتى يشبوا على حبّها، والاعتزاز بها، والتمسُّك بقواعدها؛ وبذل الجهد في تعلُّمها، وإتقان مهاراتها، لأنها الأداة الرئيسة لفهم القرآن، وإتقان الأداء في تلاوته وحفظه.

وفي رواية لابن عبّاس أنَّ النبي ﷺ قال: **«أحبُّوا العرب لثلاث: لأنِّي عربي، والقرآن عربي، وكلام أهل الجنَّة عربي»**[(١)].

٩ ـ تعهّد المتعلِّمين المهرة والموهوبين في تلاوة القرآن وحفظه، وتكثيف العناية بهم منذ الصغر؛ حتى يشبوا وقد وجدوا مَن يبرز إمكاناتهم، ويصقل مواهبهم، ويتيح أمامهم الفرصة لإتقان الأداء في تلاوة كتاب الله، وهي الخطوة الأولى مِن أجل تخريج المَهَرة مِن القارئين والقارئات مستقبَلاً بعون الله.

١٠ ـ العناية بالجانب التطبيقي العملي بالقدر الكافي الذي يقوي ملكة اللغة عند النَّاشئة، ويعمل على وضوح النطق وفصاحة اللسان، ومن ثَمَّ ترسيخ النطق العربي الفصيح في ألسنة المتعلِّمين صغارًا وكبارًا.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، الجزء الأوَّل ـ ص٢٣.

رفع المسهم

خاتمة

وأختم الحديث عن تعليم القرآن وتعلُّمه بتذكُّر أنَّ رسول الله ﷺ كان حريصًا على تلاوة القرآن، وحفظه وترديده، والاستماع إليه، وتدبُّر معانيه ومقاصده، والعمل بما فيه، وهو نبيّنا ورسولنا وقدوتنا، فإذا كنّا نحبّ رسولنا حقًّا، فعلينا التأسِّي به، فمن علامة محبّته الاقتداء به في أخلاقه وأفعاله، وحركاته وسكناته.

والمؤمن الحقّ ـ لا شكّ ـ يريد لنفسه ولأبنائه أن يكونوا بعون الله مثل النبـيّ الكريم في تلاوته لكتاب الله، وتجويده وإتقانه، والتعلُّم منه والعمل بما فيه.

وقد رُوِي عن أبـي هريرة رضي الله عنه، عن النبـي ﷺ أنه قال: **«يا أبا هريرة، تعلَّم القرآن وعَلِّمه النَّاس، ولا تزل كذلك حتى يأتيك الموت، فإنه إن أتاك الموت وأنت كذلك، حجَّت الملائكة إلى قبرك كما يحجّ المؤمنون إلى بيت الله الحرام»**[(١)].

تمَّ الفصل الخامس بحمد الله.

❑ ❑ ❑

(١) نهاية القول المفيد ـ ص٢٥٨.

رفع المسهم

الفصل السادس

الخليل بن أحمد، عالِم اللغة المبدِع

(١٠٠ ــ ١٧٥هـ)

[١] لماذا هذه الترجمة لسيرة الخليل بن أحمد؟

[٢] لمحات من سيرته.

ــ مولده ووفاته.

ــ اسمه ونسبه.

ــ زوجته وأولاده.

ــ بيئته الفكرية.

ــ علمه وأساتذته.

ــ خُلق الخليل وأدبه في التعلُّم والتعليم.

[٣] مؤلَّفات الخليل ومجالات إبداعه.

[٤] خاتمة.

رفع
المسهم
عبد الله الرزاق

الفصل السادس

الخليل بن أحمد، عالِم اللغة المبدِع

(١٠٠ ــ ١٧٥هـ)

[١]

لماذا هذه الترجمة لسيرة الخليل بن أحمد؟

كثير من الدَّارسين لا يعرفون عن الخليل بن أحمد سوى أنه مِن كبار النحْويِّين المتقدِّمين، وأنَّ له الأثر الكبير في كتاب تلميذه سيبويه (الكتاب)، ودارسون آخرون يعرفون عن الخليل أنه صاحب كتاب (العين)، وجماعة أخرى لا تعرف عن هذا اللغوي المبدع إلاَّ أنه واضع علم العروض.

وأغلب الدَّارسين لقواعد التجويد، الرَّاغبين في تعلُّم القرآن الكريم: تلاوته وتجويده، لا يعرفون عن الخليل إلاَّ أنه عالم اللغة الذي اهتدى إلى ترتيب الحروف وفق مخارجها، وأنه أعطى الحروف ألقابها، وجعل للحروف سبعة عشر مخرجًا، كما يقول ابن الجزري:

مخارج الحروف سبعة عشر　　　على الذي اختاره مَن اختبر

وقول ابن الجزري: (من اختبر)، أي ذلك الباحث العالم الذي أجرى اختبارات كثيرة، حتى توصل إلى عدد المخارج، وعلم أنه سبعة عشر مخرجًا، وهو الخليل بن أحمد.

ولعلنا نحن الدَّارسين نجهل كثيرًا من تاريخ لغتنا، وعلماء هذه اللغة، ودليل ذلك جهلنا بهذا العالم الكبير الذي لم يعرف على حقيقته في مختلف العصور، وعلى الرغم مِن أنَّ معاصريه ومَن تبعهم قد أخذوا عنه، وأفادوا مِن علمه الشيء الكثير.

الخليل بن أحمد هو أحد العباقرة الكبار، الذين هم مفخرة الحضارة العربية، وهو مبدع مبتكر.

والإبداع عنده يتمثَّل في عناصر عدَّة، أبرزها:

أنه وضع أول معجم في العربية؛ حيث لم يستطع أحد ممَّن تقدَّمه، أو ممَّن عاصره أن يهتدي إلى شيء من ذلك(١).

هذا العالم الجليل، واللغوي المبتكر وجدته جديرًا بالوقوف عند سيرته، وإظهار جوانب إبداعاته التي ينبغي أن تكون قدوة يقتدي بها الأبناء والبنات في مسيرة العلم والتعلُّم.

إنَّ في سيرة هذا اللغوي المبدع ما يوجب الكشف عنه وتبيانه؛ ذلك لأهميته في مجال دراسة اللغة، والأدب، وفي مجال تجويد كتاب الله العزيز، فلعلَّ في هذه الوقفة ما يبرز موطن القدوة لنقتدي بها، ونتعلَّم منها.. والله وحده المستعان على ذلك.

❑ ❑ ❑

---

(١) مقدّمة (معجم كتاب العين) للخليل بن أحمد ــ كتبها مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي.

[٢]
لمحات مِن سيرته

مولده ووفاته

اختلف المؤرِّخون في ولادة الخليل ووفاته، فذهب بعضهم إلى أنه وُلِد ومات في البصرة[١]، وذهب آخرون إلى أنه وُلِد في عُمان ومات في البصرة[٢].

اسمه ونسبه

هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي، وكنيته أبو عبد الرحمن، فهو عربي من الأزد، وفرهودي من فراهيد، المنتسب إلى ابن مضر الأزدي البصري، وأبوه أحمد أول مَن تسمَّى بهذا الاسم في العرب بعد الرسول ﷺ.

زوجته وأولاده

ذكر بعض المؤرِّخين أنه تزوَّج ابنة عمّه، وأنها غارت عليه لانشغاله عنها بتأليف كتاب العين، فأحرقت هذا الكتاب، الذي صنَّفه في

(١) الزركلي، الأعلام، الجزء الثاني ــ ص٣٦٣.

(٢) الموسوعة العربية الميسّرة، الجزء الأوَّل ــ ص٧٦٤.

رفع المسابهم

خراسان، وقد تكون أحرقته إنَّ صحَّت الروايات بسبب أنها ضاقت ذرعًا بالخليل؛ لانشغاله عنها في الكتابة والتأليف حتى بعد أن كبر في السن[١].

وتختلف الروايات كذلك حول ما إذا كان له أبناء، وتفيد بعض هذه الروايات أنَّ له ابنًا واحدًا، ولم يكن نابهًا، دخل على أبيه (الخليل) مرة وهو يقطّع الشعر فخرج من عنده يصرخ قائلاً: إنَّ أبـي قد جُنّ.

وتذكر بعض الأخبار أنَّ له ولدًا متخلّفًا، وقد يكون هو عبد الرحمن المكنى به، أو يكون له ولد آخر متخلّف، بل إنَّ بعض الروايات تذكر أنَّ هذا الذي خرج مِن عنده إنما هو أخ له. . . إنه الاختلاف المعهود لدى المؤرِّخين حين يتعرَّضون لدراسة المشهورين القدامى.

ومن طريف ما يُروى حول ولده عبد الرحمن بشأن تلك الحادثة، أنه عندما دخل على أبيه الخليل ورآه يوقع أصابعه ويحرِّكها، ويردِّد تفعيلات الشعر، رافعًا صوته مرة، وخافضه مرة أخرى فرحًا بإنجازه، ظنَّ أنَّ والده قد فقد عقله، فخرج يستنجد، فجاء جمع من الناس ليعرفوا الأمر، ودخلوا على الخليل، وحينها تألَّم هذا العالِم لجهل ابنه، ثمَّ شرح للناس ما هو بصدده، والتفت إلى ابنه قائلاً:

لو كنتَ تعلمُ ما أقولُ عذرتني ... أو كنتَ تعلمُ ما تقولُ عذلتكا
لكن جهلتَ مقالتي فعذلتني ... وعلمتُ أنَّكَ جاهلٌ فعذرتكا[٢]

(١) من أعلام التربية العربية الإسلامية، المجلد الأول ــ ١٦٧.

(٢) نقلاً عن عبد العزيز عبد الله، سلامة اللغة العربية ــ ص٧٦ (مرجع سابق في الكتاب).

بيئته الفكرية التي نشأ بها

قضى الخليل طفولته في عُمان ــ وفق روايات عدَّة ــ.

ثُمَّ انتقل إلى البصرة وهو صغير لم يتجاوز ست سنوات، وكانت البصرة في ذلك الوقت ــ بداية القرن الثاني الهجري ــ قد ظهرت بها بوادر حركة فكريَّة زاخرة ممثَّلة في الجوانب الدينيَّة والفلسفيَّة والنحويَّة.

فكان مِن العوامل المؤثِّرة في فكر الخليل: طبيعة السكَّان في البصرة؛ إذ كانوا عناصر شتّى مِن أصول فارسيَّة وهنديَّة، إلى جانب الأصول العربيَّة[١].

كانت البصرة في ذلك الوقت مقصد القوافل التجارية مِن كلِّ حدب وصوب، وعمرت بالأسواق التي زخرت بالسلع الغنيَّة، والحلقات الأدبيَّة العامرة بالشُّعراء والرُّجَّاز.

فالبصرة آنذاك كانت مقرًّا للعلماء والقرَّاء والحفَّاظ، ولم ينبغ شاعر أو أديب، أو كاتب، ولا برز عالم بارع إلاَّ وقصد البصرة، حيث يجد فيها مَن يستمع له، ويأخذ عنه، ويأخذ منه[٢].

في ظلّ هذه الحياة التي تعجّ بنشاط العلماء والأُدباء، وتعمر بالآراء العلمية والفكرية والدينية، وفي جنبات مراكز العلم وحلقات المساجد، وفي ميدان المناظرات والحوارات وحلقات الدروس التي تُعنى بالقرآن والحديث والشِّعر والحساب.. عاش الخليل بن أحمد وتأثَّر بهذا كلّه لا شكّ في هذا.

(١) من أعلام التربية العربية الإسلامية، المجلد الأول ــ ص١٦٩ ــ ١٧٠.

(٢) المصدر السابق، المجلد الأول ــ ص١٧٠.

علمه وأساتذته

تذكر الروايات أنَّ الخليل أخذ التعليمات الأولى مِن والديه خلال نشأته في عُمان في طفولته المبكرة، وأنه كان خارجيًّا صفريًّا أو إباضيًّا، مع الاختلاف في هذه الروايات.

ثمَّ إنَّ الخليل تلقَّى تعليمه ونضج فكره في البصرة، فقد كان يختلف إلى الكتَّاب صبيًّا، وظهرت عليه علامات النَّجابة والفطنة.

وقد كان للحلقات العلميَّة في البصرة أثرها الكبير في علم الخليل، فإنَّ منظر الناس وهم يتحلَّقون حول المعلِّم عاكفين عليه كان يهزّ نفس الخليل، ويضرب فيها جذورًا متينة قائمة على حبّ العلم والعلماء.

أخذ الخليل النحو واللغة عن إمام اللغة ومهذّب النحو عيسى بن عمر (المتوفّى عام ١٤٩هـ)، كما جلس إلى أبي عمرو بن العلاء (المتوفّى عام ١٥٤هـ)، وهو أعلم الناس بالعربية والقرآن والشعر.

عُرِف عن الخليل أنه كان يخرج إلى البوادي باستمرار وكان يحجّ سنة، ويغزو سنة، وحصَّل العلم غزيرًا قويًّا من البادية، أو كما قال هو: مِن بوادي تهامة ونجد والحجاز، حيث أخذ علوم العربية، وحفظ الأشعار والنوادر والأخبار، كما حفظ أسرار اللغة، ولهجاتها، ونوادرها، وأخبارها[١].

(١) من أعلام التربية العربية الإسلامية، المجلد الأول ــ ص١٧٤ ــ ١٧٥.

خُلق الخليل وأدبه في التعلُّم والتعليم

١ ــ كان الخليل يؤمن بأنَّ مدَّة تعلُّم الإنسان لا تنتهي؛ فهو دائم التعلُّم مدى حياته.

والخليل أوَّل مَن جعل العلم للحياة، وليس للحفظ والكسب؛ ولذلك قيل عنه إنه كان من المنقطعين للعلم، وهو إن تعلَّم شيئًا طبقه في حياته دون تأخير، وربما تعلَّم ما يغيِّر مجرى تفكيره واعتقاده، فإذا اقتنع بالأدلَّة والبراهين تحوَّل وتبدَّل وطبق ما تعلمه؛ ومِن هنا فإنَّ اختلافه إلى حلقات أيُّوب السختياني البصري (المتوفّى عام ١٣١هـ) الذي كان يعد سيِّد فقهاء عصره، الحافظ الثقة، له تأثير كبير على فكره، وبخاصّة حين سمع هذا الفقيه يقول: «لا يعرف الرجل خطأ معلمه حتى يسمع الاختلاف»[١].

ويذكر المؤرِّخون أنَّ الخليل كان خارجيًّا، ولكنه بعد مجالسته أيُّوب السختياني انتقل إلى فكر أهل السُّنَّة والجماعة، دلالة على انتفاعه بما يتعلَّم، ورجوعه إلى ما يراه ويقتنع بأنه حق.

٢ ــ عناية الخليل بالجانب العملي التطبيقي؛ فقد آمن الخليل أنَّ البادية العربيَّة هي مكان صناعة اللغة العربيَّة، وأنَّ عرب البادية هم الحافظون لغتهم مِن الضّياع، ولذلك داوم على الاستفادة مِن عرب البوادي؛ لينهل اللغة صافية نقيّة لا عُجمة فيها، ولا لكنة ولا دخيل على اللغة الأصيلة.

٣ ــ مِن مبادىء الخليل أنه لا حياء في العلم والتماس المعرفة؛ ويرى أنَّ الحياء في طلب العلم يؤدِّي إلى الجهل، ومِن الأقوال المأثورة عنه في هذا: «مَن أظهرَ حياء في التماس العلم، وقعد عنه؛ لبس الجهل، وقنع

(١) من أعلام التربية العربية الإسلامية، المجلد الأول ــ ص١٧٤.

قناع السفه. ومَن امتدَّت له أيَّامه في غلواء جهله حشر يوم القيامة أعمى»[١].

ولا شكّ أنَّ الحياء في طلب العلم يأتي بالعلم رقيقًا ضعيفًا لطالبه.

٤ ــ رفع الكلفة بين المعلِّم والمتعلِّم مع وجود الاحترام والتأدُّب مع المعلِّمين، وهذا أيضًا يتَّصل بمسألة طرح الحياء في طلب العلم؛ حتى يكون التعلُّم قويًّا شاملاً، وحتّى تحصل الفائدة المرجوَّة؛ لأنَّ الرهبة والكلفة تؤثِّر سلبًا في التعلُّم.

٥ ــ الانقطاع إلى العلم، ولقاء العلماء، ومناظرتهم ومحاورتهم، والعمل على تنمية ملكة الإبداع، وتدوين العلم ما أمكنه ذلك، والحرص على الحفظ، وجعل القلب وعاء للعلم.

٦ ــ إجلال العلماء وإكرامهم، وقد كان الخليل يجلّ العلماء ويراهم أولياء الله، ويعمل على مجالستهم، والأخذ منهم وعدم الاقتصار على رأي واحد من معلم واحد.

٧ ــ حُسن الخُلُق وطيب التعامل، والاحترام والتقدير مع الأستاذ الذي يأخذ عنه ويتعلَّم منه، وهذا جانب يميِّز الخليل في تعلُّمه.

وقد رُوي أنه أراد مناظرة أبـي عمرو بن العلاء في مسألة مِن مسائل اللغة أو النحو، وذلك في حلقة مِن حلقات العلم، ولكنه ظلَّ يستمع إلى أبـي عمرو وهو صامت، كأنه عدل عن مناظرته، ولمَّا سُئِل عن السبب قال: «هو رئيس منذ خمسين سنة، فخفت أن ينقطع فيفتضح في البلد».

(١) من أعلام التربية العربية الإسلامية، المجلد الأول ــ ص١٧٦.

انظر إلى هذا الأدب الجمّ، والخُلُق الرَّفيع مع مَن تعلَّم منه؛ فقد خشي أن يظهر بمظهر المتعلِّم العاقّ، وهو فعل يدلّ على احترامه وتكريمه لأستاذه، وحفظه لكرامة الأستاذ ومكانته بين الناس، على الرغم من مقدرته على المناظرة والمحاورة، وهذا لعمري خُلُق يحتاجه كثير مِن المتعلِّمين في وقتنا الحاضر.

فهناك مِن طلاَّب العلم مَن تراه وقد حَصَّل قدرًا من العلم والمعرفة، فظن في نفسه البراعة والوصول إلى مرتبة عالية، فيدفعه الرِّياء وحب الشهرة إلى العمل على إظهار مقدرته، ومن ثَمَّ يتناول أساتذته بالنقد والجرح ليتسلَّق ويصل إلى مبتغاه.

إننا بحاجة إلى قوَّة الإرادة والصبر والتواضع، تلك السِّمات التي تميَّز بها الخليل، وحبَّذا الاقتداء بها، والانتفاع بها في تعاملنا مع معلِّمينا وأساتذتنا.

٨ ــ حين يكون الخليل معلمًا فإنه يقصد من ذلك وجه الله، ويعمل جاهدًا على ترغيب تلاميذه في العلم وطلبه، وهو في كلّ ما يعلمه يطلب الأجر من الله، وإضافة إلى ذلك كان يحترم تلاميذه، ويحبّهم، ويوسع لهم في المجالس؛ ليشعرهم بمكانتهم في نفسه، وقد تحقّق له مِن هذا حبّ طلاّب العلم له؛ وذلك لأمرين، الأوّل: علمه الواسع، والثاني: احترامه لطلاَّبه(١).

٩ ــ عُرِف الخليل بزهده وتقشُّفه، عاش فقيرًا صابرًا، وكان شعث الرأس، شاحب اللون، قشف الهيئة، متمزّق الثياب، متقطّع

(١) من أعلام التربية العربية الإسلامية، المجلد الأول ــ ص١٨٠.

القدمين، مغمورًا بين الناس لا يُعرف[١].

ويُذكَر أنَّ الخليل كان مِن أهل الورع والتقوى والزُّهد، وكان متواضعًا، زاهدًا، لا يتطلَّع إلى التكسُّب مِن العلم، على الرغم مِن غزارة علمه، وتشعُّب معارفه، وتعدُّد ابتكاراته.

وقد كان النضر بن شميل مِن علماء اللغة المتقدِّمين يقول: «أكلَتِ الدنيا بعلم الخليل بن أحمد وكتبه، وهو في خُصّ لا يشعر به أحد».

وفي رواية أخرى هناك مَن تحدَّث عنه بهذه العبارة: «أقام الخليل في خصّ مِن أخصاص البصرة لا يقدر على فِلْسَيْن، وأصحابه يكسبون بعلمه الأموال».

وفي كلّ ما سبق ما يدلّ على زهده وعظيم أدبه، وعدم اعتباره العلم هدفًا لتحصيل المال، ولذلك فقد أبدع وابتكر ـ لأنه كان يغلق عليه بابه، ويعمل فكره في نشاط وحيوية، رغم ضنك العيش الذي يعاني منه.

١٠ ـ مِن أفضل ما عُرِف من أدب الخليل في تعلُّمه وتعليمه أنه كان إذا أفاد إنسانًا شيئًا لم يُرِه ولم يُشْعِره بأنه أفاده، في حين أنه إذا استفاد شيئًا مِن أحد أراه وأشعره أنه استفاد منه.

إنه التَّواضع الجمّ، القائم على التربية الإسلاميَّة الصَّحيحة، وقوامها احترام المعلِّم، وبيان فضله والإقرار بهذا الفضل، وقوامها كذلك إنكار الذَّات، وإعفاء المتعلِّم مِن فضل المعلِّم.

فما أجدر أن نتخلَّق بهذا الخُلُق الفاضل في زمانٍ مثل زماننا!

---

(١) الأعلام، الجزء الثاني ـ ص٣٦٣.

١١ ــ تميَّز الخليل في تعلُّمه بإعمال الفكر والتدبُّر وكثرة التفكُّر، والمثابرة على هذا الأسلوب ليصل إلى الفكرة الجديدة، كذلك عُرِف عنه التفكير في القول قبل النطق به، وكان يقول: «إنَّ المجيب يفكِّر قبل الجواب، وقبيح أن يفكِّر بعده».

كما تميَّز بالشمولية في طلب العلم؛ فكان يبحث في العلوم كلها، ما يحتاجه وما لا يحتاجه، وقد ظلَّ طوال حياته مخلصًا للعلم، مندفعًا إلى كلّ جديد، باحثًا مجرّبًا لا يبالي باعتراضات أو مؤاخذات مِن قريب أو بعيد.

❑ ❑ ❑

[٣]

مؤلّفات الخليل ومجالات إبداعه

ذكر الزركلي(١) مؤلّفات الخليل، وهي:

- كتاب العين في اللغة.
- معاني الحروف.
- جملة آلات العرب.
- تفسير حروف اللغة.
- كتاب العروض.
- النقط والشكل.
- النغم.

وهذه المؤلّفات الضخمة تندرج في مجالات إبداعيّة وابتكاريّة، تجعل القارئ يُكْبِرُ هذا العالم المبدع، ويفتخر به عالمًا عربيًّا مسلمًا.

* * *

(١) الأعلام، الجزء الثاني ـ ص٣٦٣.

رفع المسيهم

مجالات إبداع الخليل

أوّلاً: في علم اللغـة

لخَّص أبو الطيِّب اللغوي إبداع الخليل في اللغة بقوله: «وأبدع الخليل بدائع لم يُسبق إليها، فمن ذلك: تأليفه كلام العرب على الحروف في الكتاب المسمَّى بـ «كتاب العين»، فإنه هو الذي رتب أبوابه، وتُوُفِّي قبل أن يحشوه»[(١)].

إنَّ أوَّل مَن فكَّر في جمع اللغة حسب ترتيب خاص هو الخليل بن أحمد، وقد واجهته صعوبتان في ذلك الأمر:

الأولى: كيف يحصر اللغة ويحصيها.

الثانية: كيف يرتب موادها[(٢)].

وقد حلَّ الصعوبة الأولى بعقله الرياضي عن طريق الأرقام؛ فقد أحصى الحروف العربية فوجدها ثمانية وعشرين حرفًا، فأخذ الحرف الأول وضربه بسبعة وعشرين حرفًا، والحرف الثاني وضربه بستة وعشرين... وهكذا حتى انتهى مِن إحصاء الحروف والكلمات الثنائية ومِن بعدها الثلاثية، بعقلية رياضيَّة مبدعة، لم يسبق إليها أحد قبله.

أمَّا الصعوبة الثانية فقد استطاع حلّها عن طريق التفكير في طريقة لترتيب الكلمات، فاعتمد طريقة المخرج، ولذلك كان صاحب مدرسة الترتيب المخرجي أو الصوتي في مجال المعاجم وأساليب ترتيبها.

(١) الأعلام، الجزء الثاني ـ ص٣٦٣.

(٢) عبد المجيد الحرّ: المعجمات والمجامع العربية ـ ص٣٣.

نبذة عن كتاب العين:

معجم العين عبارة عن كتب بعدد حروف الهجاء، فكتاب العين، ثم كتاب الحاء، ثم كتاب الهاء، فكتاب الخاء وهكذا.

وكتاب الحاء مثلاً يخلو مِن أيّ كلمة أحد حروفها العين؛ لأنها مذكورة في كتاب العين، وكتاب الخاء يخلو مِن أيّة كلمة أحد حروفها الحاء؛ لأنها مذكورة في كتاب الحاء... وكلّ كتاب مقسّم إلى ثنائي (الكلمة من حرفين) ثم ثلاثي صحيح، ثم ثلاثي معتلّ، ثم رباعي، ثم خماسي... إلخ[1].

كيف تبحث في معجم العين:

لا بدَّ للباحث في هذا المعجم من أن يعرف أربعة أمور:

١ ــ الترتيب المخرجي للحروف، ليحدد الكتاب الذي يبحث فيه.

٢ ــ تجريد الكلمات من حروف الزيادة المجموعة في كلمة (سألتمونيها).

٣ ــ تحديد الكلمة التي تمَّ تجريدها: أهي من الثنائي، أم من الثلاثي، أم من الرباعي... وهكذا.

٤ ــ معرفة الصحيح من المعتلّ، وردّ المعتلّ إلى أصله.

حتى يتسنّى له بعد ذلك معرفة الباب الذي سيجد فيه الكلمة التي يبحث عنها.

وحروف معجم العين حسب مخارجها هي:

(ع ــ ح ــ هـ ــ خ ــ غ) (ق ــ ك) (ج ــ ش ــ ض) (ص ــ س ــ ز)

---

(١) المعجمات والمجامع العربية ــ ص٣٦.

رفع المسهم

(ط ــ د ــ ت) (ظ ــ ذ ــ ث) (ر ــ ل ــ ن) (ف ــ ب ــ م) (و ــ ا ــ ي) همزة.

ملاحظات:

* لاحظ الخليل أنَّ الحروف الهجائيَّة تبدأ بحرف علَّة وهو الألف، وأدرك أنه حرف لا يبقى على حال، يتغيَّر بتغيُّر موضعه وموقعه من الكلمة، فأراد البدء بحرف ثابت، ووجد أنَّ الباء هو ثاني الحروف، فكيف يبدأ بالحرف الثاني؟

ولذلك صرف ذهنه عن الترتيب الأبجدي، وفكَّر في طريقة أخرى، حتى اهتدى عقله الرياضي إلى مخرج الحرف، فوجد أنَّ حرف (العين) أمضى وأدخل الحروف، فجعلها أوَّل الكتاب، ثمَّ ما قرب منها في المخرج... وهكذا.

* أُخذ على الخليل تقديمه العين على الهاء، على الرغم من أنَّ الثانية أدخل وأعمق من الأولى، وقد أشار الخليل إلى ذلك واعتذر بأنَّ الهاء حرف مهموس خفيف، لا صوت له، يطرأ عليه في اللغة تغييرات، فقد يُسَهَّل، وقد يلغى، ومثل الهاء حرف الهمزة الذي يتَّصف بالخفاء.

اختلاف الآراء حول كتاب العين:

تنقسم الآراء حول نسبة كتاب العين إلى الخليل بن أحمد إلى ثلاث فئات:

الأولى: ينكر أصحابها على الخليل تأليف هذا الكتاب، ومنهم: النضر بن شميل، وسهل أبو حاتم السجستاني، وغيرهما.

الثانية: تنسب الكتاب إلى الخليل، وتقول: إنه أوّل مَن ضبط اللغة، وأملى كتاب العين على الليث بن المظفر (تلميذه)، ومِن هؤلاء: ابن خلدون، والأنباري وغيرهما.

الثالثة: ترى أنَّ الخليل شرع في تأليف الكتاب ولم يكمله؛ لأنه تُوُفِّي، وأتمَّه تلميذه الليث بن المظفر، ومِن هؤلاء: السِّيرافي وغيره.

ويطرح عبد المجيد الحرّ موضوعًا آخر، وهو علاقة الخليل وجهده في كتاب العين بالفلاسفة اليونان، وتأثُّره بهم، أو تأثُّره بالإغريق في بناء هذا الكتاب.

ويدافع في حديثه هذا عن الخليل موضحًا:

* أنَّ حركة الترجمة عن الكتب اليونانية لم تعرف الرَّواج إلَّا بعد وفاة الخليل.
* أنَّ أحدًا مِن علماء اللغة العربيّة لم يذكر أنَّ هناك مَن سبق الخليل بوضع معجم في اللغة، ولو كان هناك معجم سابق له لاستفاد منه الخليل؛ لأنَّ إعداد المعجم لا يأتي إلَّا بالمجهود الشاقّ والعمل المضني.

ومِن هنا فقد تبيَّن للكاتب بكثير من الثِّقة أنَّ كتاب العين مِن رسم الخليل، وأنَّ مَن جاء بعده ساروا على نهجه، واستفادوا مِن علمه ومنهجه[١].

آراء أخرى مدافعة عن الخليل:

مِن قراءاتي حول الخليل وجهوده وإبداعاته، وجدتُ مَن يتصدَّى لدراسة إبداعات هذا اللغوي المبدع، وينبري للدفاع عنه أمام الجحود

(١) المعجمات والمجامع العربية ــ ص٤١.

والنكران الذي ابتليت به أُمَّتنا العربيَّة والإسلاميَّة في مبدعيها وعلمائها الأفذاذ ومنهم الخليل.

اقرأ معي مقدّمة معجم كتاب العين[١] التي كتبها محقِّقا الكتاب: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، تجد الدفاع القائم على الشواهد والوقائع من تاريخ اللغة واللغويين، كما تجد الإنصاف وإحقاق الحقّ فيما يتعلَّق بالعالم الجليل الخليل بن أحمد.

وتشير مقدّمة معجم العين إلى ما عمد إليه عدد من اللغويين الذين أنكروا جهود الخليل، في حين أنهم أخذوا عنه الكثير، واستفادوا مِن كتابه، ومع ذلك لم يذكروا له هذا الفضل؛ بل كانوا هم أشدّ إنكارًا له، لقد أثاروا الدخان حول كتاب الخليل، وكدَّروا الهواء مِن حوله، ولكن الحقيقة بقيت مجلوَّة، وبقي الكتاب ناصعًا مستعصيًا على أولئك الجاحدين وغيرهم.

لقد ظلَّ كتاب العين على الرغم من الجحود والتشويه والنقد والتجريح، على مرّ الزمان مصدر إلهام علماء اللغة، والنقلة العظيمة في تاريخ تأليف المعجمات العربيَّة.

ثانيا: في علم الصوتيّات

يرتبط هذا المجال ارتباطًا وثيقًا بالمجال الأوَّل المتعلّق باللغة؛ حيث اهتدى الخليل إلى نظام جديد في الأصوات وترتيبها لم يسبق إليه أحد، وهو نظام المخارج، وقد قدم بعمله هذا البداية الأولى لعلم الأصوات في العربية، وأفاد منه تلميذه عالم النحو الكبير سيبويه؛ فحفل كتابه (الكتاب) بمادة مهمَّة في الأصوات العربيَّة، وهو ينقل عنه، ويثبت أقواله وآراءه بكلّ أمانة.

(١) معجم كتاب العين، المقدّمة.

لقد كان الخليل ذواقة للحروف، يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف مثل: أب، أع، أغ... حتى اهتدى إلى معرفة طريقة عملية قائمة على تحليل الأصوات، وعلى مشاهدته في إخراجه من حيز الفم، ولذلك يدرك الباحثون أنه كان على علم بالجهاز الصوتي، وتركيبه وأجزائه، وما اشتمل عليه من أحياز ومدارج(١).

وتجدر الإشارة إلى أنَّ الخليل بدأ معجمه بحرف العين؛ لأنه أنصع الحروف وأكثرها ثباتًا، والهمزة عنده أوّل الحروف مخرجًا، لأنها نبرة في الصدر، تخرج باجتهاد على حدّ تعبيره هو، ولكنه لم يبدأ بها معجمه؛ لأنها حرف مضغوط مهتوت (أي منطوق بوضوح)، إذا رُفِّهَ عنه انقلب ألفًا أو ياءً أو واوًا، كذلك لم يبدأ بالألف لأنها ساكنة أبدًا، ولا بالهاء لخفائها فهي كالألف(٢).

ولم تقتصر جهود الخليل على ذلك العمل الضخم فحسب، وإنما تناول الحروف بالدراسة، وكان عمله مكملاً لعمل أبـي الأسود الدؤلي، الذي فزع عندما اكتشف تفشِّي اللحن في العربية، وكان عمله فيه وعي كبير لطبيعة العربية، فأوجد النقط لإعجام الحرف وضبط حركته وذلك باستخدام الألوان، إلاَّ أنَّ الخليل بن أحمد استبدل بالنقط الحركات، ورمز للفتحة بألف صغيرة فوق الحرف، وللضمة بواو صغيرة فوق الحرف، وللكسرة بياء صغيرة تحت الحرف، كما أنه وضع رمزًا للهمزة، ورمزًا للشدَّة، ووضع رموزًا أخرى للرَّوم والإشمام وغير ذلك.

(١) انظر: مقدّمة معجم كتاب العين ــ ص١٠.

(٢) المصدر السابق ــ ص١٧.

لقد ألهم الله هذا العالِم الجليل فأوجد لأبناء العربية وأبناء الإسلام الحركات التي اعتمدت في الكتابة وهي من جنس الحروف، وبهذا استطاع الدَّارسون ضبط كلمات النصوص القرآنيَّة بالحركات ضبطًا كاملاً، واستطاع اللغويُّون ضبط أوزان المفردات على اختلافها.

لقد استقرأ الخليل الحروف ووقف على طبائعها وصفاتها، ووضع ألقاب الحروف، وأبان صفاتها المعروفة التي أفاد منها علماء التجويد والقراءات، إضافة إلى أهل اللغة وعلماء النحو.

فهذا ابن منظور اللغوي الحجَّة، صاحب (لسان العرب) المعجم الذي يحتلّ مكانة عالية؛ لضخامة مادته، وتنوُّع محتواه، على الرغم مِن أنَّه لم يتبع منهج الخليل في معجمه (العين)، إلاّ أنه يستشهد بآرائه.

اقرأ ما يقوله ابن منظور حول الحروف الذلق والشفويَّة:

«قال الخليل بن أحمد: الحروف الذلق والشفويَّة ستّة: الراء واللام والنون والفاء والباء والميم، يجمعها قولك: (رب مَنْ لف)، وسُمِّيت بذلك لأنَّ الذلاقة في المنطق إنما هي مِن طرف أسلة اللسان، وذلق اللسان كذلق السنان، ولما ذلقت الحروف الستة، وبذل بهن اللسان، وسهلت في المنطق كثرت في أبنية الكلام... وليس شيء في بناء الخماسي التام يعرى منها، أو من بعضها، فإذا ورد عليك خماسي معرى من الحروف الذلق والشفوية فاعلم أنه مولد، غير صحيح من كلام العرب...»[١].

(١) لسان العرب، المجلَّد الأوَّل ــ ص٢٠٤.

ثالثًا: إبداعه في العَروض

كان الخليل ذوّاقة، درس اللغة دراسة فنيَّة، وتوصَّل إلى إدراك الحسّ اللغوي عند العرب.

وعرف أنَّ اللغة العربيَّة لغة موسيقية ذات أنغام خاصة، وإدراك هذه الأنغام في اللغة يتوقَّف على توافر حسّ موسيقي، وملكة موسيقية، وهو ما توافر في هذا العالم؛ فقد عرض للإيقاع والنغم، ووقف على أصولهما.

وأجمع المؤرِّخون على أن له كتابًا في النغم، وكتابات في الإيقاع[1].

والخليل صاحب العمل الأوّل في الأوزان الشعرية وابتكار علم العروض.

وإليه ينسب استخراج أوزان الشعر العربي، ووضْع ألقابها وأسمائها مثل: الطويل، والبسيط، والمديد، والوافر، والكامل وغيرها.

ويُروى أنَّ الخليل ابتكر أوزان الشعر، ووضع علم العروض ولم يأخذه مِن أحد سبقه، ولا مِن مثال احتذاه، وإنما اخترعه مِن مروره بالصفارين في سوق البصرة، ومن وقع مطرقة على طست.

فتوصل إلى هذا العلم بنباهته وفطنته، وحسّه اللغوي، حيث تولّدت في ذهنه فكرة تقطيع الشعر تقطيعًا، انتهى به إلى وضع بحور الشعر المعروفة وما احتوت عليه مِن تفعيلات.

---

(١) انظر: «سلامة اللغة العربية» مرجع سابق ــ ص٧٦.

رابعًا: آراء الخليل في التربية

لم يؤلِّف الخليل كتابًا في التربية، ولكنه ترك كثيرًا من الوصايا والآراء التي تناولت العلم والعلماء والطلبة، وهي العناصر الأساسية في التربية(١).

ومِن أبرز هذه الآراء والوصايات التي تركها الخليل ما يلي:

١ ــ الأسلوب الموسوعي في التعليم هو الأجدى والأنفع، فإذا احتاج الطالب علمًا ما، فإنه لا بدَّ له للوصول إليه من تعلُّم ما لا يحتاج إليه.

٢ ــ أنسب أوقات الدراسة وقت السَّحَر؛ لأنَّ الذهن فيه يكون صافيًا.

٣ ــ على المتعلِّم الاستقلال بشخصيته ومنهجيته، وعدم التأثُّر بآراء المعلِّم، والانسياق وراءه إلَّا بعد سماع آراء غيره وذلك لمعرفة الأصوب.

٤ ــ مِن واجب المعلِّم توجيه المتعلِّم الوجهة الصحيحة المتفقة مع استعداده وقدراته، ومواهبه؛ حتى يتخصَّص فيه، ويبرع في مجاله.

٥ ــ المعلِّمون بشكل خاصّ، والناس بشكل عام ينقسمون إلى أربعة أقسام:

* مَن يدري أنه يدري، فذاك عالِم فاتَّبِعوه.
* مَن يدري ولا يدري أنه يدري، فذاك ضالّ فأرشِدوه.
* مَن لا يدري أنه لا يدري، فذاك طالب فعلِّموه.
* مَن لا يدري ولا يدري أنه لا يدري، فذاك جاهِل فاحذروه.

٦ ــ التكثُّر مِن العلم للمعرفة، والتقلُّل منه للحفظ.

٧ ــ تقديم حسن الظن قبل التهمة، والبذل قبل المسألة، والعذر قبل العتب.

❑ ❑ ❑

(١) من أعلام التربية العربيّة الإسلاميّة، المجلَّد الأوَّل ــ ص١٨٨.

[٤]

خـاتـمـة

ذاك هو الخليل بن أحمد، العالِم الموسوعي المبدِع، الذي ترك للعلماء والباحثين والدّارسين مِن بعده علمًا واسعًا، ومجالات متعددة لاقتحامها، وإكمال مسيرة الابتكار.

ولو أنَّ ما تركه هذا العالم تلك الحركات التي اعتمدت في ضبط كلمات القرآن، والكتابات بشكل عام، لكان هذا حسبه من الفضل؛ إذ أنقذ اللغة مِن إشكالات كثيرة، قادت القرَّاء والكتَّاب إلى أخطاء خطيرة، ولكن الله عزَّ وجَلّ تولَّى كتابه العزيز بالحفظ، ولغة هذا الكتاب بالبقاء والشموخ، فسخَّر لهما مِن العلماء مَن قدَّم الكثير لخدمة القرآن واللغة، ومِن هؤلاء الخليل بن أحمد رحمه الله.

تمَّ بحمد الله وتوفيقه

❑ ❑ ❑

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله:

(اللَّهُمَّ إنَّا نعوذُ بك مِن فتنة القول،
كما نعوذُ بك مِن فتنة العمل..
ونعوذُ بك مِن التكلُّف لِمَا لا نُحسن،
كما نعوذُ بك مِن العُجب بما نُحسن..
ونعوذُ بك مِن السَّلاطة والهذر[١]،
كما نعوذُ بك مِن العيّ والحصر[٢]..
وقديمًا: تعوَّذوا بالله مِن شرّهما،
وتضرَّعوا إلى الله في السَّلامة منهما).

[الجاحظ: البيان والتبيين، ج١]

(١) السَّلاطة: حدَّة اللسان وطوله. والهذر: كثرة الكلام في خطأ.

(٢) العيّ: العجز في المنطق وعدم القدرة على بيان المراد. والحصر: عدم المقدرة على الكلام والعيّ في المنطق.

المراجع

* **القرآن الكريم.**

١ ــ **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، محمد فؤاد عبد الباقي ــ بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٤٥م.

٢ ــ **لسان العرب**، ابن منظور، دار بيروت للطباعة والنشر.

٣ ــ **المعجم الوسيط**، إبراهيم أنيس وآخرون ــ بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية.

٤ ــ **معجم كتاب العين**، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ــ بغداد، دار الرشيد للنشر، وزارة الإعلام والثقافة ــ بغداد، ١٩٨١م.

٥ ــ **الأعلام**، خير الدين الزركلي، الطبعة الثالثة.

٦ ــ **صحيح البخاري**، شرح وتحقيق الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي ــ بيروت، دار القلم.

٧ ــ **صحيح مسلم**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٨ ــ **الجامع الصحيح (سنن الترمذي)**، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق الشيخ إبراهيم عطوة عوض ــ القاهرة، دار الحديث.

٩ ــ **سنن الترمذي**، للحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، الطبعة الأولى ــ الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

١٠ ــ **سنن ابن ماجه**، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، الطبعة الأولى ــ الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

١١ ــ **الإتقان في علوم القرآن**، لجلال الدِّين السيوطي، الجزء الثاني ــ بيروت، دار إحياء العلوم ــ الرياض، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

١٢ ــ **الجامع لأحكام القرآن**، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجزء الأوَّل ــ بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٥م.

١٣ ــ **التفسير البياني للقرآن الكريم**، عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء)، الجزء الأوَّل، الطبعة السَّادسة ــ القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٢م.

١٤ ــ **صفوة التفاسير**، محمد علي الصابوني، الطبعة الأولى ــ القاهرة، دار الصابوني للنشر، ١٩٩٧م.

١٥ ــ **مباحث في علوم القرآن**، مناع القطان، الطبعة السابعة عشرة ــ بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٠م.

١٦ ــ **كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟** يوسف القرضاوي، الطبعة الأولى، دار الشروق، ١٩٩٩م.

١٧ ــ **تقريب النشر في القراءات العشر**، ابن الجزري، تحقيق وتقديم إبراهيم عطوة عوض، الطبعة الثانية ــ القاهرة، دار الحديث، ١٩٩٢م.

١٨ ــ **الكوكب الدرّي في شرح طيبة ابن الجزري**، محمَّد الصَّادق قمحاوي، مختصر الطيبة للنويري، الطبعة الأولى.

١٩ ــ **المكتفى في الوقف والابتدا**، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي، دراسة وتحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشلي، الطبعة الثانية ــ بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٧م.

٢٠ ــ **نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد**، محمَّد مكِّي نصر الجريسي، الطبعة الأولى ــ القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠٠١.

٢١ ــ **غاية المريد في علم التجويد**، عطية قابل نصر، الطبعة السابعة ــ القاهرة، دار التقوى للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠.

٢٢ ــ **هداية القاري إلى تجويد كلام الباري**، عبد الفتَّاح السيِّد عجمي المرصفي، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.

٢٣ ــ **بغية المريد من أحكام التجويد**، مهدي محمَّد الحرازي، الطبعة الأولى ــ بيروت، دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠١م.

٢٤ ــ **الفريد في فن التجويد**، عبد الرؤوف محمَّد سالم، الطبعة السَّابعة ــ الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دار القرآن الكريم، ١٩٨٦م.

رفع المسـتهـم

٢٥ ــ **البيان السَّديد في أحكام القراءة والتجويد**، أبو محمَّد صفوت الزيني ــ القاهرة، دار الحديث، ٢٠٠٥م.

٢٦ ــ **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد**، غانم قدوري الحمد، الطبعة الأولى ــ بغداد، مطبعة الخلود، ١٩٨٦م.

٢٧ ــ **بهجة النفوس في تجويد كلام القدُّوس**، محمَّد مأمون كاتبي، الطبعة الثانية ــ مملكة البحرين، وزارة الشؤون الإسلامية، قسم البحوث والإعلام، ٢٠٠٤م.

٢٨ ــ **ضحى الإسلام**، أحمد أمين، الجزء الأوَّل، الطبعة العاشرة ــ بيروت، دار الكتاب العربي.

٢٩ ــ **حقائق الإسلام وأباطيل خصومه**، عبّاس محمود العقّاد ــ بيروت، منشورات المكتبة العصرية.

٣٠ ــ **أثر القرآن الكريم في الأمن النفسي**، ناهد عبد العال الخراشي، الطبعة الأولى ــ القاهرة، وكالة الأهرام للتوزيع، ١٩٨٧م.

٣١ ــ **التعبير القرآني**، فاضل صالح السامرَّائي، الطبعة الرابعة ــ عمان، دار عمَّار، ٢٠٠٦م.

٣٢ ــ **لمسات بيانية في نصوص من التنزيل**، فاضل صالح السامرائي، الطبعة الثالثة ــ عمان، دار عمَّار للنشر، ٢٠٠٦م.

٣٣ ــ **التعبير الفنِّي في القرآن الكريم**، بكري شيخ أمين، الطبعة الأولى ــ بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٤م.

٣٤ ــ **روضة الفصاحة**، أبو منصور الثعالبي، تحقيق وتعليق، محمَّد إبراهيم سليم، مكتبة القرآن.

٣٥ ــ **تاريخ آداب العرب**، مصطفى صادق الرَّافعي، الطبعة الثانية ــ بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٤م.

٣٦ ــ **البيان والتبيين**، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الطبعة الثانية، دار الهلال، ١٩٩٢م.

٣٧ ــ **أخبار الحمقى والمغفَّلين**، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، الطبعة الأولى ــ بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع.

رفع المسبهم

٣٨ ــ **ديوان حافظ إبراهيم**، ضبط وتصحيح وشرح وترتيب: أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، الجزء الأوَّل ــ بيروت، دار العودة.

٣٩ ــ **البلاغة الواضحة**، علي الجارم ومصطفى أمين ــ القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٥م.

٤٠ ــ **علم اللغة**، علي عبد الواحد وافي، الطبعة التاسعة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٩٤٥م (الطبعة الأولى بتاريخ ١٩٤٠).

٤١ ــ **مولد اللغة**، أحمد رضا ــ بيروت، دار الرائد العربي، ١٩٨٣م، قدَّم له وعلَّق عليه ولده نزار رضا.

٤٢ ــ **المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي**، رمضان عبد التوَّاب، الطبعة الثانية ــ القاهرة، مطبعة الخانجي، ١٩٨٥م.

٤٣ ــ **المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث**، الأمير مصطفى الشهابي، الطبعة الثانية ــ دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٨٨ .

٤٤ ــ **لحن العامَّة في ضوء الدِّراسات اللغويَّة الحديثة**، عبد العزيز مطر، الطبعة الثانية ــ القاهرة، دار المعارف، ١٩٨١م.

٤٥ ــ **في فقه اللغة وقضايا العربية**، سميح أبو مغلي، الطبعة الأولى ــ عمان، دار مجدلاوي للطباعة، ١٩٨٧م.

٤٦ ــ **قضايا أساسية في علم اللسانيات (مدخل)**، مازن الوعر، الطبعة الأولى ــ بيروت، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ١٩٨٨م.

٤٧ ــ **النحو الوافي**، عبَّاس حسن، الطبعة الخامسة ــ القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٥م.

٤٨ ــ **هندسة النحو العربي**، محمد الشعال ــ سورية، مكتبة المعري، ١٩٧١م.

٤٩ ــ **موسوعة النحو والصرف والإعراب**، إميل بديع يعقوب، الطبعة الأولى ــ بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٨م.

٥٠ ــ **المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها**، محمد الأنطاكي، الطبعة الثالثة ــ بيروت، دار الشرق العربي، ١٩٧١م.

٥١ ــ **دروس في المذاهب النحوية**، عبده الرَّاجحي ــ بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٠م.

رفع المسهم

٥٢ ـ **من تاريخ النحو العربي (دراسة ونصوص)**، حلمي خليل ـ الإسكندرية، دار المعرفة الجامعيّة، ١٩٩٥م.

٥٣ ـ **أساليب التأكيد في اللغة العربية**، إلياس ديب ـ بيروت، دار الفكر العربي، ١٩٩٣م.

٥٤ ـ **النحو وكتب التفسير**، إبراهيم عبد الله رفيدة، الجزء الأوّل، (الطبعة الأولى ١٩٨٢م، والطبعة الثالثة ١٩٩٠م) ـ طرابلس، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلام.

٥٥ ـ **سلامة اللغة العربية (المراحل التي مرَّت بها)**، عبد العزيز عبد الله محمَّد، الطبعة الأولى ـ بغداد، مطابع جامعة الموصل، ١٩٨٥م.

٥٦ ـ **المعجمات والمجامع العربية (نشأتها ـ أنواعها ـ نهجها ـ تطوُّرها)**، عبد المجيد الحرّ، الطبعة الأولى ـ بيروت، دار الفكر العربي، ١٩٩٤م.

٥٧ ـ **من أعلام التربية العربيّة الإسلاميّة**، المجلَّد الأوَّل، مكتبة التربية العربي لدول الخليج، ١٩٨٨م (مقال د. زيد عبد المحسن الحسين).

٥٨ ـ **القاعدة النورانيّة**، تأليف نور محمَّد حقَّاني، تحقيق وطباعة محمَّد فاروق محمَّد الرَّاعي، مركز الفرقان لتعليم القرآن، (الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، والطبعة الثانية عام ١٤٢٥هـ).

٥٩ ـ **القاعدة النورانيّة التعليميّة**، وضع الشيخ نور محمَّد صاحب، تعليق الشيخ فتح إسماعيل، تقريظ ومراجعة الشيخ محمَّد سعيد الأفغاني، ترجمة وتعليق رفيعة بنت الشيخ محمَّد سعيد الأفغاني، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، مِن إصدارات مركز أم ورقة بنت الحارث، مملكة البحرين.

❑ ❑ ❑

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
تقديم	٥
إهداء	٨
المقدّمة	٩
الفصل الأول: اللغة العربية والقرآن الكريم:	
[١] القرآن الكريم وبعض من سماته	١٥
[٢] فضل العمل به والاشتغال بتلاوته	١٩
[٣] أثر قراءة القرآن في حياة الفرد والجماعة	٢٢
[٤] القرآن الكريم واللغة العربية	٣٠
[٥] اللغة العربية وقراءة القرآن	٣٤
[٦] الضعف العام في اللغة العربية (المظاهر والأسباب)	٣٦
[٧] ما علاقة اللغة العربية بتجويد القرآن الكريم؟	٤٤
[٨] التجويد وعلم اللغة	٤٨
[٩] عِلم اللغة ومجالاته	٥٢
[١٠] لماذا الحديث عن عِلم اللغة؟	٥٤
[١١] خلاصة وفائدة	٥٩
الفصل الثاني: اللحن وطرق مواجهته والحدّ مِن انتشاره:	
تمهيد (لماذا خصّصتُ فصلاً مستقلاً يتناول موضوع اللحن؟)	٦٥
[١] ما معنى اللَّحْن؟ (لغة واصطلاحاً)	٦٧
[٢] أقسام اللحن	٧١

أوَّلاً: اللحن الجلي (أي الظاهر) ٧١
ثانيًا: اللحن الخفي (أي المستتر) ٧٥
أمور مبتدعة ٧٨
اللحن الجلي واللحن الخفي بين علماء التجويد وعلماء اللغة ٨١
[٣] وقفة لا بدَّ منها ٨٤
[٤] نشأة اللحن وانتشاره ٨٨
[٥] جهود علماء العربية في مواجهة اللحن ٩٣
نشأة علم النحو في مواجهة اللحن ٩٤
أسباب نشأة علم النحو الخاصة والعامة، وعلاقة ذلك بالقرآن الكريم ٩٦
[٦] جهود العلماء في خدمة القرآن الكريم واللغة ٩٨
جمع القرآن وتدوينه ١٠١
[٧] وضع النحو العربي، ومكانته العلمية ١٠٦
[٨] كيف يمكننا تجنب اللحن؟ ١١١
[٩] من طرائف اللحن ١١٥

الفصل الثالث: قضايا ومسائل بين علم اللغة وعلم التجويد:

تمهيد ١٢١
[١] الصوت الإنساني وأعضاء النطق ١٢٤
أعضاء النطق لدى الإنسان ووظائفها ١٢٥
كيف يحدث الصوت الإنساني؟ (إنتاج الصوت اللغوي) ١٣٢
[٢] رحلة الحرف (كيف يتكون الحرف؟) وعناصر خروجه ١٣٥
مخارج الحروف والاختلاف في عددها وترتيبها ١٤٠
[٣] الحروف العربية (عددها وأنواعها) ١٤١
ترتيب الحروف العربية ١٤٤
وصف بعض الأصوات اللغوية بين القدماء والمحدثين ١٤٦
[٤] عيوب النطق وأثرها في أداء الصوت اللغوي ١٤٩
ظواهر عيوب النطق، ودراسة لبعض الأمراض اللغوية ١٥٠

رفع المسيهم

[٥] وقفة عند (الغُنَّة) ١٥٥
مَحل الغُنَّة ١٥٥
مراتب الغُنَّة وآراء العلماء فيها، وأمثلة عليها ١٥٦
مقدار الغُنَّة وكيفية أدائها ١٥٩
خلاصة وفائدة في نوع الغُنَّة المطلوب أداؤها ١٦٠
[٦] فصل عن الهمزة (تعريفها، مخرجها، صفاتها، أصلها، وأنواعها) ١٦٢
همزتا الوصل والقطع وتعريفهما ١٧١
مواضع همزتي الوصل والقطع ١٧٤
مواضع همزتي القطع والوصل وفق أقسام الكلمة ١٧٧
أوَّلاً: أمثلة على مواضع همزة الوصل ١٨٠
(أ) في الأفعال ١٨٠
(ب) في الأسماء ١٨١
(ج) في الحروف ١٨٣
ثانيًا: أمثلة على مواضع همزة القطع ١٨٤
(أ) في الأفعال ١٨٤
(ب) في الأسماء ١٨٥
(ج) في الحروف ١٨٧
مواضع أخرى لهمزة القطع ١٨٨
الفرق بين الهمزتين ١٨٨
حركة البدء بهمزة الوصل ١٩٠
وقفة عند (أل) التعريف ١٩٤
حكم لام التعريف في (أل) التعريفية ١٩٨
التقاء الهمزتين وأحكامه ٢٠١
الهمزتان المجتمعتان في كلمة ٢٠٤
أوَّلاً: اجتماع همزتين قطعيتين في كلمة ٢٠٤

رفع المسابهم

ثانيًا: اجتماع همزة قطع وهمزة وصل في كلمة ٢٠٦
ثالثًا: اجتماع همزة وصل وهمزة قطع ٢١٣
فصل عن الهمزة واستخداماتها في اللغة ٢١٥
[٧] الألف وصورها في اللغة ٢٢١
[٨] الْتِقاء السَّاكنين وأحكامه ٢٢٦
[٩] الوقف والابتداء ٢٣٤
المبحث الأوَّل: الوقف ٢٤٠
أنواع الوقف ٢٤٣
حكم الوقف بشكل عام ٢٤٥
الوقف الاختياري وأقسامه ٢٤٧
أوَّلاً: الوقف التام ٢٤٨
ثانيًا: الوقف الكافي ٢٥٣
ثالثًا: الوقف الحسن ٢٥٦
رابعًا: الوقف القبيح ٢٥٩
المبحث الثَّاني: الابتداء ٢٦٥
١ ـ الابتداء الحسن أو الابتداء الجائز ٢٦٦
٢ ـ الابتداء القبيح ٢٦٧

الفصل الرابع: من أساليب النحو والبلاغة في القرآن الكريم:

تمهيد: حول معنى الأسلوب والتعبير القرآني ٢٧١
[١] لمحات من أسلوب القرآن الكريم ٢٧٤
الفصاحة والبلاغة والإيجاز ٢٧٤
جوانب من إعجاز القرآن الكريم ٢٧٦
[٢] دعوة إلى تدبُّر معاني القرآن وتأمُّل أساليبه ٢٨٦
[٣] التوكيد في القرآن الكريم وأساليبه ٢٩١
أهمية التوكيد في القرآن الكريم ٢٩٥

رفع المسهم

[٤] التوكيد اللفظي والتوكيد المعنوي ٢٩٧
التوكيد اللفظي ٢٩٨
التوكيد المعنوي وألفاظه ٣٠٣
[٥] التوكيد بالأحرف المشبهة بالفعل (تعريفها وقاعدتها) ٣١٠
معانيها ٣١١
[٦] التوكيد بلام التوكيد ٣٢٠
اللام وأثرها النحوي في الجملة ومواضع دخولها ٣٢٥
[٧] التوكيد بـ «قد» ٣٣٠
[٨] التوكيد بالأحرف الزائدة ٣٣٣
بعض أحرف الجر الزائدة وأمثلة عليها من القرآن الكريم ٣٣٥
حروف جرّ شبيهة بالزائد ٣٤٠
[٩] التوكيد بنونَي التوكيد ٣٤٢
توكيد الفعل المضارع بنون التوكيد ٣٤٤
توكيد فعل الأمر بنون التوكيد ٣٤٧
[١٠] التوكيد بالقَسَم ٣٤٩
تعريف القسم وصِيَغه ٣٥١
أنواع القسم ٣٥٨
دخول (لا) النافية على فعل القسم ٣٥٩
ألفاظ أخرى للقسم ٣٦٠
[١١] خاتمة الفصل الرابع ٣٦٣

الفصل الخامس: نحو إعداد جيل مسلم يتعلَّم القرآن الكريم ويعلِّمه:

تمهيد ٣٦٩
[١] آداب يجب أن يتحلّى بها معلِّم القرآن ومتعلِّمه ٣٧٣
[٢] ما العوامل التي تساعد على إعداد جيل القرآن؟ ٣٧٧
العامل الأوَّل: إعداد معلِّم القرآن إعدادًا جيِّدًا ٣٧٧
العامل الثَّاني: وضع منهجيَّة لتدريس القرآن الكريم ٣٨٢

[٣] مقوّمات أساسية لتدريس القرآن الكريم ٣٨٣
خاتمة ٣٩٦

الفصل السادس: الخليل بن أحمد، عالِم اللغة المبدع:

[١] لماذا هذه الترجمة لسيرة الخليل بن أحمد؟ ٣٩٩
[٢] لمحات مِن سيرته ٤٠١
مولده ووفاته ٤٠١
اسمه ونسبه ٤٠١
زوجته وأولاده ٤٠١
بيئته الفكرية التي نشأ بها ٤٠٣
علمه وأساتذته ٤٠٤
خُلُق الخليل وأدبه في التعلُّم والتعليم ٤٠٥
[٣] مؤلَّفات الخليل ومجالات إبداعه ٤١٠
مجالات إبداع الخليل ٤١١
أوّلًا: في علم اللغة ٤١١
ثانيًا: في علم الصوتيّات ٤١٥
ثالثًا: إبداعه في العَروض ٤١٨
رابعًا: آراء الخليل في التربية ٤١٨
[٤] خاتمة ٤٢٠
المراجع ٤٢٢
فهرس الكتاب ٤٢٧

❑ ❑ ❑

رفع المسلم